

**PEACEFUL COEXISTENCE BETWEEN MUSLIMS
AND CHRISTIANS IN BAITUL MAQDIS BETWEEN
1897-1994: MANIFESTATIONS, EFFECTS, AND
CHALLENGES**

IBRAHIM SAQER ISMAIL ALZAEEM

ACADEMY OF ISLAMIC STUDIES

UNIVERSITY OF MALAYA

KUALA LUMPUR

2016

التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس ما بين
1897-1994: مظهره وآثاره وتحدياته

إبراهيم صقر إسماعيل الزعيم

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة مالايا

كوالالمبور

2016

التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس ما بين
1897-1994: مظهره وآثاره وتحدياته

إبراهيم صقر إسماعيل الزعيم

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة مالايا

كوالالمبور

2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)
لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)

[الأنعام: 162-163]

ملخص الدراسة

إن التعايش الإسلامي المسيحي في بيت المقدس ظاهرة حضارية، حري أن يتم دراستها بعناية، لنستفيد من هذه التجربة، بمعرفة أشكال ذلك التسامح، والوقوف على أسبابه وآثاره في واقع الناس وواقع المدينة المقدسة، ثم ليكون نموذجاً يحتذى به في العالم.

ولذلك فإن هذه الدراسة تبحث موضوع التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس ما بين 1897-1994م (مظاهره، وآثاره، وتحدياته)؛ للوقوف على مدى أهمية بيت المقدس عند المسلمين والمسيحيين، والتحقق من حجم الوجود الإسلامي والمسيحي في بيت المقدس، ومظاهر التعايش المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين، ورصد مظاهر التعايش السياسي بين المسلمين والمسيحيين، ودور الجانبين في التصدي للمشروع الصهيوني، وتسليط الضوء على تحديات وآثار ومستقبل التعايش الإسلامي المسيحي في بيت المقدس، وانعكاس ذلك على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

وقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التاريخي والوصفي، كما لجأ إلى المقابلة العلمية لإثراء الدراسة.

وقد خلصت الدراسة إلى أن المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، نجحوا في تعزيز قيم التفاهم والشراكة الوطنية، وإرساء قواعد مقاومة المطامع الصهيونية، المبنية على أسس التمسك بالحقوق العربية، والنضال المشترك على كافة الأصعدة للدفاع عن المقدسات الإسلامية والمسيحية، على الرغم من التقلبات

السياسية في بيت المقدس، خلال الانتداب البريطاني، ثم الاحتلال الإسرائيلي عام 1967م، وما ترتب

على ذلك من آثار صعبة على مختلف مجالات الحياة.

University of Malaya

Abstrak

Sesungguhnya pergaulan antara Penganut agama Islam dan agama Kristian di Baitul Maqdis adalah fenomena yang berlaku hari ini. Tujuan kajian saya adalah meneliti senario ini dan mengambil manfaat darinya serta pengajaran ; dengan mengenali bentuk-bentuk tolak ansur dan memerhatikan akan sebab-sebab serta kesannya dalam realiti manusia dan realiti Bandar suci itu, kemudian dijadikan contoh oleh dunia.

Oleh itu, kajian ini bertajuk “kehidupan harmoni antara penganut agama Islam dan agama Kristian di Baitul Maqdis sejak 1897-1994M (senario-senario, kesan –kesan dan cabarannya); untuk melihat kepada sejauhmana kepentingan Baitul Maqdis bagi orang Islam dan Kristian. Juga membuktikan kewujudan majoriti Orang Islam dan Kristian di Baitul Maqdis. Juga senario senario kemasyarakatan yang wujud antara dua masyarakat , selain turut menyentuh senario politik antara keduanya dan peranan kedua-dua pihak dalam menyekat projek Zionis serta menerangkan cabaran, kesan dan masa depan toleransi Muslim dan kristian di Baitul Maqdis, serta kesannya terhadap penentangan ke atas penjajahan Israel.

Pengkaji telah memilih untuk menggunakan kaedah sejarah dan deskriptif dalam kajiannya selain memperkayakannya dengan wawancara ilmiah.

Pengkaji merumuskan bahawa orang Islam dan Orang Kristian di Baitu Maqdis telah berjaya untuk mengangkat nilai persefahaman dan kerjasama kebangsaan juga meneguhkan langkah langkah menentang kerakusan Zionis. Terbina atas dasar hak Bangsa Arab, serta kebangkitan bersama di setiap penjuru bagi mempertahankan kesucian Islam dan Kristian, walau seburuk manapun pergolakan politik yang dilalui oleh al Quds, di bawah penjajahan British kemudian penjajahan Israel pada tahun 1967M, dan perkara yang timbul selepas itu yang memberi kesan kepada kesukaran dalam segenap bidang kehidupan.

Abstract

Muslim-Christian coexistence in the city of Bait Al-Maqdis is a sophisticated phenomenon that is worth a careful study in order to extract the benefits of this experience which can be realized by revealing the reasons and impacts on the city of Bait Al-Maqdis and its people, to be a role model across nations, cultures and religions.

This study, then, analyses the harmonic coexistence, its features, effectiveness and challenges, between Muslims and Christians in the City of Bait Al-Maqdis between (1897-1994) aiming to investigate the extent of the importance of the City of Bait Al-Maqdis to both Muslims and Christians. Moreover, it seeks to identify the Muslim and Christian presence in the City of Bait Al-Maqdis. It also identifies the social and political characters of the coexistence between Muslims and Christians. It studies the roles of Muslims and Christians in confronting the Zionist plan. The study examines the effect of challenges and future of Muslim-Christian coexistence in the City of Bait Al-Maqdis on the resistance to Israeli occupation.

Therefore, historical and descriptive methods as well as interviews were applied for the research methodology.

The findings reveals that Muslims and Christians of the City of Bait Al-Maqdis have succeeded in promoting the values of understanding and national partnership, and in establishing the basics of resisting the Zionist ambitions through adopting the Arab rights

and mutual resistance at all levels to defend the Islamic and Christian holy places despite the political changes that took place in the city during the British mandate and the Israeli occupation in 1967 that led to difficulties at all aspects of life.

University of Malaya

الإهداء

إلى والدي الحبيب.. الذي أفاض علي من علمه وتواضعه.. فأنا مدين له بكل حرف تعلمته من

كتاب الله وكل حديث حفظته من رسول الله ﷺ..

وإلى والدتي الحبيبة الغالية (عفاف).. التي بسطت لي رداء الحب.. فأخذت عنها دون أن تقول

أن الدنيا خفض جناح ولين جانب للمسلم وغير المسلم ما لم يكن محاربا..

وإلى زوجتي الغالية (نور رفيق أبو حليلة).. التي كلما أثقلت عليها زادتني حبا.. وكلما قصرت

في جانبها غمرتني عطاء.. فصبرت واحتسبت على التقصير والانشغال..

وإلى الأهل والأحبة والأساتذة.. الذين كان لهم علي سابقة خير..

وإلى الشهداء والأسرى والمرابطين في بيت المقدس وكل فلسطين الحبيبة..

إلى المسلمين والمسيحيين في فلسطين.. إلى كل مدافع ومنافع عن أولى القبلتين.. عن مسرى

رسول الله ﷺ، ومهد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام..

أهدي هذه الدراسة التي بذلت فيها جهدا، استمر على مدار ثلاثة أعوام، سائلا ربي سبحانه

وتعالى أن يقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجد قبولا عند طلبة العلم وأهل

الاختصاص..

شكر وعرfan

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه، ومن استن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد،،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" ¹.

وبناء عليه فإنني أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني ووقف إلى جانبي في دراستي، حتى من الله

علي بإتمام هذه الدراسة:

وأخص منهم: مؤسسة حلوان الماليزية، التي قدمت لي منحة دراسية في هذا البلد الكريم، أشكر قيادتها وأفرادها جميعاً، على الدعم والإسناد على مدار أربعة أعوام من الدراسة.

وأشكر الدكتور ثابت أبو الحاج، الذي اقترح علي عنوان الدراسة، ولم ييخل بالنصح والتوجيه والإرشاد.

كما أشكر الدكتور طارق لعجال الذي كان مشرفاً على هذه الرسالة، ثم انتقل للعمل خارج ماليزيا.

ثم أتقدم بخالص الشكر والعرfan للأستاذين المشرفين على رسالتي، وهما: الأستاذ المشارك محمد رسلان محمد نور، المتخصص في دراسات بيت المقدس، وقد كان لنصائحه وملاحظاته وتوجيهاته المستمرة، أثر ملموس في الارتقاء بالدراسة، لتليق بهذه المدينة العظيمة، وأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء على تواضعه وسعة صدره، والدكتور عبد الله بن يوسف، الذي وقف معي بجهد ووقته.

كما أشكر لجنة المناقشة، التي تفضلت بمناقشة الرسالة وتقديم ملاحظاتها؛ للمساهمة في خدمة القضية العادلة الشريفة، قضية بيت المقدس.

¹ سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ص 299، حديث حسن صحيح.

كما أشكر أمناء المكتبات في الجامعة الإسلامية بغزة، ومؤسسة القدس الدولية بغزة، على

المساعدة والاهتمام الذين حظيت بهما خلال زيارتي المتكررة.

والشكر موصول لمن قدم لي النصيحة والتوجيه، ولكل من دعا لي بظهر الغيب.

University of Malaya

فهرس الدراسة

أ	ملخص الدراسة بالعربية.....
ج	ملخص الدراسة بلغة الملايو.....
د	ملخص الدراسة بالإنجليزية.....
و	الإهداء.....
ز	شكر وعرهان.....
ط	فهرس الدراسة.....
ن	مصطلحات وردت في الدراسة.....
س	فهرس الصور.....
ع	فهرس الملاحق.....
1	المقدمة.....
4	أهمية الدراسة.....
6	مشكلة الدراسة.....
6	أسئلة الدراسة.....
8	منهج الدراسة.....
16	مجال الدراسة.....
ط	

16.....	حدود الدراسة.....
17.....	الدراسات السابقة.....
29.....	هيكل الدراسة.....
31.....	الفصل التمهيدي: التعايش السلمي في الإسلام.....
32.....	المطلب الأول: مقدمة حول التعايش السلمي.....
42.....	المطلب الثاني: مبادئ التعايش السلمي في الإسلام.....
49.....	المطلب الثالث: أنواع التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في عهد الدولة الإسلامية.....
57.....	الفصل الأول: المكانة الدينية لبيت المقدس عند المسلمين والمسيحيين.....
58.....	المبحث الأول: مكانة بيت المقدس عند المسلمين.....
58.....	المطلب الأول: فضائل بيت المقدس في الكتاب والسنة.....
67.....	المطلب الثاني: الاستراتيجية النبوية لتحرير بيت المقدس.....
76.....	المطلب الثالث: بيت المقدس في العهود الإسلامية المتعاقبة.....
81.....	المطلب الرابع: الأماكن الإسلامية المقدسة في بيت المقدس.....
94.....	المبحث الثاني: مكانة بيت المقدس عند المسيحيين.....
94.....	المطلب الأول: مولد المسيحية في بيت المقدس.....
101.....	المطلب الثاني: مسيحيو بيت المقدس في العهد الإسلامي.....

المطلب الثالث: الطوائف المسيحية في بيت المقدس وعلاقتها ببعضها.....	104
المطلب الرابع: الأماكن المسيحية المقدسة في بيت المقدس.....	111
الفصل الثاني: التعايش السلمي المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس 1897-	
1994م.....	122
المبحث الأول: الوجود الإسلامي المسيحي في بيت المقدس.....	123
المطلب الأول: نبذة عن بيت المقدس.....	123
المطلب الثاني: الجمعيات والمؤسسات في بيت المقدس.....	133
المطلب الثالث: الواقع المسيحي في بيت القدس.....	142
المطلب الرابع: فلسفة التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين.....	146
المبحث الثاني: التعايش السلمي المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس 1897-	
1994م.....	149
المطلب الأول: التعايش السلمي الديني بين المسلمين والمسيحيين.....	149
المطلب الثاني: التعايش السلمي الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين.....	161
المطلب الثالث: التعايش السلمي الفكري بين المسلمين والمسيحيين.....	171
الفصل الثالث: التعايش السلمي السياسي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس 1897-	
1994م.....	181

المبحث الأول: جهود مسلمي ومسيحيي بيت المقدس في التصدي للمشروع الصهيوني 1897-

1947م.....182

المطلب الأول: المواقف السياسية والدينية للدفاع عن عروبة فلسطين.....182

المطلب الثاني: النضال الإسلامي المسيحي لمقاومة الخطر الصهيوني في بيت المقدس 1917-

1935م.....189

المطلب الثالث: النضال الإسلامي المسيحي لمقاومة الخطر الصهيوني في بيت المقدس 1936-

1947م.....206

المبحث الثاني: جهود مسلمي ومسيحيي بيت المقدس في التصدي للاحتلال الإسرائيلي 1948-

1994م.....214

المطلب الأول: النضال الإسلامي المسيحي للتصدي للاحتلال الإسرائيلي 1948-

1967م.....214

المطلب الثاني: النضال الإسلامي المسيحي للتصدي للاحتلال الإسرائيلي 1967-

1986م.....224

المطلب الثالث: الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987-1994م.....233

الفصل الرابع: تحديات وآثار ومستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت

المقدس.....242

المبحث الأول: تحديات التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس.....243

243.....	المطلب الأول: التحديات الداخلية.....
254.....	المطلب الثاني: التحديات الخارجية.....
267.....	المبحث الثاني: آثار ومستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس.....
267.....	المطلب الأول: آثار التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس.....
274.....	المطلب الثاني: مستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس.....
279.....	الفصل الخامس: الخاتمة.....
280.....	المقدمة.....
282.....	الخلاصة.....
287.....	نتائج الدراسة.....
298.....	التوصيات.....
300.....	المصادر والمراجع.....
325.....	الملاحق: وثائق وصور.....

مصطلحات وردت في الدراسة:

(لا.ت): تعني أنه لم يرد في الكتاب أي تاريخ يشير إلى سنة النشر.

(لا.م): تعني أنه لم يرد في الكتاب أي ذكر لمكان النشر.

(لا.ن): تعني أنه لم يرد في الكتاب أي ذكر يشير إلى الناشر.

University of Malaya

فهرس الصور

- 86.....صورة رقم (1): المسجد الأقصى المبارك.....
- 87.....صورة رقم (2): موقع المسجد القبلي ومسجد قبة الصخرة.....
- 88.....صورة رقم (3): حائط البراق.....
- 89.....صورة رقم (4): مسجد عمر بن الخطاب.....
- 90.....صورة رقم (5): مسجد المئذنة الحمراء.....
- 91.....صورة رقم (6): الزاوية النقشبندية.....
- 112.....صورة رقم (7): كنيسة القيامة والمسجد الأقصى المبارك.....
- 113.....صورة رقم (8): واجهة كنيسة القيامة.....
- 117.....صورة رقم (9): كنيسة القديسة حنة.....
- 118.....صورة رقم (10): طريق الآلام.....
- 119.....صورة رقم (11): كنيسة الجثمانية.....
- 124.....صورة رقم (12): موقع بيت المقدس على خريطة فلسطين.....
- 126.....صورة رقم (13): خريطة إقليم بيت المقدس عند الدكتور خالد العويسي.....
- 196.....صورة رقم (14): مظاهرة نسائية في بيت المقدس.....

فهرس الملاحق

- ملحق رقم (1): كتاب رسول الله ﷺ لنصارى نجران.....326
- ملحق رقم (2): مذكرة الجمعية الإسلامية المسيحية إلى الحاكم العسكري البريطاني بالقدس برفض فكرة الوطن القومي اليهودي وفصل فلسطين عن سورية (القدس 20 / 8 / 1919).....327
- ملحق رقم (3): نداء من مسيحيي فلسطين إلى العالم المسيحي لإنقاذ الأماكن المقدسة من الخطر الصهيوني 1936.....329
- ملحق رقم (4): برقية السيد روجي الخطيب إلى الملوك والرؤساء والأمراء، العرب والمسلمين عام 1969، حول ضرورة السعي لوقف مصادرة الأملاك والأوقاف الملاصقة للحرم الشريف في القدس.....334
- ملحق رقم (5): صورة الدكتور ناجح بكيرات.....335
- ملحق رقم (6): صورة الدكتور جميل حمامي.....336
- ملحق رقم (7): صورة باسم خوري وزير الاقتصاد.....336
- ملحق رقم (8): صورة الأب رفيق خوري.....337
- ملحق رقم (9): صورة النائب برنارد سابيلا.....337
- ملحق رقم (10): صورة الدكتور عكرمة صبري.....338
- ملحق رقم (11): صورة النائب أحمد عطون.....339
- ملحق رقم (12): صورة الدكتور جمال عمرو.....340

ملحق رقم (13): صورة الدكتور حنا عيسى.....341.....

ملحق رقم (14): صورة الأب عيسى مصلح.....342.....

ملحق رقم (15): أسئلة المقابلات.....343.....

University of Malaya

المقدمة

تتمتع بيت المقدس بمكانة عظيمة عند أهل الشرائع السماوية، فهي مسرى رسول الله ﷺ، قال تعالى:

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء:1].

وهي عندهم (المسلمون) المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة، من حيث البركة والخيرية، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة"¹.

وقد كانت محط أنظار أتباع الشرائع السماوية، ذلك أنها تضم كثيرا من المقدسات، فهي تحوي آثارا لموسى وعيسى ومحمد _عليهم الصلاة والسلام_، مما أهل هذه المدينة أن تلعب دورا حضاريا، وتكون مركزا للاستقرار والتعايش بين الديانات الثلاث في كنف الإسلام. وكان هذا بالفعل، حيث كانت القدس في كنف الإسلام، نموذجا للتعددية والتعايش بين مختلف الطوائف، وفق قاعدة العدل والتسامح والاحترام المتبادل.

وهذا التطبيق العملي نابع من فهم المسلمين للقرآن الكريم، الذي حث على الإحسان إلى الذين لم يقاتلوهم في الدين، فقال تعالى:

{لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المتحنة:8].

¹ الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، (بيروت، دار الفكر، 1412هـ)، باب الصلاة في المسجد الحرام ومسجد، ج3، رقم الحديث: 5873، ص675.

وقد اعتبر القرآن الكريم أن النصارى هم الأقرب مودة للمسلمين، فقال تعالى:

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَبِيلِيَّيْنٍ وَرُحْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [المائدة:82].

ومنذ بدء المشروع الصهيوني، بدأ التقارب الإسلامي المسيحي في بيت المقدس يتجلى أكثر فأكثر، ويزداد العداء اليهودي للمسلمين والمسيحيين في المدينة المقدسة.

وهذا ما أشار إليه تقرير بريطاني حول الوضع السياسي في فلسطين غداة عام 1914: "إن المسلمين من سكان القدس وضواحيها يكونون للمسيحيين العطف والمودة، ولكنهم شديدو العداء لليهود، وإن شئنا المزيد من الدقة للصهيونيين. فهم يعارضون بشدة تزايد المجتمعات اليهودية في المدن والأرياف، ولاسيما ابتغاء الصهيونيين للأراضي، وبالتالي تجريد السكان من ممتلكاتهم"¹.

وظلت حالة التوافق والتعايش قائمة، سواء أكان المسيحيون هم الأكثرية، كما كان بعد الفتح الإسلامي للمدينة، أو كان المسلمون هم الأكثرية، وذلك في الفترات اللاحقة.

فقد بقيت مدينة القدس من قبل الفتح الإسلامي، وحتى يومنا هذا حافلة بالكنائس والمزارات والمقدسات المسيحية.. رعاها المسلمون أكمل وأفضل رعاية، عند الفتح الإسلامي وبعده بوقت طويل... بل إن التاريخ شاهد صدق، على أن المسلمين زادوا عليها، فوسعوا في أرضها وأعلوا مبانيها، وأنفقوا في سبيل هذا مالا كثيرا من خزانة الدولة الإسلامية².

¹ المحجوبي، علي، جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، (تونس، دار سراس للنشر، 1990)، ص66.

² الكاتب، عبد الحميد، القدس.. الفتح الإسلامي والغزو الصليبي والمهجمة الصهيونية، (القاهرة، دار الشروق، ط1، 1415هـ/1994م)، ص156.

ولهذا فإن التعايش الإسلامي المسيحي في القدس ظاهرة حضارية، حري أن تدرس وتسلط عليها
أضواء الباحثين، لنستفيد من هذه التجربة، بمعرفة أشكال ذلك التسامح، والوقوف على أسبابه وآثاره في واقع
الناس وواقع المدينة المقدسة، ثم ليكون نموذجاً يحتذى به في العالم أجمع، سيما أن المخططات الصهيونية لم تفلح
في تغيير تلك الصورة المشرقة الناصعة.

أسباب اختيار الدراسة:

هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

1_ الأسباب الذاتية:

أ_ للقدس حق على كل مسلم وكل عربي، وخدمتها واجب شرعي وإنساني على كافة الأصعدة:
السياسية والاقتصادية والأكاديمية والإعلامية، وغيرها، وأنا هنا أسعى لخدمة هذه القضية أكاديمياً.
ب_ وجودي في فلسطين سيجب لي دراسة هذا الموضوع المهم، خاصة أنني قريب من بيت المقدس،
صحيح أنني لا أستطيع الوصول إلى هذه المدينة المقدسة، لكني سأبذل كل جهد في التواصل مع أهلها.

2_ الأسباب الموضوعية:

أ_ القدس قضية العرب والمسلمين الأولى، ومهما انشغلت الدول العربية والإسلامية بقضاياها الخاصة،
وأدى ذلك إلى الاختلاف والتشتت، فإن القدس هي القضية الوحيدة التي لا يختلف عليها اثنان، فكل الأمة
بمختلف توجهاتها الفكرية والمذهبية مجمعة على هذه القضية. ولذلك فإن هذه الدراسة تسعى لحث الأمة على
توحيد جهودها من أجل نصرته القدس، والدفاع عن أهلها ومقدساتها.

ب_ لقد قدم المسلمون والمسيحيون في القدس مثالا عظيما للتعايش والتسامح على مدى قرون طويلة، وانعكس هذا التعايش حبا لمدينتهم، فكان لهم جهود عظيمة في الدفاع عنها، وقدموا في سبيل ذلك أعلى ما يملكون، ولهذا فإن هذه الدراسة تسعى لبحث هذه الظاهرة والوقوف عند منجزاتها.

أهمية الدراسة:

_ معلوم أن الدين الإسلامي هو دين التسامح والعدل، وقد عاش الفاتحون المسلمون مع أهل البلاد التي فتحوها على مدار قرون، فلم يظلموا أو يهضموا حقوق من يخالفهم الدين، فتأثر كثير من أولئك بسماحة هذا الدين، وكان ذلك سببا رئيسا لاعتناقهم الإسلام، أما من بقي على دينه، فعاش في كنف الدولة الإسلامية، آمنوا على نفسه وماله وعبادته، مالم يرتكب جرما. وقد كانت مدينة القدس أفضل مثال على ذلك، فعاش المسلمون والمسيحيون في مدينة واحدة، المسجد الأقصى وبالقرب منه كنيسة القيامة، وهذا أوضح وأبرز مثال على التسامح والتعايش، ولهذا فإن هذه الدراسة ستعمل على تقديم نموذج حضاري للتعايش بين أتباع الديانتين؛ ليكون نموذجا يقتفى في كل عصر ومصر، فهذه الدراسة تعطينا دليلا قاطعا، بأن التعايش يمكن تحقيقه في أي مكان؛ إذا توفرت الظروف التي وفرها المسلمون لبيت المقدس خلال تلك الفترة.

_ تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تبرز سماحة وعدل الإسلام، فاذا أردنا الدفاع عن الإسلام من التهم التي يوجهها له الغرب بالإجرام والإرهاب وسفك الدماء، فنحن أمام أسلوبيين: إما أن نرد بعبارات عاطفية، قد يرافقها التشنج، وإما أن نرد بمنهجية علمية، من خلال تقديم نموذج واقعي، وهو كذلك ليس من تجارب الماضي، وإنما تجربة حاضرة، ما زالت آثارها الحضارية قائمة، وهذا ما تقدمه هذه الدراسة.

_ تعرض المسلمون والمسيحيون في القدس على حد سواء للتهجير، ففي عام 1948 أقر مكتب غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا) أن عدد الفلسطينيين المطرودين يصل الى (900 ألف)، أما بالنسبة للمسيحيين، فقد صرح البطريق اللاتيني في القدس، حول خروج الكاثوليك، أن عددهم أصبح أقل من عشرة

الاف شخص، بالمقارنة بأكثر من خمسين ألفا قبل عام 1948م¹. ومن المهم أن نسلط الضوء على هذه المعاناة المشتركة للمسلمين والمسيحيين في المدينة التي يتقاسمون فيها الحياة ومشقاتها.

_ لاشك أن عرب القدس (مسلمين ومسيحيين)، مثل كل عرب فلسطين، تصدوا للمشروع الصهيوني منذ أن بدأت ملامحه في الظهور على أرض فلسطين، وكان لوقوف المسلمين والمسيحيين ضد المطامع الصهيونية، أثر بالغ في تصليب المقاومة العربية، وتوعية الفلسطينيين بالخطر الصهيوني والتآمر البريطاني والغربي على القضية الفلسطينية عموماً، وعلى القدس خصوصاً. وقد تصدى المسلمون والمسيحيون، في وقت مبكر للمشروع الصهيوني، فقد اتفق المسلمون والمسيحيون على مقاومة الحركة الصهيونية، فرفضوا الانتداب البريطاني، وطالبوا بإلغاء وعد بلفور، كما طالبوا بالاستقلال التام ضمن الوحدة السورية². وهدف هذه الدراسة هو رصد المواقف العربية التي تصدت للمشروع الصهيوني.

_ نظراً للأوضاع الخاصة التي عاشتها فلسطين في تلك الفترة، فقد تأسست الجمعيات الإسلامية والمسيحية في وقت مبكر؛ للدفاع عن فلسطين والقدس، وقد جاء في منشور صدر عن الجمعية الإسلامية المسيحية إبان زيارة لجنة "كينغ-كرين" إلى فلسطين عام 1919م: "إننا نرفض كل الرفض السماح بأن تتحول فلسطين إلى وطن قومي لليهود، ونحن لا نسمح كذلك لأي يهودي بالهجرة إلى بلادنا ونحتج بقوة على الحركة الصهيونية، أما اليهود المحليون الذين كانوا يقطنون فلسطين من قبل، فينبغي اعتبارهم مواطنين يتمتعون بالحقوق والواجبات التي نتمتع بها"³. لذلك فإننا نسعى للتعرف على تلك المؤسسات، ودورها في الدفاع عن مدينة القدس، ونقل تجربة العمل الإسلامي المسيحي المشترك.

¹ جارودي، روجيه، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، (القاهرة، دار الشروق، ط3، 1422هـ/2002)، ص48.

² العارف، عارف، تاريخ القدس، (القاهرة، دار المعارف، ط2، لا.ت)، ص141.

³ حمودة: سناء، الدور المسيحي الفلسطيني في مواجهة الاحتلال، موقع مؤسسة القدس الدولية، مقال منشور على الانترنت.

مشكلة الدراسة:

- عاش المسلمون والمسيحيون في بيت المقدس جنبا إلى جنب، وكان لهم موقف موحد عبروا فيه عن رفض المشروع الصهيوني، ووقفوا صفا واحدا في وجه التآمر البريطاني، والتخطيط الصهيوني لتهويد المدينة.
- رغم التضييق السياسي، الذي تتعرض له المدينة منذ مطلع القرن الماضي، في عهد الاحتلال البريطاني ثم الإسرائيلي، وكذلك الواقع الاقتصادي المتردي في المدينة، نتيجة السياسة التي تنتهجها (إسرائيل)؛ لتهجير أهل المدينة من بيوتهم ومحلاتهم، فإنها تعطي صورة حضارية لذلك التعايش بين المسلمين والمسلمين قل نظيره في العالم.
- ولذلك فإن السؤال الذي تطرحه هذه الدراسة: كيف نجح المسلمون والمسيحيون في تحقيق حالة التعايش والتسامح رغم كافة العقبات الناتجة عن الاحتلال الإسرائيلي؟.
- وبعد أن مرت هذه التجربة بمراحل مختلفة في العصر الحديث، ابتداء من أواخر العصر العثماني، ثم الاحتلال البريطاني، وختاما الاحتلال الإسرائيلي، الذي اعتدى على حقوق المسلمين والمسيحيين، تظهر جليا مشكلة البحث، التي تتناول تقييم هذه العلاقة التاريخية بين المسلمين والمسيحيين، والكشف عن جهود كل منهما للدفاع عن الحق العربي في بيت المقدس.

أسئلة الدراسة:

ستحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

1_ ما هو مفهوم التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين؟.

2_ ما أهمية بيت المقدس عند المسلمين والمسيحيين؟.

3_ ما حجم الوجود الإسلامي والمسيحي في بيت المقدس، وماهي مظاهر التعايش المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين؟.

4_ ماهي مظاهر التعايش السياسي بين المسلمين والمسيحيين، وما هو دور الجانبين في التصدي للمشروع الصهيوني؟.

5_ ما هي الظروف السياسية والاقتصادية والاقليمية والاقتصادية التي تؤثر على حالة التعايش الإسلامي المسيحي؟.

6_ ماهي آثار التعايش الإسلامي المسيحي على الحياة العلمية والفكرية والاجتماعية في بيت المقدس؟، وما هي آثاره على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي؟.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1_ دراسة تاريخية لبيان مدى أهمية بيت المقدس عند المسلمين والمسيحيين.

2_ كشف حجم الوجود الإسلامي والمسيحي في بيت المقدس، ومظاهر التعايش المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين.

3_ تقييم مظاهر التعايش السياسي بين المسلمين والمسيحيين، ودور الجانبين في التصدي للمشروع الصهيوني.

4_ تحليل تحديات وآثار ومستقبل التعايش الإسلامي المسيحي في بيت المقدس، وانعكاس ذلك على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

منهج الدراسة: _

هذه الدراسة تجمع بين نوعين من البحوث، هما: البحث الوثائقي (المكتبي) والميداني، وهما كالتالي:

1_ البحث الوثائقي:

وذلك لأن الدراسة تعتمد على المصادر والوثائق المطبوعة وغير المطبوعة كالكتب والدوريات والنشرات، مثل: صحيفة الحياة الجديدة، وصحيفة القدس. وقد اتبعت في هذا البحث المنهجين: التاريخي، والاستقرائي.

أ_ المنهج التاريخي:

الذي يعتمد على وصف الأحداث التاريخية وصفا دقيقا، فيتناول تلك الأحداث بالتحليل والمناقشة والتفسير؛ وذلك بقصد فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

ونحن هنا سنرصد الأحداث التاريخية التي جسدت التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس؛ لنقدم تفسيراً منطقياً لسوء العلاقات الإنسانية في بيت المقدس، على الرغم من الواقع السياسي الصعب، ونحاول تقديم صورة مستقبلية للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين.

ب_ المنهج الاستقرائي:

نتناول من خلال هذا المنهج، الجوانب الدقيقة للحياة الدينية والاجتماعية والفكرية بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، والعوامل التي ساهمت في تكوين هذه الخصوصية للتعايش الإسلامي المسيحي، ومدى تأثير ذلك كله على الواقع السياسي، وواقع المقاومة الإسلامية المسيحية للاحتلال البريطاني والإسرائيلي. وتنبع أهمية هذا المنهج في أنه يساعدنا على تحديد معالم البيئة الحاضنة للتعايش السلمي، وبالتالي فهم فلسفة التعايش السلمي في بيت المقدس.

2_ البحث الميداني:

الذي يعتمد على إجراء المقابلات مع أصحاب العلاقة في القضية موضوع الدراسة. وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي.

أ_ المنهج الوصفي:

الذي يعتمد على التحليل المرتكز على معلومات دقيقة عن الموضوع محل الدراسة؛ من أجل الحصول على نتائج عملية تم تفسيرها بشكل موضوعي.

ونحن هنا بصدد التوصل إلى معرفة دقيقة وتفصيلية عن كافة مكونات التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس في فترة الدراسة؛ لتحقيق فهم أفضل لها، بما يضمن تعزيز الايجابيات، ووضع حلول مناسبة للتحديات.

أما الطريقة التي استندت إليها في التعامل مع المعلومات فكانت كالتالي:

1_ طريقة جمع المعلومات:

أ. المراجع:

زرت العديد من المكتبات في كوالالمبور، أما في فلسطين فزرت مكتبات قطاع غزة فقط؛ لأنه ليس مسموحاً لسكان غزة زيارة بقية مدن فلسطين، كما بحثت على الشبكة العنكبوتية، ثم بدأت بحصر وجمع المراجع المتعلقة بتاريخ بيت المقدس، وصنفتها وفق ارتباطها بموضوع دراستي، فكان منها مراجع تشير إلى الموضوع اشارات ضمنية، وبعضها الآخر يذكر ذلك صراحة، وهي قليلة، وبناء على ذلك حددت الخطوط العامة للدراسة.

وقد استعنت بالعديد من الكتب والأبحاث والمقالات والبرامج التلفزيونية، التي تناولت تاريخ بيت المقدس، وقد احتوت بعض هذه الكتب على معلومات قيمة، تطرقت إلى التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، وفي كثير من الأحيان كان ذكر هذه المعلومات عابراً، ذلك أنها لم تكن في سياق الحديث عن العلاقات الإسلامية المسيحية، وإنما ذكراً لجملة من المواقف في سياق مقاومة الاحتلال البريطاني أو الإسرائيلي على سبيل المثال.

ومن أمثلة هذه الكتب:

— أبو جابر، رؤوف، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، 2004.

— حمدان، غسان، الانتفاضة المباركة.. وقائع وأبعاد، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1989م.

— العارف، عارف، تاريخ القدس، القاهرة، دار المعارف، ط2، (لا.ت).

— الغوري، إميل، فلسطين عبر ستين عاماً، بيروت، دار النهار، 1972م.

— القضاة، أحمد، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،

ط1، 2007م.

ومن أمثلة الأبحاث:

— أبو الحاج، ثابت، العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً، مجلة الجنان، بيروت،

2015، ع7.

— أبو صالح، مُجد، التطور التاريخي لنضال الشعب الفلسطيني للحفاظ على يوسية القدس، الأعمال الكاملة

للمؤتمر الدولي لنصرة القدس المنعقد في القدس وبيروت وغزة، مركز قدس نت، يونيو (جزيران) 2007م، ج2.

__ البطمة، نادية، صفحات ثقافية مقدسية مطوية قبل نكبة 1948م، مجلة شؤون فلسطينية، رام الله، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، شتاء 2013م، ع251.

خوري، رفيق، القدس في الذاكرة المسيحية، بحث مقدم لمؤسسة القدس الدولية (فرع غزة) لتقديمها في دورة معارف مقدسية التي نظمتها المؤسسة عام 2012م.

ومن أمثلة المقالات:

__ خزمو، جاك، تضائل عدد المسيحيين لأسباب وعوامل عديدة، البيادر السياسي، السنة السابعة والعشرون، حزيران 2007م، ع928.

__ سايبلا، برنارد، الحضور المسيحي في فلسطين، مجلة فلسطين، بيروت، تصدر عن صحيفة السفير العربي، ع18، السنة الثانية، نشر بتاريخ السبت 15 تشرين أول (أكتوبر) 2011م.

__ عبد الهادي، فيحاء، نساء مقدسيات في الذاكرة الشعبية الجماعية"، صحيفة "الأيام" الفلسطينية، رام الله، تصدر عن شركة مؤسسة الأيام للطباعة والصحافة والنشر والتوزيع، نشر المقال بتاريخ 20 تشرين الأول (أكتوبر) 2013م.

ومن أمثلة المواد التلفزيونية:

__ برنامج التآخي بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين، قناة الجزيرة، 22 تموز (يوليو) 2007م.

__ برنامج لقاء اليوم، قناة الجزيرة، 8 أيلول (سبتمبر) 2000م:

__ فيلم النكبة، ج1، خيوط المؤامرة، قناة الجزيرة، 2008م.

ب. السير الذاتية:

حفلت بيت المقدس بكتب المذكرات الشخصية لعدد من المفكرين والأدباء المقدسين، وقد سطر هؤلاء في مذكراتهم صنوفا من جوانب الحياة، الدينية، والاجتماعية، والأدبية، والسياسية، عبروا فيها عن مشاعرهم الإنسانية، وعن قدر كبير من الاحترام والوفاء، الذي يكنه المسلمون والمسيحيون لبعضهم البعض.

ومن أمثلتها:

— أبو غربية، بهجت، مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949م، في خضم النضال العربي الفلسطيني، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 1993م.

— تماري ونصار، سليم وعصام، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية (1917-1904م)، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2003م، الكتاب الأول.

— السكاكيني، خليل، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية.

— نصار وتماري، عصام وسليم، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية (1914-1948م)، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2005م، الكتاب الثاني.

ت. الوثائق:

استندت في هذه الدراسة إلى مجموعة من الوثائق، فعلى سبيل المثال عندما تم احراق المسجد الأقصى المبارك، بعثت الطوائف المسيحية داخل فلسطين وخارجها بقرقيات احتجاج على الجريمة، وطالبت برص الصفوف والعمل الجاد من أجل إنقاذ بيت المقدس.

ومن أمثلتها:

— أيوب، سمير، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، بيروت، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،

1984م، ج3.

— الحوت، بيان، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939م، (من أوراق أكرم زعيتر)، بيروت،

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، 1984م.

— الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية (5)، جمع وتصنيف:

جورج خوري نصر الله، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية والجامعة اللبنانية، ط1، 1971م.

ث. المقابلات:

كان معظم الكتب يتوقف عند عام 1967، ونظرا لأن هذه الدراسة تمتد حتى عام 1994، فكان لا

بد من تغطية العجز في المعلومات الناتج عن توقف الكتب عند محطات تاريخية سابقة لهذا التاريخ، ثم إنني

كنت في شغف لتقديم تفسير مقنع لكثير من المواقف، ومعرفة آراء النخب الدينية والاجتماعية، والفكرية،

والسياسية في قضايا تمس التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين، ولم يرد ذكرها في الكتب والأبحاث،

ولذلك أجريت مجموعة من المقابلات المنظمة مع نخب من أبناء الديانتين في بيت المقدس.

تخطيط المقابلات:

بدأت باستشارة مجموعة من ذوي الرأي والخبرة، سواء من قطاع غزة أو بيت المقدس، وبعد أن تم تحديد

الشخصيات اتصلت بكل واحد منهم عبر الهاتف، فلم أوفق في الوصول إلى بعض الشخصيات، مثل: المطران

عطالله حنا، واعتذر آخرون عن إجراء المقابلة، مثل: الشيخ رائد صلاح، الذي اعتذر بتواضع وأدب جم، إذ

طلب مني إجراء المقابلة مع شخصيات متخصصة أكاديميا. أما من وافق فأرسلت له الأسئلة، ثم اتفقت معه على موعد إجراء المقابلة، وبعد ذلك أجريت معه المقابلة عبر الهاتف، وتم تسجيل المقابلة. وقد تطلب اجراء المقابلة مع بعض الشخصيات، الاتصال (3) أو (4) مرات، فيما اتصلت بأخرين أكثر من ذلك، نظرا لانشغالهم، لكنني وجدت ترحيبا واهتماما بالموضوع من الجميع.

ولماذا عبر الهاتف؟

لأن الاحتلال الإسرائيلي يمنع سكان قطاع غزة من السفر إلى القدس، وإلى أي مدينة فلسطينية أخرى، فيحرمننا بذلك من الصلاة في المسجد الأقصى المبارك، والتواصل مع أبناء شعبنا. الشخصيات التي تمت مقابلتها:

- _ أبو خضير، مُجدد، صحفي في صحيفة القدس منذ 1987م، الاثنين 22 حزيران (يونيو) 2015م.
- _ بكيرات، ناجح، مدير المسجد الأقصى المبارك، الأحد 7 أيلول (سبتمبر) 2014م.
- _ حمامي، جميل، محاضر في جامعة القدس وعضو الهيئة الإسلامية العليا في القدس، السبت 7 حزيران (يونيو) 2014م.
- _ خوري، باسم، وزير الاقتصاد الفلسطيني الأسبق، السبت 3 كانون ثاني (يناير) 2015م.
- _ خوري، رفيق، كاهن ولاهوتي فلسطيني، من كهنة البطريركية اللاتينية - القدس، الأحد 8 حزيران (يونيو) 2014م.
- _ سابيلا، برنارد، نائب مسيحي في المجلس التشريعي، السبت، 6 كانون الأول (ديسمبر) 2014م.
- _ صبري، عكرمة، خطيب المسجد الأقصى ورئيس الهيئة الاسلامية العليا في القدس، السبت 4 نيسان (أبريل) 2015م.

_ عطون، أحمد، نائب عن مدينة القدس على قائمة التعمير والإصلاح, الأربعاء تشرين أول (أكتوبر) 2014م.

_ عمرو، جمال، خبير في شؤون القدس وأستاذ الهندسة المعمارية في جامعة بيرزيت، الاثنين 3 تشرين ثاني (نوفمبر) 2014م.

_ عيسى، حنا، أمين عام الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، الثلاثاء 10 آذار (مارس) 2015م.

2_ طريقة تحليل المعلومات:

أ- التفسير:

حاولت قدر الامكان تفسير العلاقة بين المواقف الإنسانية والأحداث التاريخية، فعلى سبيل المثال دفاع المسلمين عن مقدسات المسيحيين، والعكس صحيح، ليس حدثا تاريخيا معزولا عن العلاقات الإنسانية السامية، التي تحكم علاقات الطرفين ببعضهما على مدار التاريخ المشترك في بيت المقدس.

ب- التنبؤ:

عندما تطلع على ظاهرة ممتدة على مدار تاريخ طويل، فإن هذا يمنحك القدرة على التنبؤ بمستقبل هذه الظاهرة، وهنا فإن هذا التاريخ الكبير من التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين، يتيح لنا استشراف المستقبل، مع ضرورة تقديم رؤية واضحة للحفاظ على هذه الظاهرة الفريدة.

مجال الدراسة:

يتحدد مجال الدراسة على النحو التالي:

1_ المجال الموضوعي: تتولى هذه الدراسة تقييم العلاقة التاريخية بين المسلمين والمسيحيين، والكشف عن جهود كل منهما في التصدي للمخططات البريطانية والإسرائيلية لتهويد مدينة القدس المحتلة.

2_ المجال الزمني: تركز هذه الدراسة على الفترة التاريخية من عام 1897-1994م.

3_ المجال المكاني: تركز الدراسة على مدينة القدس المحتلة.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على الفترة التاريخية ما بين عام 1897-1994م، وذلك لأن المؤتمر الصهيوني الأول عقد في آب (أغسطس) 1897، في بال بسويسرا، وفي تقديري كان ذلك التاريخ مرحلة فارقة في مستقبل المشروع الصهيوني في فلسطين، ففي ذلك العام تم بلورة المخططات الصهيونية وترجمتها إلى مشروع عملي، ولذلك كان البذرة الحقيقية الأولى لإقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

أما عام 1994م فشهد في كانون ثاني (يناير) دخول السلطة الفلسطينية إلى الضفة وغزة بعد توقيع اتفاقية التسوية بين منظمة التحرير الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم أجد دراسات متخصصة بالتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، إلا دراسة واحدة للدكتور ثابت أبو الحاج، ولكنني وجدت العديد من الدراسات التي تتطرق إلى الموضوع بشكل عام، دون تخصيص بيت المقدس بالبحث والتفصيل، ومن هذه الدراسات ما يلي:

أولاً: الكتب:

__ "فلسطين عبر ستين عاماً"، اميل الغوري، (الجزء الأول والثاني) دار النهار، 1972م.

يعرض الكتاب للأحداث التاريخية، التي مرت بالقضية الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني، والمحاولات البريطانية لتصفية الوجود العربي في القدس وفلسطين، وجهودها في اقامة الكيان الصهيوني، الذي نهب الأرض العربية.

ويناقش الكاتب دور العرب، مسلمين ومسيحيين في التصدي للخطر الصهيوني، والتحديات التي تواجه الوجود الإسلامي المسيحي في بيت المقدس.

ومع أهمية هذا الكتاب فإنه لا يتعرض لكافة أشكال التعايش بين المسلمين والمسيحيين، كما أنه يتوقف عند عام 1937، وهذه الدراسة سوف تعرض لأشكال التعايش المجتمعي والسياسي.

__ "القدس"، هنري كتن، ترجمة إبراهيم الراهب، 1997م.

يستعرض الكتاب تاريخ بيت المقدس من العصور القديمة إلى الاحتلال البريطاني عام 1917م، ثم يتطرق إلى الدور البريطاني في التمكين للاحتلال الإسرائيلي، من خلال غض الطرف عن الممارسات اليهودية، وسن القوانين التي تساعد في زيادة أعداد المهاجرين اليهود.

كما يتناول الكاتب موقف العرب من الإجراءات البريطانية، والارهاب اليهودي، الذي استمر وصولاً إلى حرب عام 1948، وما رافقها من أعمال عدوانية ضد الشعب الفلسطيني؛ لتهجيده من أرضه. إضافة إلى إجراءات تهويد المدينة، التي بدأت بعد عام 1967م.

والجديد في دراستي أنها تقدم الدور التكاملي للمسلمين والمسيحيين في مواجهة هذه الإجراءات، التي تهدف إلى تهويد المدينة، وسلخها عن واقعها العربي.

— "القدس إيمان وجهاد" للمؤلفين: عرفان نظام الدين وعلي طاهر الدجاني، عام 1987م.

منذ الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس عام 1967م، وهي تئن تحت وطأة احتلال عسكري شرس، يتهدد هذه المدينة بالتهويد، ومقدساتها الإسلامية ومآثرها العربية بالتدمير وسلخها كلياً عن واقعها العربي الإسلامي.

وبعد مرور أربع سنوات على احتلالها، والمدينة صامدة في وجه المؤامرة على عروبتها وطابعها التاريخي، وقد عقد أهلها العزم على مقاومة الغزو الصهيوني، معلقين آمالهم على صمود العرب ومساندة العالم الإسلامي والمسيحي لقضيتهم العادلة.

ويوضح الكتاب أن الصهيونية خطر على المسلمين والمسيحيين، فالمقدسات الإسلامية والمسيحية تتعرض للاعتداء والتهويد، والاحتلال الإسرائيلي يريد مدينة فارغة من المسلمين والمسيحيين، وهو يحاول دائماً الإيقاع بين اتباع الديانتين.

ويشير الكتاب إلى أن المسلمين والمسيحيين وقفوا في وجه المشروع الصهيوني منذ بدايته، كما دافعوا عن مدينة القدس بكافة الوسائل المتاحة لهم.

ولكن الكتاب لا يدرس تفاصيل العلاقة الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين والمسيحيين في القدس،

كما أنه يتوقف عند عام 1982، وهذا ما أحاول تعويضه في هذه الدراسة.

_ The First Islamic Conquest of Aelia (Islamic Jerusalem): A Critical Analytical Study of the Early Islamic Historical Narratives and Sources, Othman Ismael Al-Tel, Al-Maktoum Institute Academic Press, 2003.

يحاول هذا الكتاب إيجاد حل أو قراءة جديدة لاختلاف الروايات عن فتح بيت المقدس الأول في كتابات المؤرخين المسلمين. فيناقش الكتاب أسماء وتواريخ الفتح المختلفة، ويحلل هذه الروايات بطريقة نقدية عن طريق فهم الرواة وأسباب اختلافهم.

كما يناقش زيارة الخليفة عمر بن الخطاب لفتح بيت المقدس، وزياراته المتعاقبة وأسبابها. ويبحث التقسيمات الإدارية الجغرافية، وأساليب إدارة المسلمين الأوائل لإقليم بيت المقدس.

_ "الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، للدكتور: رؤوف أبو جابر، عام 2004.

ويشتمل الكتاب بعد الحديث عن الأوضاع العامة في القدس في بداية القرن التاسع عشر وفترة الحكم المصري وعودة الحكم العثماني بعد خروج المصريين من بلاد الشام، على دراسة عن الكنائس المسيحية سواء كانت الشرقية القديمة والغربية الوافدة، واشتداد المنافسة بينها، وقيام النهضة الشعبية الجديدة في أواخر القرن التاسع عشر، سواء في الحقول الاقتصادية والتعليمية والصحية والثقافية، بحيث أن المدينة أصبحت من مدن بلاد الشام الرائدة بالنسبة لهذه المزايا حتى إذا جاءت الحرب الأولى تعرضت فيها القدس لمعاناة خاصة بعد أن

توقف مجيء الحجاج إلى مزاراتها، ولكن المعاناة الحقيقية وقعت بعد الاحتلال الإنجليزي للمدينة عام 1917، وترتيبات الاحتلال المخادعة لتنفيذ وعد بلفور.

ويعتبر الكتاب أن فترة الحكم الأردني للقسم العربي من مدينة القدس ما بين 1948-1967م، كانت فترة انفتاح وإدارة ناجحة، بحيث أصبحت المدينة عنواناً للعيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين.

ويرى الكاتب أن المسلمين والمسيحيين من أبناء هذا البلد انطلقوا معا نحو هدف معين هو التفكير في مصير وطنهم وأمتهم، وهم يسرون في هذا المضمار على نهج واحد، وهو أنهم متقاربون كثيرا من حيث الأخلاق والطباع، ومن حيث المبادئ الأساسية والاجتماعية، وقد قاوموا الإنتداب البريطاني والاستيطان اليهودي.

ولكن الكتاب يبحث واقع المسيحيين فقط في المدينة، وما يميز هذه الدراسة أنها ستبحث في واقع المسلمين والمسيحيين، والتعايش بين الفريقين في بيت المقدس.

— القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، سليم تماري وعصام نصار، مؤسسة الدراسات المقدسية، الكتاب الأول 2003، والكتاب الثاني 2005م.

تم إعداد هذين الكتابين من مذكرات الموسيقار الفلسطيني واصف جوهرية؛ لتغطية الأحداث الثقافية والاجتماعية، والسياسية، في المرحلة التاريخية ما بين 1904-1948 من تاريخ القدس بشكل خاص وفلسطين بشكل عام.

لا يقدم الكاتب سردا للأحداث فحسب، بل لديه القدرة على التفسير، ولذلك فإن القارئ يحيط بالأحداث ومسبباتها ونتائجها. ويقدم جوهرية في مذكراته صورة مشرقة للتسامح الديني بين المسلمين

والمسيحيين، فقد عمل لدى موسى كاظم الحسيني، رئيس بلدية القدس آنذاك، وكانت لعائلته علاقة وطيدة بعائلة الحسيني وغيرها من العائلات المسلمة.

ويتناول الكتاب العادات الاجتماعية في القدس، كما يصف أحياء المدينة، ويستعرض مسيرة الكفاح العربي ضد الإنجليز واليهود.

ورغم تميز وأهمية ما ورد في الكتابين، إلا أنني سأقدم إضافة تعوض ما لم يذكر هنا من مظاهر وآثار وتحديات التعايش السلمي.

Islamic Jerusalem and its Christians, a History of Tolerance and Tensions, Maher Y. Abu-Munshar, Tauris Academic Studies, 2007.

يقدم هذا الكتاب دراسة نقدية للأحداث التاريخية في عهد الفاتحين عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي، حيث يدرس مفهوم العدالة في الإسلام، والتي كانت المنظور الذي تعامل به عمر وصلاح الدين مع المسيحيين في بيت المقدس.

كما يناقش الكتاب موقف الإسلام من المسيحية، ومعاملة النبي ﷺ لنصارى نجران. ثم عهدة عمر لأهل إيلياء والإشكاليات في نصوص الشروط العمرية، التي يرى الباحث أنها نتاج للقرون اللاحقة. ثم يعرض مقارنة لأعمال الخليفة عمر مع صلاح الدين، وتكمن أهمية هذا البحث في تقديم نموذجين للسماحة والعدالة المستمدان من الكتاب والسنة.

ولكن الكتاب يبحث في فترتين في التاريخ الإسلامي، هما: فتح القدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتحريرها في عهد صلاح الدين الأيوبي، بينما هذه الدراسة ستبحث واقع المسلمين والمسيحيين في العصر الحديث.

_ Mapping Islamic Jerusalem, A Rediscovery of Geographical Boundaries, Khalid El-Awaisi, Al-Maktoum Institute Academic Press, 2007.

يناقش هذا الكتاب إقليم بيت المقدس وامتداده الجغرافي خلال العصور الإسلامية من خلال إجراء دراسة تحليلية لحدود هذا الإقليم. وتبحث الدراسة في أسلوب نقدي في الروايات المباشرة والعامية التي أشارت إلى إقليم بيت المقدس منذ العصر الإسلامي المبكر.

ويدرس الكتاب الامتداد الجغرافي لمنطقتي الأرض المقدسة والأرض المباركة، والتي يعد إقليم بيت المقدس جزءا مركزيا فيهما. كما تشمل بحثا تفصيليا للمصادر الإسلامية فيما يتعلق بالإشارة لأسماء بيت المقدس على مر العصور، فتارة كانت تشير إلى المسجد الأقصى، وتارة إلى ما يسمى حاليا "البلدة القديمة"، وتارة أخرى إلى إقليم بيت المقدس.

والجديد في دراستي أنها ستناقش العلاقة المصرية والتاريخ المشترك بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس.

_ Jerusalem: From the Ottomans to the British, Roberto Mazza, 2009.

في ديسمبر عام 1917، دخلت القوات البريطانية القدس، منهية بذلك الحكم العثماني وفتح حقبة جديدة ومهمة في تاريخ القدس. يناقش روبرتو مازا فترة الانتقال من الحكم العثماني إلى الإدارة البريطانية، مع التركيز على التغيرات الاجتماعية والسياسية من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، كما يناقش أثر التغيير

الإداري على السكان المحليين. ويستخدم دراسات الحالة لتقديم وجهات نظر جديدة في هذه الفترة غالباً ما يتم تجاهلها في تاريخ القدس.

ويقدم الكتاب نظرة واقعية لأحوال المسيحيين في المدينة، كما أنه يعالج الحالة الاجتماعية والاقتصادية في القدس خلال هذه الفترة، وعلاقة السكان ببعضهم، وكذلك موقفهم من مجمل القضايا السياسية التي مرت بالقدس في فترة الدراسة، ولكنه يتوقف عند احتلال بريطانيا للقدس.

— يوميات خليل السكاكيني، خليل السكاكيني، مركز خليل السكاكيني الثقافي، مؤسسة الدراسات المقدسية، الكتب التالية: الثالث 2004م، والخامس (ج2) 2004م، والسابع 2009م، والثامن 2010م.

تمثل يوميات خليل السكاكيني قصة صراع إنسان مع الحياة، دون السكاكيني في يومياته الأحداث التي مرت بها فلسطين عامة والقدس خاصة، من تطورات سياسية واجتماعية وفكرية. وقد كان السكاكيني يضيف رأيه لتلك الأحداث، فتكونت لديه آراء كثيرة في السياسة، والأدب، واللغة، والتاريخ، والاجتماع، والفلسفة. اهتم السكاكيني بمدينته ومسقط رأسه، فأفرد مساحة كبيرة من يومياته للقدس، فقد صور النشاطات التربوية، والثقافية، والاجتماعية، تصويراً دقيقاً، يعد مرجعاً للباحثين والمؤرخين.

ومع أن هذه المذكرات زاخرة بالمواقف، التي تظهر حقيقة العلاقة الأخوية بين المسلمين والمسيحيين، إلا أنها لا تشمل كافة أشكال التعايش السلمي بين الطرفين، كما أنها لا تشمل كل فترة الدراسة.

__ غير المسلمين في الجمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2004.

يوضح المؤلف حقوق أهل الذمة، ومنها حق الحماية من الظلم الداخلي والإعتداء الخارجي، وحرية التدين والعمل، بل وتولي الوظائف في الدولة. ويتناول ضمانات أداء هذه الحقوق، وهي: ضمان العقيدة، والمجتمع المسلم. ويبين واجبات أهل الذمة في المجتمع المسلم.

ويوضح الكتاب درجات التسامح عند المسلمين، والأسس التي يمتثل لها المسلمون في تسامحهم مع المخالفين في الدين، وأهمها: الاعتقاد بكرامة الإنسان، وأن المسلم ليس مكلفاً بحاسبة الآخرين.

ويقدم الكاتب شواهد من التاريخ على ذلك التسامح، ويرد الشبهات التي أثيرت حول ختم رقاب أهل الذمة وإلزامهم بملابس معينة.

أما الإضافة التي سيقدمها هذا البحث، فهي تقديم تطبيق عملي للرد عن الشبهات التي يثيرها البعض حول الإسلام، وتعامل المسلمين مع غيرهم، وذلك من خلال رصد علاقة المسلمين بالمسيحيين في بيت المقدس، في الحياة العامة، وفي أدق تفاصيل الحياة الإنسانية.

ثانياً: الأبحاث:

__ العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً، ثابت أبو الحاج، مجلة الجنان، ع7، بيروت، 2015.

يقدم هذا البحث مفهوماً علمياً للتعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات، ويبين الأصول الدينية للتعايش السلمي عند أصحاب الديانتين الإسلامية والمسيحية، كما يبرز مكانة القدس التاريخية والدينية عند أصحاب الرسالات السماوية.

ويقدم البحث نموذجاً تطبيقياً معاصراً لمفهوم التعايش السلمي والتسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين، في الجوانب الحياتية المختلفة.

أما الإضافة التي سيقدمها بحثي، فهي أنه سيتناول بالتفصيل مختلف جوانب الحياة، وكيف استطاع المسلمون والمسيحيون أن يصبغوها بصبغة التآخي الإسلامي المسيحي، وذلك من خلال تقديم نماذج واقعية من حياة المجتمع المقدسي، على مدار فترة الدراسة.

— الكنائس والمقدسات المسيحية في مواجهة التحديات الإسرائيلية، برنارد سايبلا، مجلة صامد الاقتصادي، السنة الثالثة والثلاثون، ع165-166، ديسمبر (كانون الأول)، 2011م.

يتناول هذا البحث الوجود المسيحي في بيت المقدس، من حيث الطوائف المسيحية، والظروف التي مرت بها، وواقعها المعاصر، وأعداد المسيحيين، كما يتطرق إلى المقدسات المسيحية.

ويسلط الضوء على العلاقات الإسلامية المسيحية. كما يتناول التحديات الإسرائيلية التي تواجه المسيحيين ومقدساتهم، سيما التحديات الداخلية، المتمثلة في هجرة المسيحيين.

وفي هذا البحث سأفصل في تلك التحديات، وأقسمها إلى داخلية وخارجية.

— الوجود المسيحي في القدس، رفيق خوري، مؤسسة القدس الدولية (فرع غزة)، 2012م.

يركز البحث على الطوائف المسيحية في بيت المقدس، وعلاقة هذه الطوائف ببعضها. ويتناول الباحث العوامل التي أدت إلى الانشقاقات بين المسيحيين، كما يتناول العوامل التي تساهم في توحيد المسيحيين وتجذيرهم في وطنهم.

وسيفصل هذا البحث في أهم الطوائف المسيحية في بيت المقدس.

_ فن التواصل مع الآخر: معالم وضوابط ووسائل، قطب سانو، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الكويت)، 1427هـ/2006م.

يتناول الباحث معالم التواصل المنشود مع غير المسلمين، كما يسلط الضوء على جملة الضوابط التي ينبغي مراعاتها عند ذلك التواصل.

كما يناقش كيفية الاستفادة من الوسائل والآليات المعاصرة، عند محاولة التواصل مع الغرب. وستقدم دراستي تأصيلاً مستمداً من الكتاب والسنة لطبيعة العلاقة الصحيحة بين المسلمين وأهل الكتاب، سيما الذين لا يجارون المسلمين في عقيدتهم.

_ التعايش الإسلامي المسيحي في القدس، حنا كلداني، موقع إيلاف، 2006م.

يرصد الباحث طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، ويورد نصوصاً تؤكد العلاقة الأخوية بين أتباع الديانتين، ودور المسلمين والمسيحيين المشترك في التصدي للمشروع الصهيوني على أرض فلسطين، الذي يستهدف النيل من الوحدة الإسلامية المسيحية.

وهذا البحث يرصد المزيد من المواقف والنصوص، التي تجسد عمق التآخي بين أهل بيت المقدس.

ثالثاً: المقالات:

_ "فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر الديني والثقافي"، محمد عمارة، مجلة حراء، السنة الثالثة، ع9، (أكتوبر - ديسمبر)، 2007م.

يتناول المقال فلسفة الإسلام في طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم، من أهل الكتاب والديانات الوضعية، ويرصد مواقف النبي ﷺ والصحابة في التعامل مع اليهود والنصارى والوفاء بحقوقهم.

ويوضح الكاتب أن الأسس التي تقوم عليها هذه الفلسفة، أن الوحدانية لله تعالى، وأن التنوع والاختلاف سنة من سنن هذا الكون.

وما سيضيفه بحثي هذا هو رصد علاقة المسلمين بالمسيحيين في بيت المقدس، وكيف ترجم المسلمون ما ورثوه من تراثهم الإسلامي إلى برنامج يومي في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

– التعايش السلمي مع غير المسلمين في ضوء مقاصد الشريعة، مُجَّد عبد رب النبي، موقع منارات، 1433هـ/2012م.

يتناول المقال بالتحليل مقاصد الشريعة من الوجود الإنساني، وارتباطها بالعلاقات الإنسانية مع غير المسلمين، وذلك بناء على قواعد رئيسة منها: العدالة بين المسلمين وغيرهم، والسماحة وحسن الخلق.

كما يقدم الكاتب الأدلة من الكتاب والسنة وأفعال السلف، على مشروعية التعايش السلمي مع غير المسلمين، وضرورة الإحسان إليهم.

وهذه الدراسة ستقدم مزيداً من الشواهد والأدلة، كما ستقدم نموذجاً عملياً على إمكانية التعايش مع غير المسلمين، حتى في أصعب الظروف السياسية والاقتصادية، كما هو حاصل في بيت المقدس.

كان من حسن حظ الباحث الاطلاع على هذه الكتب والأبحاث والمقالات وغيرها، إضافة إلى الوثائق والبرامج التلفزيونية والمواد المنشورة في الصحف والشبكة العنكبوتية، إذ كان لها مجتمعة دوراً مهماً في إثراء الدراسة.

وقد اعتمد الباحث على تلك المعلومات، التي حصل عليها من تلك المصادر والمراجع، وعمل على تحليلها، والوصول إلى استنتاج أكاديمي، ورؤية واضحة لطبيعة التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس.

ورغم أهمية هذه الكتب والدراسات، إلا أنها لا تغطي كافة جوانب التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، بل إن كثيرا منها يعرض لهذا الموضوع عرضا سريعا، وربما مر عليه في سياق الحديث عن المقاومة السياسية للاحتلال البريطاني أو الإسرائيلي، دون أن يرد تلك المواقف إلى حقيقة كونه تعايشا إنسانيا متجذرا في بيت المقدس.

إن هذا ما تسعى إليه هذه الدراسة، وهو أنها تعيد صياغة كافة أشكال الحياة، فتقدمها في قالب واحد، منطلقها حقيقة واحدة، وهي أن بيت المقدس تملك سرا عجبيا، يزيل الفروق الاجتماعية والدينية، ويحول التحديات التي يفرضها الواقع تحت الاحتلال إلى إصرار وعزيمة للدفاع عن المدينة.

هيكل الدراسة:

الفصل التمهيدي: التعايش السلمي في الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب، وهي: مقدمة حول التعايش السلمي، مبادئ التعايش السلمي في الإسلام، أنواع التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في عهد الدولة الإسلامية.

الفصل الأول: المكانة الدينية لبيت المقدس عند المسلمين والمسيحيين، وينقسم إلى مبحثين، هما: مكانة القدس عند المسلمين، وفيه أربعة مطالب، هي: فضائل بيت المقدس في الكتاب والسنة، الخطة النبوية لتحرير بيت المقدس، بيت المقدس في العهود الإسلامية المتعاقبة، الأماكن الإسلامية المقدسة في بيت المقدس. أما المبحث الثاني، هو: مكانة بيت المقدس عند المسيحيين، وفيه أربعة مطالب، هي: مولد المسيحية في بيت المقدس، مسيحيو بيت المقدس في العهد الإسلامي، الطوائف المسيحية في بيت المقدس وعلاقتها ببعضها، الأماكن المسيحية المقدسة في بيت المقدس.

الفصل الثاني: التعايش السلمي المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس 1897-1994م، وينقسم إلى مبحثين، هما: الوجود الإسلامي المسيحي في بيت المقدس، وفيه أربعة مطالب، هي: نبذة عن بيت المقدس، الجمعيات والمؤسسات في بيت المقدس، الواقع المسيحي في بيت المقدس، فلسفة التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس. أما المبحث الثاني فهو: التعايش السلمي المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس 1897-1994، وفيه ثلاثة مطالب، هي: التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين، التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين، التعايش الفكري بين المسلمين والمسيحيين.

الفصل الثالث: التعايش السلمي السياسي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس 1897-1994م، وقد جاء في مبحثين، هما: جهود مسلمي ومسيحيي بيت المقدس في التصدي للمشروع الصهيوني 1897-1947م، وفيه ثلاثة مطالب، هي: المواقف السياسية والدينية للدفاع عن عروبة فلسطين، النضال الإسلامي المسيحي لمقاومة الخطر الصهيوني في بيت المقدس 1917-1935، النضال الإسلامي المسيحي لمقاومة الخطر الصهيوني في بيت المقدس 1936-1947. وتناول المبحث الثاني: جهود مسلمي ومسيحيي بيت المقدس في التصدي للاحتلال الإسرائيلي 1948-1994، وجاء في ثلاثة مطالب، هي: النضال الإسلامي المسيحي للتصدي للاحتلال الإسرائيلي 1948-1967، النضال الإسلامي المسيحي للتصدي للاحتلال الإسرائيلي 1967-1986، الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987-1994.

الفصل الرابع: تحديات وآثار ومستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، وينقسم إلى مبحثين، هما: تحديات التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، وقد جاء في مطلبين، هما: التحديات الداخلية، التحديات الخارجية. والمبحث الثاني بعنوان: آثار ومستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، واشتمل على مطلبين، هما: آثار التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، مستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس.

الفصل الخامس: الخاتمة، واشتمل على: المقدمة، الخلاصة، نتائج الدراسة، التوصيات.

الفصل التمهيدي: التعايش السلمي في الإسلام

المطلب الأول: مقدمة حول التعايش السلمي

المطلب الثاني: مبادئ التعايش السلمي في الإسلام

المطلب الثالث: أنواع التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في عهد الدولة الإسلامية

الفصل التمهيدي: التعايش السلمي في الإسلام

لقد وضع الإسلام مجموعة من القوانين؛ لضبط العلاقات في المجتمع الإسلامي، بين المسلمين أنفسهم، وبين غيرهم من أهل الكتاب، وأتباع الديانات الأخرى، فلا يقبل من مسلم أن يتجاوز هذه القوانين، التي خط خطوطها العريضة القرآن الكريم، وحددت السنة النبوية معالمها الدقيقة.

إن هذه القوانين خاصة بالإسلام، إذ لم تعرفها البشرية من قبل، ولن تكون القوانين الوضعية، التي تنظم العلاقات الإنسانية، وتبحث على التعايش الإنساني، أفضل من القوانين الإسلامية، في ضبط سلوك الفرد تجاه الآخرين، ذلك أن الإسلام يربط هذه العلاقة بمصير المسلم في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: مقدمة حول التعايش السلمي

أولاً: مفهوم التعايش السلمي:

أ_ مفهوم التعايش:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "العيش الحياة، ... وعأيشه أي عاش معه، والعيشة ضرب من العيش، يقال: عاش عيشة صدق وعيشة سوء¹. وفي المعجم الوسيط "تعاشوا: عاشوا على الألفة والمودة. ومنه: التعايش السلمي. والعيش: معناه الحياة. وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل².

وقد بدأ رواج هذا المصطلح مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية، ويحمل هذا المصطلح عدة

معان، وهي على ثلاث مستويات:

¹ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج6، فصل العين المهملة، ص321.

² المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (القاهرة، دار الفكر، ط2، لا.ت)، ج2، ص639-640.

المستوى الأول: سياسي، أيديولوجي، ويعني الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين

المعسكرين، أو التحكم في إدارة الصراع، بما يفتح قنوات للاتصال بين الطرفين.

المستوى الثاني: اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب، فيما له صلة بالمسائل

القانونية والاقتصادية والتجارية.

المستوى الثالث: ديني وثقافي وحضاري، وهو الأحدث، ويشمل تحديداً معنى التعايش الديني، أو

التعايش الحضاري. ويعني أن تلتقي إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن

يسود الأمن والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون.¹

والتعايش في الإسلام ينطلق من قاعدة عقائدية، وهو ذو جذور إيمانية. وليس ثمة أبلغ وأوفى بالقصد

من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64]، في الدلالة

على عمق مبدأ التعايش في مفهوم الإسلام. ذلك أن المساحة المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب مساحة

واسعة، وإذا كان الإسلام قد جعل في قلوب المسلمين متسعاً للتعايش بين الناس كافة، ففيه من باب أولى،

متسع للتعايش بين المؤمنين بالله².

¹ التويجري، عبد العزيز، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، (الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، مطبعة المعارف الجديدة، 1419هـ/1998م)، ص8-9.

² المرجع السابق، ص18.

ب_ التعايش السلمي:

ورد في لسان العرب لابن منظور: "والسَّلْمُ: المسالمةُ. تقولُ: أنا سِلْمٌ لِمَنْ سألَمَنِي. وَقَوْمٌ سِلْمٌ وَسَلْمٌ:

مُسَالِمُونَ، وَكَذَلِكَ امْرَأَةٌ سِلْمٌ وَسَلْمٌ". والسَّلْمُ: الاستسلامُ. والتَّسَالُمُ: التصالحُ. والمسالمةُ: المصالحة¹.

أما التعايش السلمي فهو اتفاق طرفين على تنظيم وسائل الحياة فيما بينهما وفق قاعدة يحددها،

وتمهيد السبل المؤدية إليها².

وقد أسس الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم على المسالمة والأمان، فهو لا يجيز قتل النفس مجرد أنها

تدين بغير الإسلام، بل يأمر أتباعه معاملة مخالفيهم بالحسنى ومبادلتهم المنافع، وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿لَا

يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة:8]³.

ثانيا: مقاصد الشريعة والتعايش السلمي:

معلوم عند علماء فقه المقاصد أن مقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم

وعقولهم وأعراضهم وأموالهم، وزاد على هذه الخمسة الطاهر بن عاشور: حفظ الحرية. كما أن المقاصد تعني

المثل العليا وتحقيقها، ومن المثل العليا العدل والمساواة. والتعاون والتعارف، وأن الأصل في الإسلام السلام

وتأمين الناس على أرواحهم وأموالهم⁴.

¹ مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب، ج12، فصل السين المهملة، ص293.

² مرجع سابق، التوجيهي، ص12.

³ الغرياني، عادل، التعايش السلمي في عصور الدول الإسلامية، بحوث المؤتمر الدولي للتعايش السلمي في الإسلام، الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المركز الإسلامي في كولومبو (سريلانكا)، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1428هـ)، ص205-206.

⁴ عبد رب النبي، محمد، التعايش السلمي مع غير المسلمين في ضوء مقاصد الشريعة، موقع منارات، 1433هـ/2012م.

والتعايش السلمي لا يتحقق إلا في جو من العدل والحرية في المعتقد والعمل والحركة مع المساواة. وأن المقصد من وراء ذلك هو التعارف لتحقيق الخلافة في الأرض. قال البهي الخولي: "إن الخلافة وصف عام، أو تكليف شمل البشر كافة، فالناس يرثون خصائص آدم عليه السلام ما كان منها روحيا، وما كان منها غير روحي، لا فرق بين شعب وشعب ولا بين جنس وجنس"، والمسلم مطالب أن يتعبد الله بهذه المثل فالدعوة قبل الدولة، والعبادة قبل القيادة¹.

ثالثا: أدلة التعايش السلمي من القرآن والسنة:

أ_ أدلة التعايش السلمي من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:8].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90].

وقال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة:8].

ووجه دلالة الآيات أن الله أمر المسلمين بالعدل مع الناس جميعا، حتى وإن كانوا مخالفيين في الفكرة والمنهج، كما أمر الله ﷺ المسلمين بحسن معاملة أهل الديانات الأخرى، سواء كانوا من أهل الكتاب أم من

¹ المرجع السابق، عبد رب النبي.

غيرهم، وذلك ببرهم، أي: الإحسان إليهم، بل وفوق ذلك درجة، وهي: ﴿وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ﴾¹: أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة².

ب_ أدلة التعايش السلمي من السنة النبوية:

نهى النبي ﷺ عن إيذاء أهل الكتاب وظلمهم بأي شكل كان، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"³.

وروى أبو داود بسند صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَعِيرٍ طَيِّبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"⁴.

رابعاً: فلسفة التعايش في الإسلام:

يؤسس القرآن الكريم والسنة النبوية، لفلسفة إسلامية متميزة في رؤية الكون والحياة والعلاقات بين الأحياء، وهذه العلاقة بين البشر على اختلاف أديانهم تنطلق من رؤية فلسفية، تقوم على مجموعة من الأسس، وهي:

¹ المرجع السابق، عبد رب النبي.

² القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ/1964م)، ج18، ص58.

³ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، (لام)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، ج4، كتاب الجزية، باب من قتل معاهدا بغير جرم، رقم الحديث: 3166، ص99.

⁴ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، سنن أبي داود، (بيروت، المكتبة العصرية، لات)، ج3، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم الحديث: 3052، ص170.

1_ سنة الاختلاف:

التنوع والتعدد والاختلاف هو سنة كونية في سائر عوالم المخلوقات. وأن هذه التعددية هي في إطار وحدة الأصل الذي خلقه الله سبحانه وتعالى. فالإنسانية التي خلقها الله من نفس واحدة تتنوع إلى شعوب وقبائل وأمم وأجناس وألوان. وثقافات وحضارات في إطار المشترك الإنساني الواحد، الذي لا تختلف فيه الثقافات. كما تتنوع إلى عادات وتقاليد وأعراف متميزة حتى داخل الحضارة الواحدة، بل والثقافة الواحدة¹.

وهذا التنوع والاختلاف "سنة" من سنته ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأُمَمًا لَّجَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119) ﴿[هود:118-119]. وكما يقول المفسرون: "للاختلاف خلقهم"².

2_ اقرار الاختلاف في الدين:

مادام الاختلاف سنة من سنن هذا الكون، فمن المستحيل أن يتفق البشر جميعا في الأفكار والتصورات، فضلا عن الدين، ومعلوم أنّ الإسلام دين يقوم على الاعتراف الإيجابي بالآخر، وإقراره على معتقده ودينه، وقد تضافرت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة النبوية، مقررة هذا المبدأ الحضاري، فتكرر في القرآن الكريم لفظ "الدين" في أكثر من ستين موضعا تأكيداً على اعتراف الإسلام بالآخر، ولعل أوضح

¹ عمارة، محمد، فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر الديني والثقافي، مجلة حراء، (اسطنبول، شركة "إيشك" للنشر، السنة الثالثة، ع9، (أكتوبر-ديسمبر)، 2007م)، ص54.

² مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص114.

النصوص القرآنية التي توصل لهذا المبدأ قوله تعالى في سورة الكافرون: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6]¹.

3_ الهداية من عند الله والحساب لله:

يعتقد المسلم أنه لا يملك الهداية لكائن من كان، فهي بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:272]، فهو مأمور فقط بتبليغ دعوة الله، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:48]، وبناء على ذلك فليس لمسلم أن يحاسب أحدا لم يقبل دعوة الإسلام، فالحساب لصاحب المشيئة المطلقة يوم القيامة، قال ﷺ: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (68) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج:68-69].

وبهذا يستريح ضمير المسلم، فلا يجد في نفسه صراعا بين اعتقاده بكفر الكافر، وبين مطالبته بيره والإحسان إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد².

خامسا: ثمرات التعايش السلمي:

إذا كانت هذه هي طبيعة العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب، فإن التسامح الديني هو أعظم ثمرة من ثمرات التعايش السلمي والتآخي الإنساني.

والسماحة هي سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه الشدة، فهي وسط بين الشدة والتساهل، أي بين الإفراط والتفريط. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الخصلة، فقد جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول

¹ سانو، قطب، فن التواصل مع الآخر: معالم وضوابط ووسائل، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني: نحن والآخر، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1427هـ/2006م).

² القرضاوي، يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط6، 2004)، ص44.

الله ﷻ قال: "رحم الله رجلاً، سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى"¹. فالتسامح ينبثق من التعاليم الواردة في القرآن والسنة، التي تحث المسلمين على اعتماد السماحة في معاملة بعضهم بعضاً، أو معاملة من يخالفهم في الدين².

وإذا دقت النظر في المجتمع الإسلامي وجدته يتمتع بروح السماحة، وهي "تبدو في حسن العشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان. وهي الأمور التي تحتاج إليها الحياة اليومية، ولا يغني فيها قانون ولا قضاء. وهذه الروح لا تكاد توجد في غير المجتمع الإسلامي"³.

ومن خلال دراستي وجدت أن المجتمع الإسلامي في بيت المقدس يرفل بهذه الخصلة السامية، فكل ما ورد في كلام الدكتور يوسف القرضاوي عن روح السماحة، حاصل بين المسلمين والمسيحيين، فالسماحة والأخوة ليست تكلفاً ظاهرياً عابراً، وليس مردداً الخوف من معاتبة المجتمع أو مساءلة القانون، بل إنها سجية عند أهل بيت المقدس.

والتسامح في الإسلام وليد إصلاح التفكير ومكارم الأخلاق، اللذين هما من أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، فالفكر الصحيح السليم من التأثيرات الباطلة يقود صاحبه إلى العقيدة الصحيحة، ثم يكسبه ثقة

¹ مرجع سابق، البخاري، صحيح البخاري، ج3، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، رقم الحديث: 2076، ص57.

² الممي، حسن، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، (لام، دار الغرب الإسلامي، لات)، ص101.

³ مرجع سابق، القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص40.

بها، ولذلك لا يضره وجود من يخالفه في الدين، وهنا يأتي دور مكارم الأخلاق، فلا يضيق صدره من آراء المخالفين وأفكارهم¹.

وهي الأخلاق التي نادى بها المسيح بن مريم عليه السلام، "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَعَيْنٌ وَسِنٌّ بَسِينٌ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَادْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلَا تَرُدَّهُ"².

ويعتقد الباحث أن التسامح ثمرة للتعايش ونتيجة عنه، فلا يمكن أن يكون التسامح إلا بعد عيش مشترك لجماعة من الناس، تحمل أفكارا وتصورات متباينة، وتمارس عادات متنوعة، وتنتمي لديانات مختلفة. وهو قيمة راقية لا تصدر إلا عن نفوس كريمة، فكم من المجتمعات بحاجة ماسة لها؛ للتخلص من كثير من المشاكل التي تكاد تعصف بها، بينما هي في بيت المقدس حاضرة ومنتجدة. سيكون للتسامح الديني آثارا على الفرد والمجتمع، أما ما هو أبعد من ذلك، فهو البناء الحضاري، الذي يعني انطلاق نمط من أنماط السلوك الإنساني، يعترف بالآخر، فيؤثر فيه، ويتأثر به، وهو ما يعني حضارة قوية وممتدة، لن تعصف بها التقلبات الاقتصادية والسياسية.

إذن هي معادلة راقية، فالتعايش السلمي، يدعو الناس إلى التسامح والتآخي، فإذا حققوا ذلك، استطاع العالم أن يرسم ملامح الحضارة الإنسانية، المبنية على الحقوق والواجبات، وهذا ما أراده القرآن الكريم،

¹ ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع؛ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985م، ص229.

² إنجيل متى، الإصحاح الخامس: 38-42، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية، مصر.

عندما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30].

University of Malaya

المطلب الثاني: مبادئ التعايش السلمي في الإسلام

مبادئ التعايش السلمي في الإسلام:

التعايش بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان، ينبغي أن ينطلق من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن

الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، في المجالات ذات الاهتمام المشترك، وفيما يمس حياة الإنسان¹.

وتتمثل هذه المبادئ فيما يلي:

1_ احترام كرامة الإنسان:

أثبت التشريع الحضاري الكرامة الإنسانية للناس، بصرف النظر عن الدين والعرق واللون، فقال تعالى:

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}

[الإسراء:70]، هذه الكرامة هي التي تضمن للناس جميعاً حقهم في الحياة والعقيدة والعلم والعيش. هي للناس

جميعاً، ومن واجب الدولة أن تكفلها لهم على قدم المساواة بلا استثناء².

ومن التكريم أن يكون الإنسان قيماً على نفسه، محتملاً تبعه اتجاهه وعمله. فهذه هي الصفة الأولى

التي بها كان الإنسان إنساناً. حرية الاتجاه وفردية التبعية. وبها استخلف في دار العمل. فمن العدل أن يلقي

جزاء اتجاهه وثمره عمله في دار الحساب³.

ومادام الأمر كذلك عند الله تعالى، فمن باب أولى أن يتعامل المسلمون مع كل الناس على هذه

القاعدة، فلا يجبر أحدهم على قول أو عمل يتنافى مع قناعاته وتصورات.

¹ مرجع سابق، التوجيهي، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين ص31.

² السباعي، مصطفى، من روائع حضارتنا، (بيروت، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، ط1، 1420هـ/1999م)، ص98-99.

³ قطب، سيد، في ظلال القرآن، (بيروت والقاهرة، دار الشروق، ط17، 1412هـ)، ج4، ص2241.

2_ العدل ورفع الظلم:

إن من أهداف إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط، ومن ضروب القسط أن يسود التعايش بين الأمم والشعوب، الذي يقوم على أساس العدل في المعاملة، والمساواة في العلاقة. وبهذا المعنى فهم المسلمون القسط في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:25].

وطبق المسلمون القسط على المستوى اللائق بالإنسان، سواء في معاملة من لا يؤمن بالإسلام ومبادئه، أو في خلو المجتمع من الفاحشة، أو في تقديم الخدمات للناس، أو في التعاون على البر والتقوى¹. ولا يتصور عاقل أن تاريخًا بهذا الطول (قراءة خمسة عشر قرنًا) لأمة بهذا التنوع، وعالم بهذا الاتساع، وفي ظل تحديات خارجية، يمكن أن يخلو من التوترات الدينية بين الفرقاء الذين عاشوا على أرض الإسلام. لكن النظر إلى هذه التوترات الدينية التي تمثل خروجًا عن المنهج الذي قرره القرآن والسنة، يجب أن يكون في حجمها الحقيقي، وفي إطار مقارنتها بما كانت عليه الحضارات الأخرى، وفي إطار الأسباب الحقيقية التي ولدت وقائعها وأحداثها².

ويرجع الباحث والمؤرخ المسيحي اللبناني "جورج فرم"، التوترات الدينية والطائفية المحدودة التي شهدتها التاريخ الإسلامي إلى ثلاثة عوامل، الأول، هو: المزاج الشاذ لبعض الحكام الذين اضطهدوا الأقليات كجزء من اضطهادهم العام للرعية كلها. والثاني: صلف الوزراء والحياة والقادة غير المسلمين، وظلمهم واضطهادهم لعامة

¹ مرجع سابق، التوجيهي، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين ص20.

² مرجع سابق، عمارة، فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر الديني والثقافي، ص56.

الفقراء المسلمين؛ الأمر الذي وُلد ردود أفعال طائفية لم تقف عند الذين ظُلموا من أبناء هذه الأقليات خاصة، وإنما عمت البلوى جماهير الأقليات. والثالث: غواية الاستعمار الأجنبي _الصليبي والإنجليزي والفرنسي_ لقطاعات من أبناء الأقليات، كي تمالي الغزاة، ونخون أمتها ووطنها، مما أدى إلى ردود غاضبة ضد أبناء هذه الأقليات¹.

3_ الحرية الدينية:

وتعني حرية اختيار الدين، ومزاولة الشعائر الدينية، وهي أصل من أصول الإسلام، فلا ينسب إلى النبي ﷺ أنه حمل أحدا على اعتناق الإسلام. وفي هذا يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256]. ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:21]².

يقول صاحب الظلال في هذا الاطار: "وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميلة تبعة عمله وحساب نفسه. وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني"³.

فالإيمان عند المسلمين ليس عبارة عن كلمات أو طقوس، وإنما أساسه إقرار القلب وتسليمه، ولذلك لم يعرف التاريخ شعبا مسلما حاول إجبار أهل الذمة على الدخول في الإسلام كما أقر بذلك المؤرخون

¹ المرجع السابق، عمارة، ص56-57.

² مرجع سابق، الغرياني، التعايش السلمي في عصور الدول الإسلامية ص221.

³ مرجع سابق، قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص291.

الغريبيون أنفسهم¹. ومنهم المؤرخ "توماس أرنولد" الذي قال: "لم نسمع عن أي محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي"².

أما عن التطبيق العملي لهذا المبدأ، فقد أعطى النبي لنصارى نجران جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم ويبيعهم³.

وكذلك كان عهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء، "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تخدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم..."⁴.

وكان لذلك التسامح أثر مهم في إقبال أهل الذمة على اعتناق الإسلام، إذ يقول "توماس أرنولد": "وإذا نظرنا إلى التسامح، الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق"⁵.

¹ قريشي، عمر، سماحة الإسلام، (الرياض، مكتبة الأديب؛ المنصورة، الذهبية للنشر والتوزيع، ط3، 1426هـ/2006م)، ص85.

² الخربوطلي، علي، الإسلام وأهل الذمة، الكتاب التاسع والأربعون، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1389هـ/1969م)، ص113-114.

³ مرجع سابق، قريشي، سماحة الإسلام، ص85-86.

⁴ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ط4، لا.ت)، ج3، ص609.

⁵ مرجع سابق، الخربوطلي، ص112.

وقد وقعت في التاريخ الإسلامي بعض صور الاعتداء على هذا النوع من الحرية، لكنها لم تدم طويلاً، ذلك أن الرأي العام الإسلامي، الذي يمثله الفقهاء والخلفاء المنصفون وعموم المؤمنين، تصدوا للمعتدين، الذين لم يكونوا يمثلوا تياراً في المجتمع الإسلامي.

فمن ذلك أن الوليد بن عبد الملك أخذ "كنيسة يوحنا" من نصارى دمشق، وأدخلها في المسجد، فلما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز شكاه له النصارى ما فعل الوليد في كنيستهم، فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم، إلا أن المسلمين عرضوا عليهم أن يعطوهم جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين، على أن يمسكوا عن المطالبة بكنيسة يوحنا، فرضوا بذلك وأعجبهم¹.

4_ الوفاء بالعهد والمواثيق:

الوفاء بالعهد ركن أساس من أخلاق الأمة المسلمة، فهو من القيم الإسلامية الرفيعة، والمسلمون عندما يوفون بعهدهم إنما يؤدون عبادة لله تعالى، ذلك أنه أمر عظيم يسأل الله عنه، ويحاسب عليه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:34].

وهذا الخلق ليس مقتصرًا على المسلمين فيما بينهم، بل هي العقود والمواثيق المبرمة مع الناس أياً كانت مشاربهم الفكرية ومذاهبهم السياسية ومعتقداتهم الدينية، فقد ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: أي أوفوا بالعقود التي تعقدونها مع الناس، في السلم والحرب، والبيوع والأشربة والاجارات².

¹ البلاذري، أحمد بن يحيى (ت279هـ)، فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م)، ج1، ص127.

² الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وقربه وخدمه: صلاح عبد الفتاح الخالدي، (دمشق، دار القلم؛ بيروت الدار الشامية ط1، 1418هـ/1997م)، ص72.

وهو من شيم خيار المؤمنين، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَقِّ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ: "أُولَئِكَ خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُؤْفُونَ الْمُطِيبُونَ"¹.

وقد التزم المسلمون بذلك المبدأ، فعندما دخل صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، سمح للفرنج بالخروج من القدس ومعهم الذهب والفضة، وجمع البطرك الكبير كل ما كان من أموال على القبر المقدس وفي كنيسة القيامة، وقد بلغت مائتي ألف دينار، وعندما أشير على صلاح الدين أن يأخذ ما معه ليتقوى به المسلمون، رفض قائلا: "إذا تأولنا عليهم نسبونا إلى الغدر وهم جاهلون بسر هذا الأمر، فنحن نجريهم على ظاهر الأمان ولا نتركهم يرمون أهل الإيمان بنكث الأيمان بل يتحدثون بما أفضناه من الإحسان"². ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير، وسير الجميع ومعهم من يجمعهم إلى مدينة صور³.

ويرى الباحث أن هذا الموقف يدحض المزاعم التي يروجها جاهلون بحقيقة الإسلام، أو متربصون يريدون النبيل منه، وهي أن المسلمين أرادوا بفتوحاتهم القتل والسلب والاستيلاء على الأراضي والممتلكات، فهذه الواقعة التاريخية، تؤكد أنهم لا يبحثون عن المغنم، فلا يكثرثون بذهاب الأموال لغيرهم، وإنما مقصدهم أسمى من ذلك بكثير، فالذي يشغلهم هو إزالة الظلم الذي يحول بين الناس وبين اختيار المنهج القويم، ثم إقامة شرع الله في الأرض.

كما يدل على حرص المسلمين على إظهار الصورة المشرفة للإسلام، فلو أخذ صلاح الدين رحمه الله، تلك الأموال الطائلة لم يلمه أحد؛ ذلك أن المال ملك للمدينة وأهلها، وبالواقع الجديد أصبح ملكا للمسلمين،

¹ بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت241هـ)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (لا.م)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م)، ج43، باب مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ﷺ، رقم الحديث: 26312، ص339.

² العماد الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت597هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، (لا.ن)، ص75-76.

³ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، (بيروت)، دار الكتاب العربي، ط1، 1417هـ/1997م)، ج10، ص37.

لكنه يؤثر أن يقدم نموذجاً يذكره التاريخ طيلة الدهر، ولم يقف عند هذا الحد من التسامح والرحمة، بل تعداه إلى الإحسان إليهم، محترماً بذلك كرامتهم الإنسانية، عندما سير معهم من يحميهم حتى يبلغوا مأمنهم.

University of Malaya

المطلب الثالث: أنواع التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في عهد الدولة الإسلامية

التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة يشمل عدة أنواع، هي: الديني، والاجتماعي، والفكري، والسياسي، وفي هذا المبحث سنتناول هذه الأنواع بالتفصيل.

أولاً: التعايش الديني:

دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى كلمة سواء، فقال ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فُقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64]¹.

وكان رسول الله ﷺ أول من أسس لهذا التعايش بسنته القولية والعملية، فنجد أنه يحذر من إيذاء أهل الذمة، بل ويتوعد من قتل ذميا بالحرمان من الجنة.

أما سنته العملية ﷺ، فمنها أنه كتب إلى نصارى نجران كتابا أعطاهم فيه الأمان، على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعبرهم وبعثهم وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم وأمثلتهم. لا يفتن أسقف من أسقفية ولا راهب من رهبانية ولا واقه من وقايته على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطاء أرضهم جيش².

¹ مرجع سابق، سانو، فن التواصل مع الآخر: معالم وضوابط ووسائل، ص8.

² مرجع سابق، البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص78.

وضمن لهم ذلك الكتاب حرية الاعتقاد وحسن المعاملة، فلا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرها على الإسلام، ﴿وَلَا يُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ﴾ [العنكبوت:46]. ويخفف لهم جناح الرحمة ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا، وأين كانوا من البلاد¹.

وقد بلغت هذه الوثيقة في الاعتراف بالآخر الديني، والقبول به، والتكريم له، والتمكين لخصوصياته، والاندماج معه، ما لم تبلغه وثيقة أخرى عبر تاريخ الإنسانية، مع ميزة كبرى، وهي جعلها لهذا التنوع والاختلاف في إطار وحدة الأمة، تجسيداً لفلسفة الدين الإسلامي في العلاقة بالآخر، وليس على أنقاض الدين كل دين². ويرى الباحث أن النبي نجح في وضع الأسس والقواعد العملية للتعايش، المبني على الاعتراف بحقوق النصارى في الدولة، فليس للحاكم أو مؤسسات الدولة، الحق في مصادرة حقوقهم، أو الاعتداء على مكتسباتهم، وبناء على ذلك تمتع المجتمع بالسلم الأهلي، الذي يأمن فيه كل الناس على أنفسهم وعقائدهم وممتلكاتهم، وبالتالي يشتغل المسلمون والمسيحيون في التفكير والعمل، من أجل الارتقاء بالمجتمع ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، بدل أن يكرسوا أوقاتهم وخبراتهم للشقاق والصراع، الذي يقضي على موارد الدولة وهيبتها.

ولقد حافظ المسلمون على تلك الحقوق في بيت المقدس، حتى إنهم خافوا على كنائس النصارى من أن تؤخذ من أهلها في المستقبل، فعندما زار عمر بن الخطاب كنيسة القيامة حان موعد الصلاة، فأشار عليه البطريرك صفرنيوس أن يصلي داخل الكنيسة قائلاً: "صل مكانك"، ولكنه أبى وخرج من الكنيسة، وصلى في مكان قريب منها لجهة الجنوب. ولما فرغ من صلاته قال للبطريرك: "ايدن لي أيها الشيخ، إنني لو أقمت

¹ حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت، دار النفائس، ط6، 1407هـ/1987م)، ص188.

² مرجع سابق، عمارة، فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر الديني والثقافي، ص56.

الصلاة في كنيسة القيامة، لوضع المسلمون عليها الأيدي من بعدي في حجة إقامة الصلاة فيها. وإني لأبى أن أمهد السبيل لحرماتكم منها، وأنتم لها أحق وأولى"¹.

وسار على ذلك المنهج صلاح الدين الأيوبي، فلم يقبل طلب بعض المسلمين تدمير كنيسة القيامة، واستشهد بموقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما فتح المدينة وأقر النصارى على معتقداتهم².

واستمر المسلمون يحافظون على أخلاق الإسلام حينما يدخلون أرضاً فتحها الله عليهم، فقد أعطى خالد بن الوليد رضي الله عنه الأمان لأهل دمشق على دمائهم وكنائسهم أن لا تسكن ولا تخدم³.

وهو أيضاً ما فعله عمرو بن العاص مع أهل مصر؛ إذ أعطاهم الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص⁴.

وعندما وقعت مخالفة تم التعامل معها على الفور، دون أي تردد؛ لأن الإهمال في واقع كهذا ليس من مصلحة المسلمين، إذ إنه سيرسم صورة نمطية سلبية عن الدولة الإسلامية وجيشها، فعندما شكت امرأة مسيحية لأمير المؤمنين أن عمرو بن العاص أدخل دارها في المسجد رغماً عنها، سأله عمر عن ذلك فكان رده أن المسلمين كثروا، والمسجد يضيق بهم، وبحواره بيت هذه المرأة، فعرض عليها ثمن الدار وبالغ في الثمن فأبت،

¹ العارف، عارف، *المفصل في تاريخ القدس*، (القدس، مطبعة المعارف، ط5، 1999م)، ج1، ص96-98.

² مرجع سابق، حامد، ص82.

³ ابن عساکر، علي بن الحسن (ت571هـ)، *تاريخ دمشق*، تحقيق: عمرو العمروي، (لام)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/1995م)، باب كيف كان أمر دمشق في الفتح وما أمضاه المسلمون لأهلها من الصلح، ج2، ص117.

⁴ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ)، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، (بيروت، دار الكتب العلمية، لات)، ج13، ص324.

فهدم دارها وأدخلها في المسجد، ووضع قيمة الدار في بيت المال تأخذه متى شاءت، فأمره أمير المؤمنين أن يهدم البناء الجديد من المسجد ويعيد للمرأة المسيحية دارها كما كانت¹.

وفي العهد العباسي اتسم عهد الرشيد بالسياسة ذاتها تجاه أهل الذمة، فسمح لهم ببناء دير في بغداد سمي بدير "سمالو"². كما سمح لهم بإظهار شعائرهم الدينية، فقد كانوا يخرجون في يوم عيد الفصح على هيئة مواكب وبأيديهم الصلبان³.

ثانياً: التعايش الاجتماعي:

بقدر اهتمام ميثاق النبي ﷺ لأهل نجران بالقيم ذات الطابع السياسي (الحرية، العدل، المساواة..). كان اهتمامه أيضاً بالقيم والأخلاق الاجتماعية؛ إذ نص العهد على ضرورة التكافل الاجتماعي والتعاون على الخير بين المسلمين والنصارى، حتى يكونوا يداً واحدة على من عاداهم؛ إذ جعل الميثاق من واجبات الطرفين التعاون في الدفاع المشترك على حرمت بعضهم البعض، والتعاون في وفاء الدين على الغارمين من الفريقين. إذ نقرأ في الفقرة (66) من الميثاق أنه "إن أجزم أحد من النصارى أو جُني جنائية، فعلى المسلمين نصره، والمنع والذب عنه، والغرم عن جريرته، والدخول في الصلح بينه وبين من جنى عليه، فإما من عليه، أو يفادى به. ولا يرفضوا ولا يخذلوا ولا يتركوا هملاً"⁴.

¹ مرجع سابق، السباعي، ص 135-136.

² الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ط2، 1995م)، ج2، ص516.

³ عارف، رفاة تقي الدين، العامة في بغداد من العصر العباسي الأول والثاني 132-334هـ/749-946م، مجلة سر من رأى، (كلية التربية بجامعة سامراء، ج7، العدد 25، السنة السابعة، نيسان 2011م)، ص159.

⁴ الناصري، محمد، من هدي النبي ﷺ في التعايش مع الآخر.. ميثاق نصارى نجران نموذجاً، مجلة الإحياء، (المملكة المغربية، مجلة محكمة تعنى بالشأن الشرعي والفكري تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء).

ومن صور هذا التعايش أن العهد العباسي، شهد ارتفاع شأن عدد من النصارى عند الخلفاء، فمن هؤلاء جرجيس بن بختيشوع، الذي كان أحد أطباء الخليفة المنصور، فأمر الخليفة بأن يجاب إلى كل ما سأل بعد أن نجح في علاجه من مرض ألم به. وقد كانت له زوجة كبيرة ضعيفة، فأرسل له المنصور ثلاثة جوارى لخدمته مع ثلاثة آلاف دينار، فلم يقبل الجوارى؛ لأن دينه لا يجيز له التزوج بأكثر من واحدة، فعظمت مكانته عند الخليفة المنصور¹.

كما لقي ابنه الطبيب جبرائيل، منزلة مماثلة عند هارون الرشيد، حتى قال فيه: "كل من كانت له إلى حاجة فليخاطب بها جبريل، لأني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلب مني". فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم²، ولقي جبرائيل المكانة نفسها عند الأمين³.

بل إن عددا من النصارى تقلدوا وظائف عليا في الدولة، ففي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري اتخذ كل من عضد الدولة في بغداد، والخليفة العزيز في القاهرة وزيرا نصرانيا⁴.

وقد أجاز الماوردي أن يتولى الذمي وزارة التنفيذ، وهو لا يتعدى كونه سفيرا بين الخليفة والرعية والولاية، وليس له تولي وزارة التفويض، فوزير التفويض هو من يفوضه الإمام تدير الأمور برأيه⁵.

¹ الخزرجي، أحمد بن القاسم (المعروف بابن أبي أصيبعة)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، لا.ت)، ص183-185.

² المرجع السابق، ص188.

³ مرجع سابق، عارف، العامة في بغداد من العصر العباسي الأول والثاني 132-334هـ/749-946م، ص159.

⁴ مرجع سابق، الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ص144.

⁵ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ)، الأحكام السلطانية، (القاهرة، دار الحديث، لا.ت)، ص50-56.

وقد أدى تسامح العثمانيين مع المسيحيين إلى دخول كثير منهم في الإسلام، يقول "أرنولد": "وكثيرا ما انحاز الأمراء البيزنطيون وغيرهم إلى صفوف المسلمين، ومن أسبق أمثال هذه الحالات ما يرجع تاريخه إلى سنة 1140م، عندما أسلم ابن أخ الامبراطور "جون كومنين"، وتزوج إحدى بنات مسعود سلطان قانونية"¹.

ومن صور التعايش الاجتماعي مع النصارى، هي البيع والشراء، فقد سمح لهم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يسكنوا في أمصار المسلمين، ويبيعون ويشترون في أسواقهم، على ألا يبيعوا خمرا ولا خنزيرا²، وكذلك النفقة على فقراءهم، ففي خلافة علي رضي الله عنه أعطى النصارى من العطاء وساواهم بالعرب والموالي³.

ثالثا: التعايش الفكري:

لم يعزل المسلمون عن أهل البلاد التي فتحوها، فخالطوا أهل فارس وسورية وسواد العراق، وأدخلوهم في أعمالهم، حتى كانت دقاتهم بالرومية في سورية، ولم تغير إلى العربية إلا بعد عشرات السنين⁴.

فالتفاعل مع الحضارات والثقافات العالمية هو ما يميز الحضارة الإسلامية، دونما إفراط في الخصوصية يؤدي إلى "الانغلاق" أو تفريط يؤدي إلى "التبعية" والتقليد، فعندما انفتح المسلمون على ثقافة مدرسة الإسكندرية في القرن الهجري الأول، ترجموا العلوم الطبيعية، ولم يترجموا ديانات مصر الوثنية أو النصرانية. وأخذوا من الرومان نظم الدواوين، دون أن يأخذوا القانون الروماني؛ كما أخذوا تجارب الفرس في التراتيب الإدارية، وأهملوا فلسفات المجوسية وعقائدها؛ وأخذوا فلك الهند وحسابها، وتركوا فلسفتها وديانتها؛ كما أخذوا من الإغريق العلوم الطبيعية والتجريبية، وليس الوثنية. وبالمعايير نفسها كان انفتاح الحضارة الأوروبية زمن نهضتها

¹ مرجع سابق، الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ص154.

² الأنصاري، يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ)، الخراج، تحقيق: طه سعد وسعد مجد، (القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، لا.ت)، ص140.

³ مرجع سابق، الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ص128.

⁴ عبده، مجد، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، (لا.م، دار الحدائث، ط3، 1988م)، ص102.

على الحضارة الإسلامية، عندما أخذت العلوم التجريبية والمنهج التجريبي، والخبرات الإسلامية، دون منظومة القيم والعقائد الإسلامية¹.

وفيما يتعلق بالاستعانة بالنصارى في الشؤون الثقافية العامة، تولى كاتب نصراني الكتابة عند أبي موسى

الأشعري². وكان معاوية بن أبي سفيان³ كاتب نصراني اسمه سرجون³.

وكان في مصر رجل مسيحي من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوي، كان يعمل في البحر، فيحمل الناس بسفينته، وكان يميل إلى العلم بطبيعته، فإذا ركب معه بعض أهل العلم أصغى إلى مذكراتهم، ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم وهو ابن (40) سنة، وقد أحسن العديد من الفنون، حتى أصبح من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته، فقربه عمرو بن العاص وأكرمه لعلمه، ووقعت بينهما محبة اشتهر أمرها⁴.

رابعاً: التعايش السياسي:

على الصعيد السياسي كان صلح الحديبية مع ما فيه من شروط مجحفة فتحا للمسلمين، بعد أن ساهم في إنهاء دور قريش السياسي والعسكري، فعندما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لها، وتبعثرت القبائل الوثنية في أنحاء الجزيرة؛ وخصوصاً أنّ قريشا اهتمت بشؤونها التجارية، ولم تجتهد في ضمّ أحلاف لها، في الوقت الذي اتسع فيه نشاط المسلمين الثقافي والسياسي والعسكري، ونجحوا في إيصال دعوتهم لكثير من القبائل⁵.

¹ مرجع سابق، عمارة، ص 57-58.

² ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، عيون الأخبار، (لا.م، دار الكتب المصرية، 1334هـ/1925م)، ج 1، ص 43.

³ مرجع سابق، القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص 18.

⁴ مرجع سابق، عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ص 101.

⁵ الغزالي، محمد (ت 1416هـ)، فقه السيرة، (دمشق، دار القلم ط 1، 1427هـ)، ص 336-337.

ثم إن النبي ﷺ دعا الملوك والأمراء إلى الإسلام، فكان لتلك الرسائل أثرا مهما، أدى إلى دخول بعضهم في الإسلام، وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية، واستطاعت الدولة الإسلامية من خلال تلك الردود أن تنتهج نهجا سياسيا وعسكريا واضحا. وكانت الرسائل إلى هرقل عظيم الروم، وكسرى ملك الامبراطورية الفارسية، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس حاكم مصر، والمنذر بن الحارث الغساني صاحب دمشق، وهوذة بن علي الحنفي، والمنذر بن ساوي العبدي¹.

¹ الصلاحي، علي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1424هـ/2003م)، ج2، ص405-408.

الفصل الأول: المكانة الدينية لبيت المقدس عند المسلمين والمسيحيين

المبحث الأول: مكانة بيت المقدس عند المسلمين

المبحث الثاني: مكانة بيت المقدس عند المسيحيين

المبحث الأول: مكانة بيت المقدس عند المسلمين

حظيت بيت المقدس بمكانة عظيمة في الإسلام، فقد كانت ولا تزال محط أنظار المسلمين ومهوى أفئدتهم، فإليها كان مسرى رسول الله ﷺ من المسجد الحرام، ومنها كان معراجه إلى السموات العلى، وفيها عاش كثير من الأنبياء والرسل، وفي أرضها دفن جمع من الصحابة والشهداء والأولياء.

وبيت المقدس وأكنافه هي أرض الطائفة الثابتة على الدين، ثم إنها حاضنة الخلافة آخر الزمان، ولهذا فإنها جزء أساس من كيان الأمة الإسلامية، وحينما نتأمل ذكر بيت المقدس في الكتاب والسنة، ندرك أن الإسلام أراد ربط المسلمين ببيت المقدس برباط وثيق، هو رباط العقيدة والمنهج، فهو أوثق رباط وأقدس، وبه لا يمكن لبيت المقدس أن تمحى من الذاكرة والوجدان الإسلامي، حتى وإن غيبها الاستعمار، وحال بينها وبين أهلها ردحا من الزمن.

وستقف في هذا المبحث على المكانة السامية لبيت المقدس، التي جعلت المسلمين على مدار العصور، ينظرون إليها على أنها المدينة التي تملك سرا عظيما، في تقييم قوة الأمة المسلمة أو ضعفها.

وتتبع فضائل بيت المقدس من تشريف ذكرها في القرآن والسنة.

المطلب الأول: فضائل بيت المقدس في الكتاب والسنة

أشار القرآن الكريم والسنة إلى هذه المكانة من خلال ثلاثة محاور: وهي:

الخور الأول: الأرض المقدسة:

قال ﷺ: { يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

حَاسِرِينَ } (المائدة: 21).

وتعود قدسية هذه الأرض لاحتضانها المسجد الأقصى المبارك الذي تشد إليه الرحال، فعن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ألا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى"¹.

وقد كان قبلة المسلمين الأولى، فقد روى الطبري في تاريخه عن قتادة قال: "كانوا يصلون نحو بيت

المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة، وعندما هاجر رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام"².

والإسلام حين جعل المسجد الأقصى ثالث المسجدين العظيمين في الإسلام، وبالتالي أضاف القدس

إلى المدينتين الإسلاميتين المعظمتين: مكة والمدينة، إنما أراد بذلك أن يقرر مبدأ مهم من مبادئه، وهو أنه جاء

ليبني لا يهدم، فالقدس كانت أرض النبوات، والمسلمون أولى الناس بأنبياء الله ورسله، كما قال النبي ﷺ ليهود المدينة "نحن أولى بموسى منكم"³.

المحور الثاني: الأرض المباركة:

وصف الله سبحانه وتعالى أرض فلسطين بالبركة في خمسة مواضع من القرآن الكريم:

أولها: {وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَنَمَّتْ كَلِمَتُ

رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ}

[الأعراف:137].

¹ العيني، أبو محمد محمود بن أحمد (ت855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا.ت)، ج7، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم الحديث:212، ص251.

² صالح، محسن، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، (كوالامبور، ط1، 2003م)، ص53.

³ القرضاوي، يوسف، القدس قضية كل مسلم، (القاهرة، مركز الإعلام العربي، ط1، 1423هـ/2002م)، ص14.

ثانيها: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

لُنُرْبِهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء:1] .

قال ابن كثير: الذي باركنا حوله: أي بالزروع والثمار¹.

ثالثها: {وَوَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:71].

أي ونجيننا إبراهيم ولوطا إلى الأرض المباركة: مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأثمارها؛ ولأنها معادن الأنبياء، وهي أرض الشام².

رابعها: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}

[الأنبياء:81].

{تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}: يعني الشام³. وسخرنا الريح العاصفة تجري بأمره إلى أرض

الشام⁴.

خامسها: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي

وَأَيَّامًا آمِنِينَ} [سبأ:18].

وتتجلى بركة بيت المقدس وما حولها، في الكثير من أحاديث النبي ﷺ، التي تدل على مدى

خيرية هذه الأرض؛ لحت الناس على التماسها والتشبث بها، للنجاة من الفتن، والفوز بسعادة الدنيا

والآخرة، وألخصها في التالي:

¹ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، ج5، ص3.

² مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص305.

³ المرجع السابق، القرطبي، ج11، ص322.

⁴ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج9، ص425.

1_ فلسطين أرض رباط وجهاد:

أ_ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَهْلُ الشَّامِ وَأَزْوَاجُهُمْ وَدَرَارِيُّهُمْ وَعَبِيدُهُمْ وَإِمَاؤُهُمْ إِلَى مُنْتَهَى الْجَزِيرَةِ مُرَابِطُونَ، فَمَنْ نَزَلَ مَدِينَةً مِنَ الشَّامِ، فَهُوَ فِي رِبَاطٍ، أَوْ تَعْرِ مِنَ الثُّغُورِ، فَهُوَ مُجَاهِدٌ"¹.

ب_ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَتَجْنُدُونَ أَجْنَادًا جُنْدًا بِالشَّامِ وَجُنْدًا بِالْعِرَاقِ وَجُنْدًا بِالْيَمَنِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقِمْتَ فَقُلْتَ خَر لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ فَمَنْ أَبِي فَلْيَلْحَقْ بِبَيْمِنِهِ وَلْيَسْتَقِ مِنْ عَدْرِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ"².

2_ أرض فلسطين عقر دار الإسلام وقت اشتداد المحن:

أ_ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عُقْرُ دَارِ الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ"³.

ب_ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "طُوبَى لِلشَّامِ"، فقلنا: لِأَيِّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بِاسِطَّةٍ أَجْبَحَتْهَا عَلَيْهَا"⁴.

ت_ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بِصَرِيٍّ فَعَمَدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتْنُ بِالشَّامِ"⁵.

¹ الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، 1414هـ/1994م، باب ما جاء في فضل الشام، رقم الحديث: 16661، ص60.

² ابن أبي الهول، علي بن محمد الربيعي (ت444هـ)، فضائل الشام ودمشق، تحقيق: صلاح المنجد، (دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط1، 1950م)، ج1، باب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، رقم الحديث: 4، ص4.

³ مرجع سابق، الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج10، باب ما جاء في فضل الشام، رقم الحديث: 16656، ص60.

⁴ الترمذي، محمد بن عيسى (ت279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر وآخرون، (مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ط2، 1395هـ/1975م)، ج5، رقم الحديث: 3954، ص734.

⁵ مرجع سابق، الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج7، باب الإقامة بالشام زمن الفتن، رقم الحديث: 12259، ص289؛ مرجع سابق، ابن أبي الهول، فضائل الشام ودمشق، ج1، باب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، رقم الحديث: 11، ص8؛ ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني

3_ أهل الشام هم الطائفة المنصورة:

أ_ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: "بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ"¹.

ب_ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَزَالُ أَهْلُ الْعَرَبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"².

قال الإمام أحمد رحمه الله: هم أهل الشام³.

"والنبي تكلم بهذا الحديث بمدينته النبوية، فغربه ما يغرب عنها، وشرقه ما يشرق عنها؛ فالتشريق والتغريب من الأمور النسبية، وكل بلد له شرق وغرب...، وكان أهل المدينة يسمون أهل الشام: أهل الغرب، ويسمون أهل نجد والعراق: أهل الشرق"⁴.

وكان لدى الصحابة حرص كبير على ذلك الخير، فكان ممن عاش في بيت المقدس: عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأبو أبي بن أم حرام، واسمه عبد الله بن عمرو، وشمعون حليف لحضرموت أبو ريحانة، وسلامة بن قيصر، وفيروز الديلمي، وذو الأصابع الجهني، وأبو مُجَّد النجاري⁵.

ج(241هـ)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (لا.م، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م)، ج36، باب حديث أبي الدرداء، رقم الحديث: 21733، ص62.

¹ مرجع سابق، ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج36، باب حديث أبي أمامة الباهلي، رقم الحديث: 22320، ص657.

² النووي، أبو زكريا يحيى الدين يحيى بن شرف (ت676هـ)، شرح النووي على مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، ج13، باب مراعاة مصلحة الدواب في السير والنهي عن التعريس في الطريق، رقم الحديث: 177، ص68.

³ ابن قدامة، أبو مُجَّد عبد الله بن أحمد (ت620هـ)، المغني، (القاهرة، هجر، ط2، 1413هـ/1992م)، ج13، ص20.

⁴ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (ت728هـ)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن الحنبلي، (بيروت، دار العربية، ط1، 1398هـ)، ج28، ص531.

⁵ المقدسي، مُجَّد بن عبد الواحد (ت643هـ)، فضائل بيت المقدس، تحقيق: مُجَّد الحافظ، (دمشق، دار الفكر، ط1، 1405هـ)، باب ذكر من سكن بيت المقدس من الصحابة رضوان الله عليهم، ص91.

معنى البركة وحدودها:

إن المسلم الذي يعيش على هذه الأرض، يشعر بهذه البركة في الزروع والثمار والأوقات والأعمار والأموال، فيبارك الله ﷻ في القليل من ذلك، مالا يكون في بلد آخر.

والبركة: الزيادة والنماء، و (بارك الله) فيه، فهو (مبارك)¹. وبمفهوم أشمل فإن البركة تعني: ثبوت الخير الإلهي في الشيء². وهي بركة في الدين والدنيا³.

وبركة أرض بيت المقدس: حسية، ومعنوية. فالحسية: بالخصب والثمار، والأشجار والأثمار، وعدوبة الماء، والسهول، والجبال، والمنخفضات، وبموقعها المتوسط، فهي قلب الوطن الإسلامي⁴.

فأرض الشام (وخاصة القدس) مباركة بالماء والأشجار والثمار والخصب والسعة، ومباركة بموقعها الجغرافي الاستراتيجي ومعالمها المباركة⁵.

ومنشأ البركة المعنوية لأرض فلسطين يرجع إلى عدة أمور، وهي: كون هذه الأرض مبعث الأنبياء ومهبط الملائكة، وكونها العش الذي يرقد فيه الأنبياء والأرض التي يبعثون منها، وكونها أرض المحشر، والمنشر، والحساب، وموضع الموازين للناس⁶.

¹ الحموي، أحمد بن محمد الفيومي (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت، المكتبة العلمية، لا.ت)، ج1، باب (ب ر ك)، ص45.

² الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت425هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي، دمشق-دار القلم؛ بيروت-الدار الشامية، ط2، 1418هـ/1997م)، ص119.

³ مرجع سابق، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج27، ص44.

⁴ شبير، محمد، بيت المقدس وما حوله خصائصه العامة وأحكامه الفقهية، (الكويت، مكتبة الفلاح، ط1، 1407هـ/1987م)، ص14.

⁵ كفاي وآخرون، زياد، القدس عبر العصور، (لا.م، لا.ن، 2008م)، ص44.

⁶ مرجع سابق، شبير، بيت المقدس وما حوله خصائصه العامة وأحكامه الفقهية، ص19.

إن بركتها الروحية واجبة بعبود الملائكة إليها، وما أمروا بحمله من الله تعالى، وتكريمها بمن وفد وأقام
وهاجر إليها، ومن مات بها من الأنبياء¹.

فعلى أرضها عاش إبراهيم، واسحق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى،
وعيسى، عليهم الصلاة والسلام، ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وزارها محمد ﷺ، كما عاش فيها كثير من
أنبياء بني إسرائيل، منهم يوشع بن نون عليه السلام².

أما حدود هذه البركة فهي ليست مقتصرة على حدود بيت المقدس، بل تمتد لتشمل العالم كله، لكن
بنسب متفاوتة، حسب قربها أو بعدها من مركز البركة، وهو بيت المقدس³.

ويوضح ذلك د. عبد الفتاح العويسي، بأن هذه الرؤية تنطلق من "نظرية الدوائر"، التي تعتمد على
كلمة "حَوْلُهُ"، فقد وردت في آية الإسراء، وهذه هي أول آية في نهاية النصف الأول من القرآن الكريم، فسورة
الإسراء في نهاية النصف الأول من القرآن، الذي يتكون من ثلاثين جزءاً⁴.

وبناء على هذه النظرية، فإن الدائرة الأولى هي: بيت المقدس، وهي ليست مجرد مدينة، بل إقليم
يتكون من عدة مدن صغيرة وكبيرة وقرى.

أما الثانية فهي: مصر وبلاد الشام، وبناء على الآية الكريمة، فإن هذه الدائرة تشمل كل بلاد الشام
ومصر كاملة وجزيرة قبرص في البحر المتوسط.

والثالثة هي: المشرق العربي والإسلامي، وتضم أجزاء مهمة من غرب آسيا: بلاد الشام، والحجاز،
وتركيا، والعراق، وقبرص، وأجزاء من إيران، وتصل إلى حدود جورجيا وأذربيجان وأرمينيا وبلغاريا واليونان. كما

¹ مرجع سابق، كفاي وآخرون، القدس عبر العصور، ص44.

² مرجع سابق، صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص54.

³ العويسي، عبد الفتاح، تصور جديد للعلاقات الدولية نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها، بيروت-المؤسسة الجامعية؛
اسكتلندا-مجمع دراسات بيت المقدس، ط1، 1432هـ/2011م)، ص74.

⁴ المرجع السابق، العويسي، ص74.

تضم أجزاء مهمة من إفريقيا الشمالية الشرقية: مصر، وأجزاء صغيرة من السودان. أما من إفريقيا الشمالية الغربية فتضم أجزاء صغيرة من ليبيا¹.

فإذا كانت بركة بيت المقدس تشمل جزء كبيراً من العالم وفق هذه النظرية، أو تعم فلسطين وما حولها من دول الجوار على أقل تقدير، فإننا ندرك سر الصراع التاريخي على بيت المقدس، ومحاولات العالم كله بسط نفوذه على منطقة جغرافية صغيرة، لا تملك الكثير من الموارد الطبيعية كغيرها من دول العالم، لكن أتباع الديانات السماوية، يؤمنون أن هذه البقعة الصغيرة تملك قوة روحية، تمنحها لمن بسط نفوذه عليها من المؤمنين.

المحور الثالث: أرض الإسراء والمعراج:

قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء:1].

وتلك مكانة عالية لبيت المقدس، أن يربط الله تعالى بين مسجدها الأقصى والمسجد الحرام بمكة المكرمة، ثم كان لها شرف صلاة النبي بالأنبياء إماماً في مسجدها، "فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ انْقَضَتْ فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ"².

وعرف الصحابة قدر تلك البقعة المباركة، وحرصوا على الصلاة فيها تأسياً به ﷺ، فلما فتح عمر المسجد الأقصى، أراد أن يصلي في المسجد الأقصى، فسأل كعب الأحبار عن المكان الذي يصلي فيه،

¹ المرجع السابق، العويسي، ص76-94.

² مرجع سابق، بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج4، باب مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رقم الحديث: 2324، ص167.

فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى¹.

وقد ورد في فضل شد الرحال إلى المسجد الأقصى، ومضاعفة أجر ومغفرة ذنوب من أتاه للصلاة

فيه، والإهلال منه بالحج والعمرة عدة أحاديث منها:

أ_ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ وَالصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاةٍ وَالصَّلَاةُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِخَمْسِمِائَةِ صَلَاةٍ"².

ب_ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ أَحْرَمَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، عَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"³.

ت_ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الْأَحْنَسِيِّ، عَنْ أُمِّهِ أُمِّ حَكِيمٍ ابْنَةِ أُمِّئَةَ بْنِ الْأَحْنَسِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ أَهَلَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِعُمْرَةٍ، أَوْ بِحِجَّةٍ، عَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" قَالَ: فَرَكِبْتُ أُمَّ حَكِيمٍ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَدِيثِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى أَهَلَّتْ مِنْهُ بِعُمْرَةٍ"⁴.

ث_ وقد امتثل لهذا التوجيه النبوي ثلة من الصحابة الأجلاء، منهم ابن عمر، فعن سالم عن ابن عمر: "أنه أحرم بالعمرة في بيت المقدس"⁵.

¹ مرجع سابق، الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج4، باب الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي، رقم الحديث: 5871، ص6.

² المرجع السابق، الهيثمي، ج4، باب الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي، رقم الحديث: 5873، ص7.

³ مرجع سابق، بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج44، باب حديث أم سلمة، رقم الحديث: 26557، ص180.

⁴ المرجع السابق، بن حنبل، ج44، باب حديث أم سلمة، رقم الحديث: 26558، ص181.

⁵ مرجع سابق، المقدسي، فضائل بيت المقدس، ج1، باب ذكر من أحرم من بيت المقدس من الصحابة، ص89.

المطلب الثاني: الاستراتيجية النبوية لتحرير بيت المقدس

لم يقتصر الاهتمام النبوي ببيت المقدس على السنة القولية، بل تعداه إلى السنة الفعلية، فكانت الخطة المنهجية للنبي ﷺ، تقوم على ربط الأمة ببيت المقدس برباط عملي، من خلال تقديم التضحيات؛ لتحرير بقعة مهمة من أرض الإسلام.

فناه يحرص على إرسال الجيوش الإسلامية إلى تخوم الشام باستمرار؛ بحيث تكون مقدمة للفتح الفعلي لبيت المقدس، بعد أن كان الفتح الروحي في رحلة الإسراء والمعراج.

وقد أخذ التحرك العسكري للنبي ﷺ باتجاه بيت المقدس شكلين اثنين، عمليات عسكرية صغيرة، وعمليات عسكرية كبرى، وقد كان الهدف من الأولى استطلاع الطرق وتدريب قادة الجيوش الإسلامية. ويدخل في هذا الشكل جميع السرايا التي شارك فيها عدد محدود من الصحابة. اما العمليات الكبرى فقد هدفت للتخلص من العقبات الكبرى أمام الجيوش الإسلامية باتجاه بيت المقدس، والتحضير الفعلي للفتح¹. ويقول عبدالله معروف أنه لم يكن في العام الخامس للهجرة، أي سرية أو غزوة باتجاه الشمال الغربي، أي باتجاه بيت المقدس، أما العام السادس فشهد (13) سرية، وغزوتين، واحدة منهما كانت أكبر غزوة في حياته، وهي أبعد ما وصل إليه ﷺ².

أما الباحث فله رأي مختلف، وهو أن العام الخامس للهجرة، شهد أول غزوة باتجاه بيت المقدس، وسأقتصر هنا على ذكر أهم هذه السرايا والغزوات، وهي كما يلي:

¹ معروف، عبدالله، بيت المقدس في استراتيجية النبي ﷺ، (مسودة الكتاب)، 2014، ص 112-113.

² المرجع السابق، ص 79-80.

غزوة دومة الجندل:

بدأ تنفيذ الخطة العملية عام 5 هجري، حيث توجه النبي ﷺ إلى دومة الجندل في شهر ربيع الأول، بعد أن بلغه أن جمعا من الروم تجمعوا بها¹.

وقال محمد بن عمر الواقدي عن شيوخه عن جماعة من السلف: أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام، وقيل له إن ذلك مما يفزع قيصر، وذكر له أن بدومة الجندل جمعا كبيرا وأنهم يظلمون من مر بهم، وكان لهم سوق عظيم وهم يريدون أن يدنو من المدينة. فندب رسول الله الناس فخرج في ألف من المسلمين، فجاء الخبر أهل دومة الجندل ففرقوا، فنزل رسول الله ﷺ، بساحتهم فلم يجد فيها أحدا، فأقام بها أياما، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمة رجلا منهم فأتى به رسول الله ﷺ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس، فعرض عليه رسول الله الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة².

وعندما نتأمل هذا النص "أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام"، ندرك مدى ذلك الاهتمام النبوي بأرض الشام، فقد كان بإمكان النبي أن يتحصن في المدينة المنورة، وينتظر قدوم ذلك الجيش، الذي سيصل إن فعل— منهكا، بعيدا عن مصادر الدعم اللوجستي، أما الجيش الإسلامي، فيعرف طبيعة الأرض، وعنده كافة الاحتياجات، لكنه لم يفعل، ولم يختار مكانا آخر، بل توجه إلى أقصى موقع يمكن أن يصله الجيش الإسلامي؛ ليؤكد للأمة أن للمسلمين بتلك البقاع، أرض خاضعة للاحتلال لا بد أن تستعاد بأي ثمن.

أما دعوة ذلك الرجل إلى الإسلام، فتعني أن النبي ﷺ، يحاول من جديد أن يمهد الطريق للفتح القادم

لبيت المقدس.

¹ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت، دار التراث، ط2، 1387هـ)، ج2، ص564.

² ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (لا.م)، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ/1988م)، ج4، ص105.

سرية حسمى:

هي سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه، في جمادى الآخرة للعام السادس من الهجرة/627م، وهذه المنطقة تقع

على مشارف الشام.

وسببها كما ذكر ابن كثير هو الرد على الاعتداء الذي وقع على دحية الكلبي، رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى قيصر، ذلك أنه في طريق عودته، لما بلغ واديا في أرض بني جذام يقال له: شنار. أغار عليه الهنيد بن

عوص وابنه عوص بن الهنيد الصليعيان، والصليع بطن من جذام، فأخذ ما معه، فنفر حي منهم قد أسلموا،

فاستنقذوا ما كان أخذ لدحية فردوه عليه¹.

ويرى عبد الله معروف أنه ليس من المعقول أن يبعث رسول الله جيشا ليؤدب اثنين فقط أقدماء على

هذه الفعلة، وخاصة أن نفرا من قبيلة جذام انتصروا لدحية الكلبي وردوا عليه ما سلب منه. ويعلل ذلك بأنها

أول حملة عسكرية باتجاه الشمال الغربي، لتمهيد الطريق لتحرير بيت المقدس².

غزوة خيبر:

وقعت الغزوة في العام السادس للهجرة/628م، إذ توجه النبي شمال غرب المدينة المنورة، إلى الطريق

الواصل إلى بيت المقدس. ويذكر عبدالله عمر أن الهدف من هذه الغزوة ليس معاينة يهود خيبر على خيانة

المسلمين في معركة الخندق، إذ لو كان كذلك بالفعل لما أرسل جيوشه لتصل إلى أم القرى وتيماء، فلا علاقة

لهاتين المدينتين بالخندق، بل إن هدفها هو تمهيد الطريق لتحرير بيت المقدس³.

¹المرجع السابق، ابن كثير، ج8، ص13.

²مرجع سابق، معروف، بيت المقدس في استراتيجية النبي صلى الله عليه وسلم، ص83.

³المرجع السابق، معروف، ص87.

معركة مؤتة:

لم يقتصر الأمر في نفوس المؤمنين علي مجرد إلقاء المواعظ، وسرد خصائص بيت المقدس، ولا إرسال الرسل والإنذار النظري للروم، بل توج كل ذلك بالعمل الجاد والتحرك الفعلي تجاه بلاد الشام، فكانت مواجهة حامية بين المسلمين والروم في غزوة مؤتة.

وهي سرية زيد بن حارثة، في نحو ثلاثة آلاف مقاتل، إلى أرض البلقاء من أرض الشام. وقد عين فيها النبي ﷺ، ثلاثة قادة للجيش: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، فلما وصل المسلمون معانا بأرض الشام، بلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة، فثبت الجيش الإسلامي، وقاتل قتالا شديدا، حتى استشهد القادة الثلاثة، الذين سماهم رسول الله، فأخذ الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه، فانحاز بالقوم حتى خلصهم من أيدي الكافرين، فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقه، توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين¹.

ومن خلال دراسة هذه المعركة ضمن الظروف التي أحاطت بها، يتضح أن هدف هذه المعركة هو فتح الطريق المباشر أمام الشام وتأمينه؛ لأن هذا الطريق يصل مباشرة داخل الشام من جهة تبوك، بدل الوصول إليها عبر الطريق الساحلي. فالطريق الداخلي أقرب ويؤدي مباشرة إلى قلب الشام، أما الطريق الساحلي فيمر عبر أيلة، ثم يدخل مرة أخرى إلى الصحراء².

¹ مرجع سابق، ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص275-283.

² مرجع سابق، معروف، بيت المقدس في استراتيجية النبي ﷺ، ص91.

غزوة تبوك:

وفي السنة التاسعة للهجرة، أمر النبي الصحابة بالتجهز لغزو الروم، وكان سببها أن النبي ﷺ، بلغه أن هرقل ملك الروم ومن عنده من منتصرة العرب قد عزموا على قصده، فتجهز هو والمسلمون وساروا إلى الروم¹. وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضعة عشرة ليلة، ولم يجاوزها، ولم يقدم عليه الروم والعرب المنتصرة، فعاد إلى المدينة².

ويرى عبدالله عمر أن غاية هذه الغزوة هو فتح الطريق نحو تحرير بيت المقدس، فمن خلال دراسة أحداث الغزوة يلفت النظر إلى أمرين مهمين. الأول: أن النبي ﷺ كتب معاهدات ضمنت للمسلمين الحصول على الموارد اللازمة في المستقبل، فقد ضمن التزود بالسلاح من مقنا وأذرح، والتزود بالطعام من أيلة. أما الثاني فهو حديث أورده البخاري قاله النبي في تبوك، عن عوف بن مالك، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فقال: "اعدد سنا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس..."³. فهذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها النبي أن الزمان الذي سيتم فيه فتح بيت المقدس هو بعد وفاته⁴.

ويضيف الباحث أن المكان الذي ذكر فيه فتح بيت المقدس له دلالة تربوية، فلم يأت ذكره في المدينة المنورة على قدرها، بل في موقع الغزوة، القريب أصلاً من بيت المقدس، لاشك أن ذلك يشحذ هم الصحابة لتنفيذ الوعد النبوي، المنسجم مع الحقيقة القرآنية في سورة الإسراء، وهذا كله في سياق الاستراتيجية النبوية للتحرير، ولذلك كان الخليفة الأول _ كما سنرى _ أكثر وعياً وإدراكاً لها.

¹ ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1417هـ/1997م)، ج2، ص145.

² المرجع السابق، ابن الأثير، ج2، ص149.

³ مرجع سابق، البخاري، صحيح البخاري، باب ما يحذر من الغدر، ج4، ص101.

⁴ مرجع سابق، معروف، بيت المقدس في استراتيجية النبي ﷺ، ص101-102.

إنفاذ جيش أسامه:

قبل وفاة النبي ﷺ عقد اللواء لجيش، بقيادة أسامه بن زيد، وأمره بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام، حيث استشهد القادة الثلاثة.

ولعل في هذا إشارة من الرسول ﷺ إلى صحابته من بعده، أن ما بدأه لا بد أن يستمر، وأنه لا بد من مواصلة الجهاد في سبيل الله حتى يسقط طواغيت الروم، وتحرر بلاد الشام بما في ذلك بيت المقدس من الاحتلال الأوروبي ومن شايعة من أبناء العرب المشركين¹.

وتوفي النبي ﷺ ولم يتحرك الجيش، وارتدت العرب إما عامة أو خاصة من كل قبيلة. فقال الناس لأبي بكر: إن هؤلاء، يعنون جيش أسامه، جند المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك. فقال أبو بكر: والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تحتطني لأنفذت جيش أسامه كما أمر النبي ﷺ².

من خلال هذا النص يتبين لنا مدى شدة تلك المحنة على المجتمع الإسلامي؛ فالنبي الذي تعلق به النفوس والقلوب رحل إلى الرفيق الأعلى؛ ثم كانت ردة كثير من القبائل عن الإسلام؛ والروم يتربصون بالمسلمين الدوائر، ومع ذلك يصر الصديق على إنفاذ جيش أسامه، وهنا يتضح أن الصديق كان أكثر الصحابة معرفة بتخطيط النبي، ورؤيته الاستراتيجية لتحرير بيت المقدس، فاقتفى آثارها وعمل وفق شروطها؛ لتحقيق هدف سام، وهو تخليص بيت المقدس من براثن الشرك.

لقد أخذ الصديق الراية بحققها، وحمل الأمانة كاملة، فالقيادة كما فهمها من النبي، لا تعني التوقع في المدينة، بل إنها تسير في خطين متوازيين: الأول: حماية المدينة والذود عنها، وتمكين أركان الدولة المدنية فيها،

¹ مسعود، جمال، الطريق إلى بيت المقدس "القضية الفلسطينية"، (القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ل.ت)، ج1، ص54.

² مرجع سابق، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص195.

والثاني: المضي قدما في منهجية تحرير أرض إسلامية، كانت قبلة المسلمين الأولى، وإليها كانت رحلة الإسراء والمعراج، ثم لم يفتأ النبي أن يذكرها في حله وترحاله.

معركة اليرموك:

في سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجيوش إلى بلاد الشام، أحدها بقيادة يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق، والثاني بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وجعل له نيابة حمص، وبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين، ثم تبعه جيش رابع بقيادة شرحبيل بن حسنة، ثم بعث مددا للجيوش الإسلامية بقيادة خالد بن الوليد. وأثناء استعداد المسلمين للقتال جاء خبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم وقع قتال شديد ثبت فيه المسلمون، في مقابل جيش الروم، الذي يفوقهم عددا وعدة، حتى كان لهم النصر والتمكين¹.

فتح بيت المقدس:

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم ذلك الفتح، مع اختلاف المصادر في تاريخه؛ نتيجة لعدم كتابة التاريخ عند المسلمين آنذاك، فبينما يذكر سيف بن عمر أن الفتح تم في 15هـ/636م، في خبره الذي نقله عنه الطبري، فإن هناك مصادر تجعله في سنة 17هـ/638م، استنادا إلى بعض الأخبار التي أوردها البلاذري، بينما تذكر الروايات المبكرة أن الفتح كان في سنة 16هـ/637م، وتوافقها المصادر العربية المتأخرة².

ومع أن الكاتب محمد النقر لم يقطع بسنة ذلك الفتح، لكنه على ما يبدو يرجح أنه تم في السنة 16 للهجرة، غير أن العديد من المصادر التاريخية المبكرة، كالطبري وابن كثير وابن الأثير على أحد القولين، تقطع بأن الفتح كان في سنة 15 للهجرة.

¹ مرجع سابق، ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص5-19.

² النقر، محمد الحافظ، تاريخ بيت المقدس من الفتح العمري حتى العهد الأيوبي، (عمان، دار الرازي، ط1، 1424هـ/2003م)، ص18-19.

غير أن عثمان الطل يقرر أن فتح بيت المقدس كان في جمادى الأولى أو الثانية للعام الهجري 16،

الموافق يونيو أو يوليو عام 637م¹.

الخلاصة:

يرى عبدالله معروف في كتابه بيت المقدس استراتيجية النبي ﷺ، أن سرية حسمى هي أول سرية باتجاه

الطريق الواصل إلى بيت المقدس، بينما يرى الباحث أن أول تحرك عسكري باتجاه بيت المقدس لم يكن من

خلال سرية، بل كان أكبر من ذلك.

لقد كانت غزوة دومة الجندل، أول تحرك عسكري بدأه النبي لتحرير بيت المقدس، وطبيعة هذه الغزوة

والاهتمام بها، نابع من الاهتمام بالغاية المرجوة منها، وهي التمهيد لفتح بيت المقدس، وهذا يتضح من خلال

مايلي:

1_ مشاركة النبي ﷺ بنفسه في هذه الغزوة، إذ لم يؤمر عليها أحدا من الصحابة، ولا حتى من أبرع وأمهر

قاداته.

2_ العدد الكبير نسبيا الذي شارك في هذه الغزوة، صحيح أنه ليس كبيرا جدا مقارنة بمعارك أخرى، لكنه يعد

أكبر من غيره في ذلك العام.

¹ Al-Tel, Othman, **The First Islamic Conquest of Aelia (Islamic Jerusalem): A Critical Analytical Study of the Early Islamic Historical Narratives and Sources**, Al-Maktoum Institute Academic Press, 2003, p. 118.

3_ وصول الجيش إلى أقرب منطقة من بيت المقدس، ولذلك دلالة عظيمة فهمها البيزنطيون، وهي أن الجيش الفتي الذي وصل إلى هذه البقعة القريبة من أماكن السيطرة والنفوذ البيزنطي، لن يقبل في المستقبل بأقل من هذا الانجاز، وهذا سيفتح شهيته للتقدم أكثر، والوصول إلى بيت المقدس، فالبيزنطيون يعلمون جيدا مكانة بيت المقدس عند المسلمين، فلن يخفى عليهم خبر رحلة الإسراء والمعراج.

ويرى الباحث أن بداية تنفيذ استراتيجية فتح بيت المقدس بهذا المستوى، لا يدل فقط على مدى الاهتمام والإصرار النبوي على استرداد بيت المقدس، وإعادتها إلى حكم الإسلام، بل يدل على الحكمة النبوية، والتعظيم لشأن بيت المقدس. نعلم أنه من البديهي أن تبدأ أي استراتيجية عظيمة بوتيرة متصاعدة شيئا فشيئا، لكن أن تبدأ بغزوة بهذا المستوى، من حيث طبيعة المشاركة، وقوام الجيش، وموقعها، فليس لذلك إلا تحليل واحد عند الباحث، وهو أن النبي ﷺ دشن مرحلة فتح بيت المقدس بنفسه، وأنه كان يتوق لذلك الفتح، كما يتوق تماما لفتح مكة. أما وإن علم بعد ذلك أن الفتح لن يتم في حياته، فقد أعطى هذه القضية بعدا دينيا وإداريا وتربويا عظيما في نفوس الصحابة.

المطلب الثالث: بيت المقدس في العهود الإسلامية المتعاقبة

1_ القدس في العهد الراشدي:

بعد الفتح الإسلامي أخذت هذه الأرض تكتسب من جديد هويتها الإسلامية؛ إذ دخل أهلها في الإسلام، وكان للصحابة الذين عاشوا فيها أثر بالغ في تعميق مفاهيم الإيمان في نفوس أهل بيت المقدس.

ومن الصحابة الذين سكنوا بيت المقدس: إبراهيم بن أبي علة العقيلي، ويزيد بن سلام، وعبدالله بن محيرز الجمحي، ويزيد بن أبي سودة¹.

ومنهم من تولى إمارتها أو دفن فيها، ومنهم: عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، ووائل بن الأسقع (ت 85هـ/704م)، وأبو ریحانة شمعون الأنصاري، وفيروز الديلمي (ت 53هـ/672م)، ومسعود بن أوس أبو محمد النجاري، وذو الأصابع التميمي اليمني، وسلامة بن قيصر الحضرمي²، وأبو أبي ابن أم حرام، وهو آخر من مات من الصحابة في بيت المقدس³.

وتظهر إحصائية معاصرة، أن من بين الأعيان المتوفين في بيت المقدس في العهود الإسلامية، (9) من الصحابة، و (60) من الملوك والأمراء وأرباب الحكم، و (167) من العلماء و (66) من الأولياء والصالحين، و (53) من القضاة⁴.

¹ صالح، محسن، الطريق إلى القدس، (بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والنشر، ط5، 1433هـ/2012م)، ص78.

² العسلي، كامل، أجدادنا في ثرى بيت المقدس، (عمان، الجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، 1981م)، ص16.

³ الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العلمي (ت928هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان نباتة، (عمان، مكتبة دنديس، لا.ت)، ج1، ص266.

⁴ مرجع سابق، صالح، الطريق إلى القدس، ص79.

2_ العهد الأموي والعباسي:

في عصر بني أمية أبدى الخلفاء اهتماما خاصا ببيت المقدس، فزارها كل من معاوية بن أبي سفيان، وعبدالمملك بن مروان، وعمر بن عبدالعزيز، والوليد بن عبدالمملك، وسليمان بن عبدالمملك. وقد أخذ البيعة من خلفاء بني أمية في القدس كل من معاوية، وعبدالمملك بن مروان، وسليمان بن عبدالمملك¹.

واستمر العباسيون في تعظيم بيت المقدس، فقد زار أبو جعفر المنصور بيت المقدس مرتين، وأمر بإعادة بناء المسجد الأقصى، بعد سقوط أجزاء منه، إثر الزلزال الذي وقع سنة 130هـ/747-748م. وشهدت الحركة العلمية في ظل العباسيين انتعاشا كبيرا، تمثلت في زيارة عدد كبير من الأئمة والعلماء لبيت المقدس، منهم: عبدالرحمن الأوزاعي، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، ومُجَّد الشافعي².

3_ العهد الطولوني والإخشيدي:

عندما بدأ الضعف في السلطة المركزية ببغداد، دخلت القدس وفلسطين في حوزة الطولونيين سنة (265_ 292هـ/878-905م)، وتلاههم في حكمها الإخشيديون سنة (359-327هـ/939-969م)، وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين، إذ أوصى جميع ملوكهم بأن يدفنوا فيها³.

4_ العهد الفاطمي والسلجوقي:

عام 359هـ/969م سيطر الفاطميون على القدس، وخلال تلك الفترة تعرض نصارى القدس للاضطهاد، وكان أكثر المضايقات في عهد الحاكم بأمر الله (411-386هـ/996-1020م) حيث أمر بهدم كنيسة القيامة سنة 400هـ/1009م، كما اتبع ضدهم سياسة التشديد، مما أدى إلى هجرة بعضهم إلى

¹ العسلي، كامل، مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، (عمان، وزارة الشباب، 1988م)، ص23-24.

² المرجع السابق، العسلي، ص25-26.

³ أبو الحاج، ثابت، العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً، ص17.

بلاد الروم¹. ولم تكن تلك السياسة قاعدة ثابتة، بدليل أنه تراجع عنها، وسمح لهم بإعادة إعمار كنيسة القيامة، ورد إليهم أديرتهم وكنائسهم².

وعام 463هـ/1070م سيطر أتسز بن أوق الخوارزمي، وهو أحد قادة السلاجقة على القدس، ثم عادت القدس إلى السيطرة الفاطمية عام 491هـ/1098م³.

وخلال حكم السلاجقة الذي دام (28) عاما، تمتعت بيت المقدس بنهضة علمية في الفقه والعلوم الإسلامية، فكان المسجد الأقصى مقام العلماء، الذين توافدوا من أقطار عديدة منها: الأندلس، وفارس، والحجاز، وما وراء النهر، وغيرها⁴.

وبعد عام واحد من عودة القدس للسيطرة الفاطمية، تعرضت للاحتلال الصليبي عام 1099م، وظلت كذلك حتى تحريرها في معركة حطين⁵.

5_ العهد الأيوبي والمملوكي:

بعد تحرير القدس عام 583هـ/1187م، أزال صلاح الدين الصليب عن قبة الصخرة، ورفع فيها المصاحف، وعين لها الأئمة ووضع في المسجد الأقصى، المنبر الذي أمر نور الدين محمود بن زنكي بصنعه⁶.

¹ مرجع سابق، كفاي، القدس عبر العصور، ص 132.

² العارف، عارف، تاريخ القدس، (القاهرة، دار المعارف، ط2، لانت)، ص62.

³ مرجع سابق، كفاي، القدس عبر العصور، ص 135-136.

⁴ مرجع سابق، العسلي، مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، ص28.

⁵ المرجع السابق، العسلي، ص28.

⁶ مرجع سابق، أبو الحاج، العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً، ص17.

كما أقام انشاءات عديدة، فأنشأ سورا وأبراجا حربية من باب العامود إلى باب الخليل، وأمر بحفر خندق عميق إزاءه، وشارك في البناء بنفسه. كما أنشأ البيمارستان الصلاحي (ثاني أكبر مستشفى في المدينة)، والمدرسة الصلاحية، وخانقاه (رباط) للصوفية¹.

ثم دخلت القدس في حوزة المماليك سنة 651هـ/1253م، فحظيت باهتمام كبير من السلاطين، فزارها الظاهر بيبرس، وسيف الدين قلاوون، والناصر مُحمَّد بن قلاوون، والأشرف قايتباي، وغيرهم، وأقاموا فيها منشآت دينية مختلفة، وأجروا عمارات كثيرة في مسجد قبة الصخرة، والمسجد القبلي، ومن تلك المنشآت زهاء (50) مدرسة، و (70) رباط، وعشرات الزوايا².

وقد أخذ اهتمامهم بالمدينة صورا عديدة، أبرزها: الاهتمام بتعمير المدينة عموما، والأماكن الدينية بشكل خاص، ووقف الاوقاف عليها. ولذلك فإن معظم الآثار الإسلامية الباقية حاليا هي آثار مملوكية، (81) أثرا من مجموع (153)³.

ومن أعمال المماليك أيضا إجراء اصلاحات عديدة للمسجد الأقصى، وإيصال الماء إلى القدس من عين العروب، وإلغاء عدة مظالم في المدينة⁴.

¹ مرجع سابق، العسلي، مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، ص30-31.

• الربط: جمع رباط، وقد أنشئت في الأصل لإيواء المجاهدين، لكن الصوفيين استعملوها فيما بعد للتعبد على أساس أنهم يخوضون جهادا روحيا، كما استعملت لإيواء الغرباء والفقراء القادمين لزيارة القدس وخاصة في العهد المملوكي. (معالم البلدة القديمة، قسم الإعلام والأبحاث، مؤسسة القدس الدولية، ل.ت، ص30).

² مرجع سابق، أبو الحاج، العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً، ص18.

³ مرجع سابق، العسلي، مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، ص33-34.

⁴ مرجع سابق، كفاي، القدس عبر العصور، ص237-238.

6_ العهد العثماني:

وفي سنة 922هـ/1516م حكمها العثمانيون، ومن ضمن الاصلاحات العثمانية، أن سليمان القانوني أعاد بناء سور القدس، الذي استغرق بناؤه خمس سنوات، وبلغ طوله أربع كيلو مترات، وارتفاعه اثني عشر متراً، وله ثمانية أبواب رئيسة، واستمر تقدم المدينة وازدهارها، وتوسعت خارج السور، وبقيت تحت حكم العثمانيين حتى عام 1917م، عندما احتلها البريطانيون، بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى¹.

¹ رابعة، إسماعيل، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، (عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1408هـ/1987م)، ص27.

المطلب الرابع: الأماكن الإسلامية المقدسة في بيت المقدس

تضم بيت المقدس العديد من الآثار الإسلامية، التي تتمتع بتعظيم المسلمين، وقد خاض عرب فلسطين ثورات متعددة دفاعاً عن هذه المقدسات.

ويبلغ المجموع الإجمالي للآثار الإسلامية (219)، تشمل (46) مدرسة، و (40) زاوية ومقبرة وضريحاً، و (25) مسجداً ومأذنة، و (22) سبيلاً وحماماً، و (35) أثراً داخل المسجد الأقصى، و (34) طريقاً، و (9) أسواق، و (8) أسوار وأبواب القدس القديمة¹.

ومن أبرز تلك الآثار ما يلي:

أولاً: المساجد:

1_ المسجد الأقصى المبارك:

هو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام، فعن أبي ذرِّ الغفاريّ، قال قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ" قَالَ قُلتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى" قُلتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مُصَلَّى، فَصَلِّ حَيْثُ مَا أَدْرَكْتَكَ الصَّلَاةُ"².

أما عن الذي بناه، فهناك روايات تشير أن الذي بناه هو آدم عليه السلام، قال ابن حجر: "وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلا من المسجدين، فذكر أن ابن هشام قال في كتاب "التيجان": أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأن بينيه، فبناه ونسك فيه"³.

¹ الزحيلي، وهبه، مكانة القدس في الأديان السماوية، (دمشق، دار المكتبي، ط1، 1421هـ/2001م)، ص33.

² ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد عبد الباقي، (لا.م، دار إحياء الكتب العربية، 1952م)، ج1، باب أي مسجد وضع أول، رقم الحديث: 753، ص248.

³ برزق، مخلص، القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، سلسلة أبحاث القدس (5)، (بيروت، مؤسسة القدس، 1424هـ/2003م)، ص23.

وفي كتاب: "الجامع لأحكام القرآن"، ورد احتمال آخر: "ويجوز أن تكون الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت بإذن الله؛ وكل محتمل، والله أعلم. وقال علي بن أبي طالب: أمر الله الملائكة ببناء بيت في الأرض وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به، ثم الأنبياء بعده، ثم استتم بناء إبراهيم عليه السلام"¹.

وهنا يبرز تعارض بين الحديث السابق وهذا الحديث، وحديث عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ: "أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس، سأل الله تعالى خلالا ثلاثة: سأل الله حكما يصادف حكمه فأوتيته، وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيته، وسأل الله ﷻ حين فرغ من بناء المسجد، أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه"².

ويعلق على ذلك القرطبي بقوله: "فجاء إشكال بين الحديثين؛ لأن بين إبراهيم وسليمان آمادا طويلة. قال أهل التواريخ: أكثر من ألف سنة. فقيل: إن إبراهيم وسليمان عليهما السلام إنما جددا ما كان أسسه غيرهما"³.

وهذا يدل على أن المسجد الأقصى كان موجودا قبل بني إسرائيل، وقبل نزول التوراة، وقبل موسى، وداود، وسليمان، وهو أقدم من الهيكل المزعوم، ويؤكد حق المسلمين فيه، لأنهم ورثة إبراهيم عليه السلام وكل

¹ مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص138.

² السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، شرح السيوطي على النسائي، (بيروت، دار المعرفة، ط4، 1418هـ/1997م)، ج2، ص364.

³ مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص138.

الأنبياء، قال تعالى: " { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } " (آل عمران: 67)¹.

ويضم المسجد الأقصى كل الآثار الإسلامية، مسجد قبة الصخرة، والمسجد القبلي المسقوف، وما بينهما من منشآت حتى الأسوار، وطول الجهة الشرقية (474) متراً، ومن الناحية الغربية (490) متراً، ومن الناحية الشمالية (321) متراً، ومن الناحية القبليّة (283) متراً، والمساحة الكلية تبلغ (140.900م²)².

ومن بين هذه المعالم التي يضمها المسجد الأقصى المبارك، ما يلي:

أ_ الجامع القبلي المسقوف:

شرع في بنائه الخليفة عبد الملك بن مروان³، وأتمه ابنه الوليد بن عبد الملك حوالي سنة 90هـ-708م⁴. وهو الجامع الكبير المبني جنوبي المسجد الأقصى، الذي بني به المنبر والحراب الكبير. ويبلغ طوله من الداخل (80م)، وعرضه (55م)، ويقوم الآن على (53) عموداً من الرخام، و (49) سارية مربعة من الحجارة، والقبلة في صدر الجامع، وله أحد عشر باباً: سبعة منها في الشمال في واجهة المسجد، وأوسطها أعلاها، وباب واحد في الشرق، واثنان في الغرب وواحد في الجنوب⁵.

والمستحب أن يصلي المسلم فيه، وهو الذي بناه عمر بن الخطاب للمسلمين⁶، وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لها عن بعض، إلا ما بني عمر لمصلي المسلمين⁷.

¹ حماد، نافذ، مكانة المسجد الأقصى وما حوله عند شيخ الإسلام ابن تيمية، القدس تاريخاً وثقافة، أبحاث المؤتمر الخامس لكلية الآداب، (غزة، الجامعة الإسلامية، 2011م)، ص342.

² مرجع سابق، برزق، القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ص11.

³ القدس لنا، جمعية إحياء التراث الإسلامي (لجنة العالم العربي)، إصدار خاص بمناسبة أسبوع الأقصى الثاني، 1421هـ/2000م، ص15.

⁴ مرجع سابق، العسلي، مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، ص24.

⁵ مرجع سابق، القدس لنا، ص15.

⁶ مرجع سابق، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج26، ص150.

⁷ مرجع سابق، حماد، مكانة المسجد الأقصى وما حوله عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص338.

ب_ مسجد قبة الصخرة:

بناه الخليفة عبد الملك بن مروان، سنة سبعين من الهجرة، وحمل إلى بنائه خراج مصر سبع سنين، واستمر البناء نحو ثلاث سنين¹.

والصخرة تشكل أعلى بقعة في المسجد الأقصى، وأسفل الصخرة يوجد كهف مربع تقريبا طول ضلعه (4,5م)، وعمق (1,5م)، ويوجد في سقف هذا الكهف ثقب قطره متر واحد تقريبا، وهي ليست معلقة، وإنما متصلة بالأرض من أحد الجوانب. وتقع القبة التي فوق الصخرة، في مركز شكل ثماني، يبلغ طول ضلعه (20,59م)، وارتفاعه (9,5م)، ويوجد في الجزء العلوي من كل جدار (5) شبايك، كما أن هناك أربعة أبواب، في أربعة جدران خارجية، والقبة صنعت من الخشب، وهي عبارة عن قبتين داخلية وخارجية، كل منهما مكونة من (32) ضلعا، وتغطي القبة من الخارج ألواح من الرصاص، ثم ألواح من النحاس اللامع².

ت_ المصلى المرواني:

يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى، ويتكون من (16) رواقا، تبلغ مساحتها (3775) مترا مربعا، أي ما يقارب أربع دونمات. خصص زمن عبد الملك بن مروان؛ ليكون مدرسة فقهية متكاملة، ومن هنا أطلق عليه اسم المصلى المرواني، وعند احتلال الصليبيين للمسجد الأقصى، استخدم مربطا لخيولهم ودوابهم، ومخازن ذخيرة، وأطلقوا عليه "اسطبلات سليمان"³.

¹ الأنصاري، عبد الله (ت761هـ)، تحصيل الأنس لزائر القدس، تحقيق: عيسى القدومي وخالد ناصره، الإصدار الثالث والعشرون، (قبرص- نيقوسيا، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، 1430هـ/2009م)، ص133.

² مرجع سابق، القدس لنا، ص16.

³ المرجع السابق، القدس لنا، ص17.

ث_ حائط البراق:

سُمي بحائط البراق؛ لأن النبي ﷺ ربط عنده البراق، الذي ركبته ليلة الإسراء، كما جاء في الصحيح من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "أُتِيْتُ بِالْبَرَّاقِ، وَهُوَ ذَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَعْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ"، قَالَ: "فَرَكَبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ"، قَالَ: "فَرَبَطْتُهُ بِالْحُلْقَةِ الَّتِي يَرَبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ"، قَالَ "ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ.. الحديث"¹.

وهو الجزء الجنوبي الغربي من جدار المسجد الأقصى، ويبلغ طوله حوالي (50م)، وارتفاعه حوالي (20م)، وهو جزء من المسجد الأقصى².

وهو ملك للمسلمين، وكذلك الرصيف أمام الحائط، الذي يقف عليه اليهود عندما يزورون الحائط للبقاء، ويبلغ عرضه أحد عشر قدماً، ومساحته (120) قدماً مربعاً، فهو وقف إسلامي. ويمنع المسلمون اليهود من جلب المقاعد والكراسي والستائر أو أية أداة من الأدوات: سواء تلك التي تستخدم للجلوس أو للطقوس التلمودية. ولا يسمحون لهم إلا بالوصول إلى المكان. ووقعت خلافات شديدة بين المسلمين واليهود حول البراق من هذه الناحية. انتهت كلها بانتصار المسلمين³.

كما يضم المسجد الأقصى المبارك العديد من القباب، منها: السلسلة، والمعراج، والنبي، وبعض الأسبلة، منها: سبيل شعلان أو الشعلان، وقايتباي، وحوض الكأس، وكذلك مجموعة من الآبار، يبلغ عددها (27) بئراً، كلها عامرة، عدا اثنين منها⁴.

¹ النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا.ت)، ج1، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، ص145.

² مرجع سابق، القدس لنا، ص18.

³ العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس، مطبعة المعارف، ط5، 1999م)، ج1، ص498.

⁴ مرجع سابق، برزق، القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ص13.

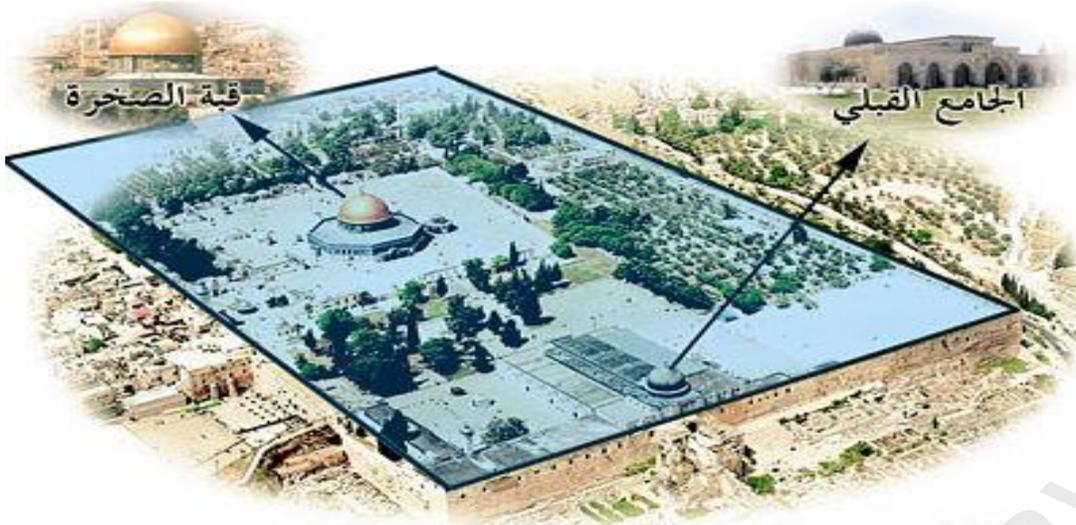


صورة رقم (1)

المسجد الأقصى المبارك

المصدر: موقع فلسطين سؤال وجواب

[/http://www.palqa.com](http://www.palqa.com)



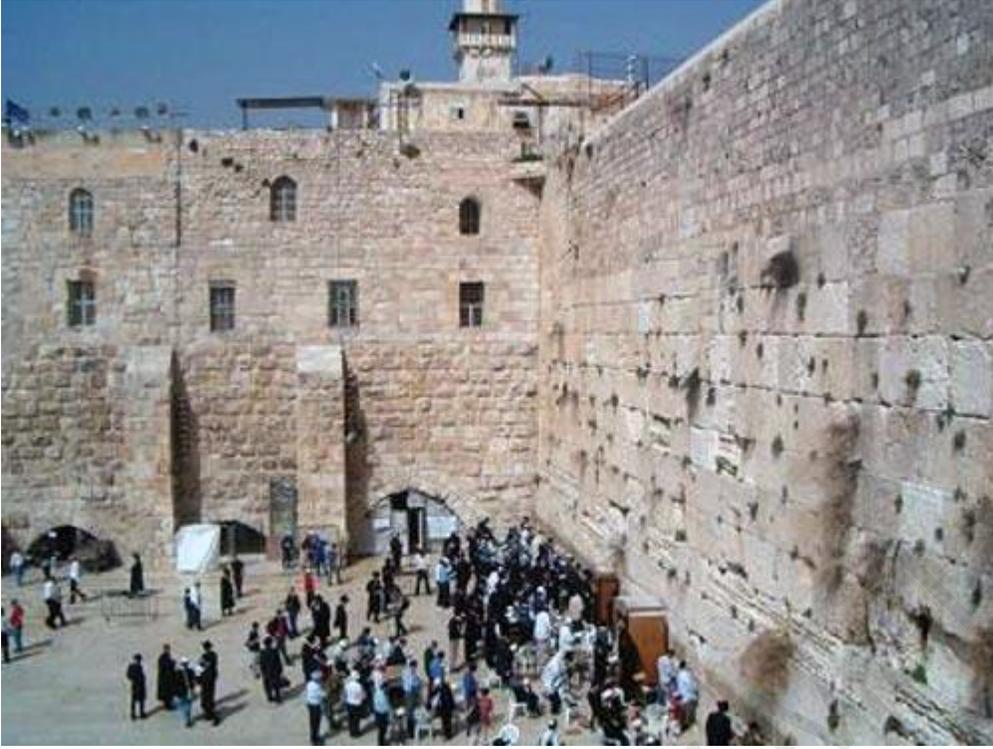
كلاهما جزء من المسجد الأقصى الذي يشكل كل المساحة المسورة (بالأزرق) ويشمل ذلك السور نفسه والساحات والحدائق وسماء وباطن أرض المسجد

صورة رقم (2)

موقع المسجد القبلي ومسجد قبة الصخرة

المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة

<https://ar.wikipedia.org>



صورة رقم (3)

حائط البراق

المصدر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=4239>

2_ مسجد عمر بن الخطاب:

يسمى أيضا مسجد الملك الأفضل، نسبة لمن جدد بناءه، وهو الملك الأفضل بن صلاح الدين سنة

589هـ/ 1193م، ويقع مقابل كنيسة القيامة، وقد أضاف عليه السلطان العثماني عبدالمجيد¹.



صورة رقم (4)

مسجد عمر بن الخطاب

المصدر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=4239>

¹ مرجع سابق، معالم البلدة القديمة، ص18.

3_ مسجد المتذنة الحمراء:

بناه الشيخ علاء الدين علي بن شمس الدين مُجد الخلوئي سنة 940هـ/1533م، عرف باسمه في النصف الأول من القرن السادس عشر، ثم أطلق عليه أهل القدس اسم مسجد المتذنة الحمراء، نسبة إلى شريط أحمر كان يحيط شرفة متذنته من أعلى، يقع في حارة السعدية، وهو من أهم ما بني في العهد العثماني، وتعتبر متذنته من أروع المآذن في القدس، ألحقت به مؤخرًا مدرسة فتيات تابعة لمدارس الأقصى في القدس، ويقام فيه أسبوعياً تجمع لنخبة من علماء القدس¹.



صورة رقم (5)

مسجد المتذنة الحمراء

المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة

<https://ar.wikipedia.org>

¹ المرجع السابق، معالم البلدة القديمة، ص11.

ثانياً_ الزوايا:

هناك العديد من الزوايا، منها:

1_ الزاوية النقشبندية:

وتسمى الأزبكية، تقع في حارة الواد بالقرب من الزاوية الشمالية الغربية للمسجد الأقصى، وعلى بضعة أمتار من باب الغوامة. بناها مؤسس الطريقة النقشبندية[•]، الشيخ مُحَمَّد بهاء الدين نقشبند البخاري. بناها لإيواء الغرباء، وإطعام الفقراء من مسلمي بخارا وجاوا وتركستان¹.



• الزوايا: مكان للعبادة، يجمع فيه أحد المتصوفة مجموعة من الأتباع من حوله للعبادة والذكر، وقد شهد عهد المماليك ازدهاراً خاصاً في هذا المجال. (معالم البلدة القديمة، قسم الإعلام والأبحاث، مؤسسة القدس الدولية، لا.ت، ص30).

• أسست هذه الطريقة خلال القرن الثامن للهجرة، ومن مبادئها العمل بقوله تعالى: "رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمِْمْ جِحَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ". (مرجع سابق، العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ص499).

¹ المرجع السابق، العارف، ص499.

صورة رقم (6)

الزاوية النقشبنديّة

المصدر: المركز الفلسطيني للإعلام

<https://www.palinfo.com>

2_ زاوية الشيخ جراح:

تقع في حي الشيخ جراح، وفيها مسجد وله معذنة¹، وذكر مجير الدين الحنبلي أنها تقع في الجهة الشمالية من القدس، ولها وقف ووظائف مرتبة، وتنسب الزاوية لمن أوقفها، وهو الأمير حسام الدين الحسين الجراحي، أحد أمراء الملك صلاح الدين، وقد دفن بزاويته المذكورة، وبظاهر الزاوية من جهة القبلة قبور جماعة من المجاهدين².

3_ زاوية النبي داود:

من الأماكن التي يجلبها المسلمون في مدينة القدس، ضريح النبي داود عليه السلام، والمسجدان الملاصقان له. ويؤلف هذه المجموعة من الضريح والمسجدين، المكان الذي يعرف حالياً بمقام النبي داود. ويقع المكان على ربوة مرتفعة من الرّبي، التي تتألف منها مدينة القدس. ويسمونها: جبل صهيون. وتحيط به أبنية كثيرة، يقيم فيها أفراد عائلة سدنة المكان، وهي عائلة الدجاني³.

وذكر مجير الدين الحنبلي أن سليمان، وداود، دفنا في قبر واحد، بالبيت المقدس عند الجثمانية⁴.

¹ المرجع السابق، العارف، ص499.

² مرجع سابق، الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص48.

³ مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص502-503.

⁴ مرجع سابق، الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص131.

ثالثاً: المقابر:

يوجد في بيت المقدس العديد من المقابر، منها ما لم يعد مستعملاً، ومنها ما زال مستعملاً حتى الآن،

وأبرزها:

1_ مقبرة ماملا:

وتسمى أيضا "مأمن الله". وهي أكبر مقابر بيت المقدس. مساحتها تقرب من مئتي ألف متر مربع. تقع غرب المدينة، وعلى بعد كيلو مترين من باب الخليل. دفن فيها عدد كبير من الصحابة والتابعين، أثناء الفتح الإسلامي عام 636م. وفيها عسكر صلاح الدين، في معركة استرداد القدس من الصليبيين عام 1187م¹.

2_ مقبرة الساهرة:

عند سور المدينة من الشمال، وعلى بعد بضعة أمتار من الباب المعروف بالساهرة. ومن أسمائها "مقبرة المجاهدين"؛ لأن المجاهدين الذين استشهدوا في معركة تحرير بيت المقدس مع صلاح الدين، قد دفنوا فيها².

¹ مرجع سابق، العارف، الفصل في تاريخ القدس، ص505-506.

² المرجع السابق، العارف، ص509.

المبحث الثاني: مكانة بيت المقدس عند المسيحيين

تستمد مدينة القدس مكانتها، من كونها مكان الوحي الإلهي على مر العصور حتى قبل المسيحية، وهي في المسيحية مكان الفداء والخلص، ومكان انطلاقاً إلى العالم أجمع¹. وهذا ما أوصى به السيد المسيح قائلاً: "وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ"².

القدس هي مدينة السيد المسيح عليه السلام، وهي تحتل المرتبة الأولى في الإنجيل، فبينما يرد ذكر مدينة بيت لحم في العهد الجديد ثماني مرات، والناصرة اثنتي عشرة مرة، يرد ذكر القدس واحداً وتسعين مرة³.

المطلب الأول: مولد المسيحية في بيت المقدس:

وجه المسيح نظره إلى بيت المقدس: "وَحِينَ تَمَّتِ الْأَيَّامُ لِارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ"⁴، وكانت مسيرة حياته إليها: "بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَعَدَا وَمَا يَلِيهِ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ!"⁵.

فقد زار القدس منذ نعومة أظفاره، وكانت على عهده تدعى أورشليم. ثم زارها ثلاث مرات بعد نشر رسالته: الأولى في الثامن عشر من تشرين أول (أكتوبر) 28م. والثانية في ديسمبر من العام نفسه. وفي الثالثة اعتقل وسيق إلى المحاكمة، وحكم عليه بالموت⁶.

¹ خضر، جمال، الإرث العربي المسيحي في القدس، مؤتمر يوم القدس العاشر، ص18.

² سفر أعمال الرسل، الإصحاح الأول:8، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية، مصر.

³ مرجع سابق، خضر، الإرث العربي المسيحي في القدس، ص19.

⁴ إنجيل لوقا، الإصحاح التاسع:51، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية، مصر.

⁵ مرجع سابق، إنجيل لوقا، الإصحاح الثالث عشر:33.

⁶ العارف، عارف، الأعمال المقدسية الكاملة، تاريخ الحرم القدسي، المسيحية في القدس، (عمان_الأردن، وزارة الثقافة، 2009م)، ج2،

ص8.

"وقد ارتبطت حياة السيد المسيح بالقدس ارتباطا ليس له مثيل، فظلت بصماته عالقة على حجارته، وفي كل شبر منها أقيمت معالم تشهد لشخصه وتذيع رسالته. فبوابات القدس تشهد لدخوله إليها دخول الملوك إلى عواصمهم، وبيوتها مازالت تتحدث عن المائدة التي أعدت فيها ليأكل مع تلاميذه عشائه الأخير"¹.
وقد كان عليه الصلاة والسلام يصطحب تلاميذه إليها، وفعل ذلك مع اثني عشر تلميذا، وقال لهم:

"هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ"².

وصل المسيح بصحبة تلاميذه ومحبيه إلى مدينة القدس، وهناك استقبله أهلها بحفاوة كبيرة، فتسابقوا في إكرامه. وفعلوا ما يفعلونه عادة في أيام عيد المظال عندما يطوفون حول المذبح حاملين سعف النخل، وشارات النصر صارخين "أوصنا" أي: خلصنا، وقطعوا أغصانا من الشجر فرشوها في الطريق، كما فرشوا فيه ثيابهم³.

وعندما وقع بصر المسيح على مدينة القدس، رآها بصورة غير التي ظهرت عليه، ولم يكثرث للاحتفال، فقد علم وهو النبي الذي يوحى إليه، أن الخراب والدمار سيحل بهذه المدينة، فارتفع صوته بالثناء والبكاء الشديد⁴، وخاطب القدس قائلا: "إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكَ هَذَا، مَا هُوَ لِسَلَامِكَ! وَلَكِنَّ الْآنَ قَدْ أَحْفِي عَنْ عَيْنَيْكَ. فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَوُجِطُ بِكَ أَعْدَاؤُكَ بِمَنْرَسَةٍ، وَيُحْدِثُونَ بِكَ وَيُحَاصِرُونَكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَهْدِمُونَكَ وَيَبْنِيكَ فِيكَ، وَلَا يَتْرَكُونَ فِيكَ حَجْرًا عَلَى حَجْرٍ، لِأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكَ"⁵.

¹ مرجع سابق، خضر، الإرث العربي المسيحي في القدس، ص 19.

² إنجيل متى، الإصحاح العشرون: 18، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية، مصر.

³ فورد، جورج، سيرة المسيح، (ألمانيا، نداء الرجاء، لات)، ج 6، ص 48.

⁴ المرجع السابق، فورد، ج 6، ص 50.

⁵ مرجع سابق، إنجيل لوقا، الإصحاح التاسع عشر: 41-44.

بدأ المسيح في نشر النصرانية في عهد الامبراطور الروماني تيباريوس الأول، في ظل حكم هيروودوس أنتيباس وحاكم الجليل بلاطس النبطي، فواجه المصاعب، وبخاصة من اليهود، فوصفهم في أقواله: "ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة إلى بيت إسرائيل"¹.

ورغم صلف أهلها وقتلهم للأنبياء، فإنه جاء ليوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم على التسامح والعدل ونبذ الكراهية والظلم²: "يا أُورُشَلِيمُ، يا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَمَ تَرِيدُونَ! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا. لِأَيِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنِي مِنَ الْآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!"³.

لذا ناصبه اليهود العداوة حتى وصل إلى صلبه عليه السلام⁴، وأصبحت عملية الصلب تحتل ركنا متجزرا في العقيدة المسيحية، حيث وردت في كل الأناجيل والكتب الدينية المسيحية⁴.

كما كانت بيت المقدس المركز الأول للجماعة المسيحية في "عصر الرسل" (30_95م)، وهي الفترة التي تلت عهد المسيح مباشرة⁵.

¹ مرقس، شماسة، ترجمة حياة القديس بيرفيريوس (أسقف غزة 395-420م)، ترجمة: وهبة الله صروف، تحقيق ودراسة وتعليق سليم المبيض، (غزة-فلسطين، لان، 2004م)، ص12.

² الهزايمة، مُجَّد، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، (عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2010م)، ص85.

³ مرجع سابق، إنجيل متى، الإصحاح الثالث والعشرون: 37-39.

• نؤمن بأن المسيح ﷺ لم يقتل ولم يصلب وإنما رفعه الله، قال تعالى: {وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا {157/4} بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا {النساء:157-158} .

⁴ مرجع سابق، مرقس، ترجمة حياة القديس بيرفيريوس (أسقف غزة 395-420م)، ص12.

⁵ الدبش، أحمد (تحرير)، موجز تاريخ فلسطين من أقدم العصور حتى القرن الحادي والعشرين، (القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ط1، 1431هـ/2010م)، ص379-380.

فانطلق تلاميذ السيد المسيح من فلسطين، يبشرون بالديانة الجديدة، وعلى الرغم من مقاومة اليهود لانتشار المسيحية من جهة، والتعصب الوثني من جهة أخرى، وكذلك الاضطهاد العام للمسيحيين، فقد انتشرت المسيحية في الضواحي والقرى¹.

ولم تكتسب القدس تلك القداسة عند المسيحيين، لاحتضانها المسيح ورسالته فحسب؛ بل لأنها أيضا تعد في نظرهم مركزا للشفاء والبركة، فحسب الاعتقاد المسيحي يوجد في القدس بركة ينزل إليها ملاك فيحرك الماء، فمن نزلها أولا بعد تحريك الماء برأ من مرضه، والنص التالي يصف حال أحد المرضى الذين زاروها طلبا للشفاء: "وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. هَذَا رَأَاهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعًا، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَانًا كَثِيرًا، فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: "يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَعِيَ تَحْرُكُ الْمَاءُ". فقال له المسيح: "قُمْ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ" فَحَالًا بَرِيَ الْإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْتُ"².

وفي القرن الأول الميلادي ضعف انتشار المسيحية؛ بسبب تعرض القدس للدمار الشامل عام 70م، على يد القائد تيطس، ومن بعده الامبراطور فسباسيان ثم دمر هدریان المدينة عام 135م، وأنشأ على أنقاضها مدينة "إيليا كايبتولينا"³.

وكان لذلك أثر سلبي على سكانها العرب المسيحيين، وبعض اليهود الذين هجروها، كما أثر على الكنيسة المقدسة، فأصبحت مدينة القدس مدينة يونانية بمعابدها الوثنية⁴.

¹ الحوت، بيان، فلسطين.. القضية.. الشعب.. الحضارة، (بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991م)، ص65.

² إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس: 5-9، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية، مصر.

³ مرجع سابق، مرقس، ترجمة حياة القديس بيرفيريوس (أسقف غزة 395-420م)، ص13.

⁴ المرجع السابق، مرقس، ص13.

وبعد مدة من اعتلاء الامبراطور قسطنطين الكبير عرش الامبراطورية، أصدر سنة 313م مرسوم ميلان، الذي يقضي بالتسامح الديني، فأصبحت بموجبه الديانة المسيحية على قدم المساواة مع الوثنية واليهودية، وأصبح لكل فرد الحرية في اختيار دينه، كما أنه رد كل الأموال والكنائس المصادرة إلى المسيحيين¹.

ثم اعترف بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة البيزنطية، اعتباراً من عام 324م². وهذا أتاح للمسيحيين الأوائل فرصة الحركة بحرية، والمناداة بديانتهم التي توسعت كثيراً في عهده³.

تمتعت القدس بالعمران والازدهار، في عهد قسطنطين الأكبر، الذي اعتنق المسيحية، وكذلك والدته (هيلانة)، التي أبدت اهتماماً كبيراً بالمدينة⁴. فقد أعاد بناء مدينة (إيليا كابتولونيا) وأزال الآثار الوثنية عنها⁵.

حول قسطنطين مدينة القدس إلى مدينة عظيمة الأهمية، بسبب سياق مسيحيتها وكمركزها للحجاج. وأهم أعماله هو العناية بمدينة القدس. وقد زارت هيلانة مدينة القدس، وذكر بعض المؤرخين أنها وجدت الخشبة التي صلب عليها المسيح وجبل الجلجثة⁶، حيث صلب والقبر الذي دفن فيه⁶. وفي ذلك المكان شيد قسطنطين كنيسة القيامة الأولى⁷. كما شيدت كنيسة المهد في بيت لحم، وبذلك انتشرت المسيحية في فلسطين بعد ميلاد المسيح بثلاثة قرون⁸.

¹ نيروز، إبراهيم، كشف المفقود من كنائس عابود، (رام الله، مكتبة المطران عقل عقل للدراسات الدينية، بيت المقدس للنشر والتوزيع، ط1، 2001م)، ص15. (عابود قرية تقع إلى الشمال من مدينة رام الله، وكان لها أهمية كبيرة، فهي تمتد على إحدى الطرق الرئيسة التي تصل الجليل بالقدس، وهي الطريق التي سلكها المسيح مراراً في تجواله بين الجليل والقدس، المرجع نفسه، ص7).

² مرجع سابق، كفاي وآخرون، القدس عبر العصور، ص35.

³ مرجع سابق، نيروز، كشف المفقود من كنائس عابود، ص16.

⁴ رباح، إسحاق، تاريخ القدس عبر العصور، (عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2010م)، ص137.

⁵ مرجع سابق، كفاي وآخرون، القدس عبر العصور، ص80.

• الجلجثة أو الجلجلة: اسم الصخرة التي كما يعتقدون، صلب عليها المسيح عليه السلام. (الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، ج9، القسم2، في بيت المقدس، كفر قرع (فلسطين)، دار الهدى، 2002-2003م، ص75).

⁶ المرجع سابق، الدباغ، ج9، القسم2، ص75.

⁷ مرجع سابق، رباح، تاريخ القدس عبر العصور، ص137.

⁸ مرجع سابق، الحوت، فلسطين.. القضية.. الشعب.. الحضارة، ص65.

ولما اعتلى جوليان الجاحد العرش 360م، ألغى جميع القوانين التي اتخذت ضد اليهود، فجاء اليهود إلى المدينة من كل مكان، وأمر بإعادة بناء الهيكل، وعندما بدأوا بحفر الأساس اندلعت النار من تحت الأرض فتوقف العمل. ثم مات جوليان، فخلفه ثيودوسيوس، ولما توفي عام 395م، اقتسم ولداه المملكة، فحكم أركاديوس المملكة الشرقية، وهونوريوس الغربية. وفي عام 451 انقسمت الكنيسة إلى شرقية وغربية، وكانت إيليا تابعة للثانية¹.

وفي عهد الامبراطور جستينيان (527-565م) أقيمت العمارات الكثيرة في فلسطين والقدس، من ذلك باب الذهب في القدس، ومازال يسمى بهذا الاسم حتى هذا الوقت². وهو آخر ملك روماني يبني كنيسة في القدس، وهي كنيسة العذراء مريم، وكان بناؤها سنة 540م، وضمت الكنيسة مستشفين يحتويان على مائة سرير للحجاج المرضى، ومائة أخرى للسكان المحليين، ولكنها دمرت نتيجة زلزال ضرب المدينة، واكتشفت أساساتها في الحفريات عام 1970م³.

لم يسلم اليهود بانتشار المسيحية، فاغتنموا قدوم جيش كسرى ابرويز للقضاء على المسيحية، فساعدوا الجيش الفارسي في احتلال القدس، وأحرقت كنيسة القيامة، ونقل الصليب إلى فارس، وهدمت الكثير من الأديرة والكنائس، وقتل تسعون ألف مسيحي، واشترى اليهود من نصارى فلسطين الذين سباهم الفرس، من ثمانين ألفا إلى تسعين ألفا وذبحوهم⁴.

¹ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص38-39.

² الجوابرة، فاطمة، موسوعة القدس، ط1، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، 1423هـ/2003م، ص126.

³ المهندي، عبلة، القدس تاريخ وحضارة (3000 ق.م- 1917م)، ط1، عمان، دار نعمة للطباعة، 1420هـ/2000م، ص64.

⁴ مرجع سابق، الحوت، فلسطين.. القضية.. الشعب.. الحضارة، ص65.

وعندما عاد هرقل إلى البلاد بعد تغلبه على الفرس في نينوى 627م، رفع الصليب في القدس، بعد استعادته في 14 أيلول (سبتمبر) 628م، ومازال هذا اليوم عيداً للمسيحيين، ويعرف بعيد الصليب. وأعيد بناء كنيسة القيامة¹.

University of Malaya

¹ المرجع السابق، الحوت، ص65.

المطلب الثاني: مسيحيو بيت المقدس في العهد الإسلامي

بعد أن كلف عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح بالمسير إلى بيت المقدس، كتب أبو عبيدة لأهلها يدعوهم إلى الإسلام أو القتال، وجاء في كتابه: "وإن أبيتم ذلك سرت إليكم بقوم هم أحبّ للموت منكم للحياة وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم أبداً إن شاء الله تعالى حتى أقتل مقاتلتكم وأسبي ذريتكم وأقسم أموالكم، فاخترتوا واحدة من اثنتين...، فلما قرأوا كتابه أبوا ما عرض عليهم من الإيمان ولم يجيبوه إلى شيء، فسار إليهم حتى نزل بساحتهم، فاقتتل الفريقان، ووقعت الهزيمة على أهل إيلياء¹.

وعندما أدرك أهل إيلياء أنه لا طاقة لهم بمواجهة المسلمين بعثوا إلى أبي عبيدة، يطلبون أن يصلحهم على صلح مدن الشام، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب²، فكان لأهل القدس ما أرادوا، إذ أعطى أمير المؤمنين عهد الأمان للمدينة وأهلها³.

كما أوردت بعض المصادر المتأخرة نص الصلح، مع إشارة إلى الخراج الذي يجب دفعه، فابن الجوزي (ت 597هـ/1201م) ذكر في فضائل القدس: كتب عمر لأهل بيت المقدس: إني قد أمنتكم على دماءكم وأموالكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم ولا تكلفوا فوق طاقتكم. ومن أراد منكم أن يلحق لأمنه فله الأمان. وأن عليكم الخراج كما على مدائن فلسطين⁴.

¹ ابن أعثم، أحمد بن محمد (ت: نحو 314هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، (بيروت، دار الأضواء، ط1، 1411هـ/1991م)، ج1، ص222.

² مرجع سابق، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص608؛ مرجع سابق، البلاذري، أحمد بن يحيى (ت 279هـ)، فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م)، ج1، ص140.

³ انظر الفصل التمهيدي: التعايش السلمي في الإسلام، ص36.

⁴ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، فضائل القدس، تحقيق: جبرائيل جبور، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1400هـ/1980م)، ج1، ص123.

كانت تلك الوثيقة مقدمة لاندماج المسيحيين في الحياة الجديدة، وهو ما تم من خلال، تبني اللغة العربية في الحياة اليومية والإدارة الكنسية، والمساهمة في بلورة الثقافة العربية الإسلامية عن طريق الترجمة، وتطوير فكر عربي مسيحي لا يزال معظمه على شكل مخطوطات. ولذلك ساهم المسيحيون في النهضة والحضارة العربية على أساس أنهم مسيحيون عرب¹.

ومع أن المسلمين اجتهدوا في تطبيق العهدة العمرية، لكن وقعت بعض الحوادث المخالفة لمفهوم التسامح والتعايش الديني في مدينة القدس، فعلى سبيل المثال كان بإمكان الحاج أركوف، أحد أساقفة الغال (فرنسا)، الذي زار القدس حوالي سنة 670م، أن يتجول بحرية تامة في كل فلسطين من غير أي وثيقة، لكن الأمر كان مختلفا مع الحاج الإنجليزي فيليبالد، الذي تعرض لمضايقات عديدة في زيارته للمدينة سنة 724م. كما تعرضت كنيسة القيامة للتدمير عام 1009م، بأمر من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، علما بأنه هو أعاد بنائها على نفقة بيت المال. وقد كان مرد تلك الأحداث إلى مزاج بعض الخلفاء، أو توتر العلاقة بين المسلمين والروم، أو لأسباب سياسية داخلية².

وللحقيقة فإن تلك الأحداث وغيرها من المضايقات، التي تعرض لها المسيحيون في القدس، لم تكن سياسة ومنهجاً عند المسلمين، سواء العامة أو الحكام، بل كانت أحداثاً محدودة، ولا تقابل بموافقة أو تأييد من أحد، حتى أن الحاكم بأمر الله هو نفسه تراجع عن تلك الاجراءات عام 411هـ/1021م، أما الاتفاق

¹ خوري، رفيق، القدس في الذاكرة المسيحية، بحث مقدم لمؤسسة القدس الدولية _ فرع غزة، لدورة معارف مقدسية التي نظمتها المؤسسة، نيسان (أبريل) 2011م، ص11.

² المرجع السابق، خوري، ص11.

النهائي لإعادة بناء كنيسة القيامة، فكان بين الخليفة المستنصر بالله الفاطمي والامبراطور البيزنطي ميخائيل الخامس عام 1035م¹.

وسمح للمسيحيين بتلقي مساعدات خارجية من الامبراطورية البيزنطية؛ لترميم أجزاء من السور الذي يحيط بالمدينة، كما تم انشاء حي خاص بهم، اشترطت اقامته الامبراطورية البيزنطية، وقد عرف بحي البطريرك، تشكل كنيسة القيامة مركزه الرئيس. كما منحتهم الدولة الفاطمية قطعة أرض جنوب كنيسة القيامة، فأقيم عليها دير القديسة ماري اللاتينية، ودير القديسة مريم المجدلية، ومأوى وكنيسة القديس يوحنا².

وكان من أبرز مظاهر التسامح تجاه المسيحيين في بيت المقدس، السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، فظلت المدينة مفتوحة أمام الحجاج النصارى، حتى قال المقدسي "ولا تخلو كل يوم من غريب"³.

¹ مرجع سابق، النقر، تاريخ بيت المقدس من الفتح العمري حتى العهد الأيوبي، ص 38-40.

² مرجع سابق، كفاي، القدس عبر العصور، ص132.

³ المقدسي، مُجَدِّد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ط3، 1411هـ/1991م)، ص166.

المطلب الثالث: الطوائف المسيحية في بيت المقدس وعلاقتها ببعضها

أولاً: الطوائف المسيحية في بيت المقدس:

الطوائف المسيحية الرئيسية في القدس، هي:

1_ الروم الأرثوذكس:

هي أقدم طائفة عاشت في القدس، منذ السنوات الأولى للمسيحية¹. كان تأسيس البطريركية عام 451م، وكان سكان القدس من المسيحيين الأرثوذكس في غالبيتهم، وهم الذين اتفق بطريركهم صفرنيوس على تسليم المدينة لعمر بن الخطاب².

تألفت هذه الطائفة إلى حد كبير من العرب، ومن الرهبان اليونانيين الذين سيطروا عليها. وقد سيطرت الطائفة على أغلب الأماكن المقدسة في القدس وجوارها بدعم من الدولة العثمانية، كما حرصت الدولة العثمانية على توفير الأمن والحماية لأتباعها، فأصدرت في 25 جمادى الأولى 1224هـ/7 تموز (يوليو) 1809 فرماناً إلى متسلم القدس مصطفى آغا بمنع التعدي عليها³.

* لفظ "أرثوذكس" لفظ يونانية تعني "المستقيم الرأي". وأخذت تعني في المصطلحات الدينية المسيحية "أتباع الإيمان القويم". بدأ استعمال هذه اللفظة في القرون الأولى لتمييز أتباع المذهب الأرثوذكسي من غيره من المذاهب المسيحية. وبعد انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية في القرن الحادي عشر الميلادي، أصبحت الكنيسة الشرقية تعرف باسم "الكنيسة الأرثوذكسية" والكنيسة الغربية باسم "الكنيسة الكاثوليكية". وهذه أيضاً لفظ يونانية تعني "الكنيسة الجامعة". (الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، دمشق، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط1، 1984م)، ج1، ص141).

¹ عبد الظاهر، إسلام، كنائس القدس، القدس معرفة في سبيل التحرير، تحرير: عبد القادر ياسين، (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1010م)، ص161.

² عطا، زبيدة، عربو القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1427هـ/2007م)، ص61.

³ القضاة، أحمد، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م)، ص86-88.

2_ الروم الكاثوليك:

يقع مقر بطريركيتهم في حارة الموارنة¹. وقد كانت أعدادهم قليلة، وكانت لهم كنيسة القديسة حنة بين

باب حطة وباب الأسباط، إلى الشمال من المسجد الأقصى².

حصل أتباع هذه الطائفة على الاستقلال التام عن الروم الأرثوذكس، بعد محاولات استمرت عشر

سنوات، بفضل البطريرك مكسيموس الثالث المظلوم، كما استطاع أن يحرر طائفته من سلطة بطريرك الأرمن

المدني، عام 1265هـ/ 1848م، بعد أن حصل من السلطان عبد المجيد على براءة بسلطته المدنية على الروم

الكاثوليك³.

3_ اللاتين:

قويت علاقات اللاتين بالدولة العثمانية عام 1535م، عندما عقدت معاهدات بينها وبين فرنسا،

أيدت حقوق اللاتين في القدس، وأقرت لهم حقوق الزيارة والمكوث، حتى سنة 1740، عندما عقدت معاهدة

ثانية منح اللاتين بموجبها حقوق أساسية في الأماكن المقدسة، مثل حق التجول، وتأسيس الكنائس والأديرة⁴.

كانت الطائفة محرومة من رئيس كنسي (بطريرك) مقيم في القدس، حتى أواسط القرن التاسع عشر،

إلى أن نصب البابا بيوس التاسع، يوسف فاليركا بطريركا للقدس عام 1264هـ/ 1847م⁵.

¹ مرجع سابق، عبد الظاهر، كنائس القدس، ص161.

² مرجع سابق، عطا، عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، ص63.

³ مرجع سابق، القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ص98.

⁴ أبو جابر، رؤوف، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004م)،

ص63.

⁵ مرجع سابق، القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ص109.

قدم يوسف طنوس أفندي، الرئيس الروحي لطائفة اللاتين، طلباً لإقامة كنيسة ودير في جهة باب الخليل خارج قصبة القدس؛ لإقامة الراهبات الوطنيات باسم الوردية اللاتني يقمن بتعليم وتربية الإناث¹. وفي عام 1310هـ/1892 استطاعت هذه الطائفة بناء كنيسة بالقرب من سور القدس².

4_ الأرمن:

ينقسمون إلى أرمن كاثوليك، وأرمن أرثوذكس، وكان عددهم سنة 1945م نحو خمسة آلاف، وينقسمون من حيث أقدمية وجودهم في المدينة، إلى طائفة قديمة تعيش في دير ماركنجل، شرقي دير ماريعقوب، وطائفة حديثة، أتت إلى القدس خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)³.

5_ الأقباط:

يرتبط وجود الأقباط في القدس والأراضي المقدسة، بمجيئ الملكة هيالانة في رحلتها الأولى للأرض المقدسة في بداية القرن الرابع الميلادي⁴. توقفت زيارتهم للقدس في العهد الصليبي، ولما جاء صلاح الدين انتشعت حركتهم، وخصوصاً أنه أراد مكافئتهم على إخلاصهم، فرد إليهم معظم الأملاك والأديرة والكنائس التي كانت لهم بعد تحرير بيت المقدس⁵.

¹ أبو حسين وسعداوي، عبدالرحيم وصالح، الكنائس العربية في السجل الكنسي العثماني 1869-1922م، ص273.

² المرجع السابق، أبو حسين وسعداوي، ص279.

³ مرجع سابق، عبد الظاهر، كنائس القدس، ص162.

⁴ ساببلا، برنارد، الكنائس والمقدسات المسيحية في مواجهة التحديات الإسرائيلية، المشهد الثقافي لمدينة القدس، (دائرة شؤون القدس) منظمة التحرير الفلسطينية، لا.ت)، ص83.

⁵ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص57.

عام 1236م شهد تعيين أول مطران قبطي، وفي فترة الخمسينات وصل عددهم إلى نحو خمسمائة

رجل دين¹.

6_ الأحباش:

جاءوا للقدس بعد القرن الرابع الميلادي، وكان لهم فيها كنائس وأديرة كثيرة، لكنهم فقدوها، وآخرها

دير السلطان، بعد خوض نزاع على أحقية ملكيته مع الأقباط². وينتمي الأحباش إلى الكنيسة الأرثوذكسية

الشرقية، وكانوا يتبعون البطريركية القبطية³.

7_ السريان:

يعود تاريخهم في القدس إلى القرن الأول الميلادي، وفي أيام الفرنجة زاد عددهم، وينقسمون إلى

قسمين: السريان الأرثوذكس، والسريان الكاثوليك⁴.

عاشوا بمحلة خاصة بهم تعرف بمحلة السريان، بين باب الخليل وحارة الشرف، وعلى الرغم من قلة

عددها، إلا أنها أشرفت على جزء من كنيسة القيامة، كغيرها من الطوائف الأخرى، وكان لها كنيسة قديمة،

وهي كنيسة القديس مارك، ولها تقدير عظيم عندهم، وتقع بين الحي اليهودي والحي الأرمني، لذلك تركز

وجودهم حولها⁵.

¹ مرجع سابق، عبد الظاهر، كنائس القدس، ص162.

² المرجع السابق، عبد الظاهر، ص162.

³ مرجع سابق، القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ص116.

⁴ مرجع سابق، عبد الظاهر، كنائس القدس، ص162.

⁵ مرجع سابق، القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ص121.

8_ البروتستانت:

ترجع بدايات ظهورهم إلى عام 1236هـ/1820م، عندما بدأوا بالتبشير في القدس، وكانوا في وضع صعب؛ لأن عقيدتهم لم يكن معترفا بها رسمياً، وظلوا كذلك إلى أن حكم مُحمَّد علي بلاد الشام 1247هـ/1831م، فسمح لهم بممارسة نشاطهم التبشيري. وكان ظهورهم الحقيقي في القدس عام 1257هـ/1841م، بعد المفاوضات التي جرت بين ملك بروسيا فريدريخ فيلهلم الرابع وملكة بريطانيا، ورئيس أساقفة كانتبري وليام هاولي، وأدت إلى تأسيس أسقفية بروتستانتية مشتركة في القدس¹.

9_ الموارنة:

يعيشون في المدينة منذ عام 1895م في حارة الموارنة، بين سوق علون وحارة الأرمن، ولهم بطريركية باسمهم². كان لهم نفوذ في القرنين السابع والثامن الميلاديين، ويأتون بعد الفرنجة من حيث الأهمية، ولكنهم أصبحوا أقلية، وليس لهم منها سوى الدير³.

ثانياً: علاقات الطوائف المسيحية في القدس ببعضها:

عاش المسيحيون بجميع طوائفهم عاشوا متجاورين في القدس منذ أجيال، فهم في المدينة الواحدة والحارة الواحدة، والكنيسة الواحدة. فعلى سبيل المثال هناك خمس طوائف مسيحية موجودة ومتحاذية في كنيسة القيامة⁴.

¹ المرجع سابق، القضاة، ص124-126.

² مرجع سابق، عبد الظاهر، كنائس القدس، ص162.

³ مرجع سابق، عطا، عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، ص62.

⁴ خوري، رفيق، الوجود المسيحي في القدس، بحث مقدم لمؤسسة القدس الدولية (فرع غزة) لتقدمها في دورة معارف مقدسية التي نظمتها المؤسسة عام 2012م، ص12.

لكن هناك مجموعة من العوامل السلبية والإيجابية، التي تؤثر في هذه العلاقة، وهي كالتالي:

العوامل السلبية:

1_ الانشقاقات الطائفية:

تاريخ الانشقاقات بين المسيحيين تاريخ مؤلم، وقد حصل في ظروف تاريخية وضعت هذه الطوائف في صراع مع بعضها. وهذا ترك ترسبات نفسية واجتماعية، حالت دون إقامة علاقات مثمرة بين المسيحيين. ومع أن تلك الانشقاقات والخلافات حصلت خارج الأرض المقدسة، إلا أنها انعكست على العلاقات بين المسيحيين في القدس.¹

2_ الصراع على الأماكن المقدسة:

من الطبيعي أن تسعى كل كنيسة أن يكون لها حضور في الأماكن المقدسة، ولكن هذه الرغبة كانت مصدر خلاف ونزاع بين الطوائف المسيحية². إذ نشب صراع عنيف بين طوائف النصرى في القدس حول أولوية الدخول وإقامة الصلوات في الكنائس، وخاصة كنيسة القيامة³.

3_ العقلية الطائفية:

البحث عن الحقوق والامتيازات أوجد العقلية الطائفية، التي بموجبها انغلقت كل طائفة على نفسها، باحثة عن مصالحها ولو على حساب الطوائف الأخرى، ويصف بطاركة الشرق الكاثوليك العقلية الطائفية بما يلي:
"أصبحت كنائسنا بحكم هذه النزعة الطائفية جماعات حصرت معظم همها في ذاتها.. ونتج عن ذلك نقص بعد

¹ المرجع السابق، خوري، ص13.

² المرجع السابق، خوري، ص13.

³ مرجع سابق، القضاة، نصرى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ص460.

كنسي آخر، وهو الانفتاح والمحبة. فالطائفية تؤدي إلى الانغلاق على الذات دون الآخر سواء كان مواطنا أو مؤمنا. فأصبح الآخر موضوع جهل وتجاهل وإما خصما أو منافسا..¹.

4_ التنافس بين الطوائف:

كان بعض النصارى يثيرون القلاقل بانتقالهم من ملة إلى أخرى، طلبا لمنافع سياسية، أو لحماية أجنبية.²

العوامل الإيجابية:

1_ الانتماء الوطني الواحد:

صحيح أن الطوائف المسيحية في القدس كثيرة، ولكل منها مرجعياتها الدينية والتاريخية والتراثية واللغوية والطقسية، لكن الغالبية العظمى منها هم من العرب الفلسطينيين، وهذا عنصر جامع يساعد على التواصل.³

2_ الاندماج الاجتماعي:

يعيش المسيحيون في فلسطين بشكل عام وفي القدس بشكل خاص في أحياء وحرارات واحدة، ويلتقون في المؤسسات التعليمية وغيرها، كما أن الطوائف المختلفة ترتبط ببعضها بعلاقات مصاهرة.⁴

¹ مرجع سابق، خوري، الوجود المسيحي في القدس، ص13.

² مرجع سابق، القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ص460.

³ مرجع سابق، خوري، الوجود المسيحي في القدس، في القدس، ص14.

⁴ المرجع السابق، خوري، ص14.

المطلب الرابع: الأماكن المسيحية المقدسة في بيت المقدس

أولاً: أهم المقدسات المسيحية في البلدة القديمة:

1_ كنيسة القيامة:

تقع بالقرب من باب الخليل، وهي أعظم الكنائس في العالم، من حيث قدسيتها ومكانتها في قلب مسيحي العالم. وهي لا تخص طائفة بعينها، فكل الطوائف المسيحية في القدس تعتبرها أقدس مكان بالنسبة لها. إضافة إلى أنها تضم العديد من الكنائس والأديرة التي تخص مختلف الطوائف¹. بنتها الملكة هيلانة أم الامبراطور قسطنطين عام 335م، في الموضع الذي اكتشف فيه الصليب الذي صلب عليه المسيح عليه السلام².

ويصف دانيال الراهب كنيسة القيامة بأنها "تتخذ شكلاً دائرياً، وتحتوي على اثني عشر عموداً، على شكل مسلات، وستة أعمدة مغطاة بالرخام الجميل، وهناك ستة مداخل وأروقة بستة عشر عموداً، وتحت السقف فوق الأعمدة، يتمثل الأنبياء الطاهرون وكأنهم أحياء، وتعلو المذبح صورة للمسيح مصنوعة من الفسيفساء. أما القبر المقدس فإنه عبارة عن كهف صغير منحوت في الصخر، وله مدخل منخفض. وعند دخوله يمكن للشخص أن يرى أريكة محفورة في الصخر، والتي كان قد سجد عليها جثمان السيد المسيح..."³.

¹ مرجع سابق، عبد الظاهر، كنائس القدس، ص 161-162.

² مرجع سابق، العارف، المفضل في تاريخ القدس، ص 517.

³ مرجع سابق، القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ص 379.

وفي عام 1808 تعرضت الكنيسة للحريق، فسقطت القبة وتحطم هيكل القبر المقدس، ثم سمح السلطان العثماني للمسيحيين بإعادة بنائها سنة 1810م، وشاركت الدول الأوروبية في البناء، فأصبح لجميع الطوائف المسيحية نصيب فيها¹.



صورة رقم (7)

كنيسة القيامة والمسجد الأقصى المبارك

المصدر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=4240>

¹ محاسنة، مُجدّد، حقيقة القدس، (عمان، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2004م)، ص119-120.



صورة رقم (8)

واجهة كنيسة القيامة

المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة

2_ دير أبينا إبراهيم:

وهو للروم الأرثوذكس، ويقع في ساحة كنيسة القيامة من الجهة الجنوبية الشرقية. تأسس سنة 335

للميلاد¹. وفي الطابق العلوي لهذا الدير كنيسة: إحداهما صغيرة وهي: كنيسة أبينا إبراهيم، والثانية كبيرة

¹ شامية، فادي، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، (بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ط1، 1431هـ/2010م)، ص248.

واسمها: كنيسة الرسل الاثني عشر. وفيه أيضا نزل للزائرين من الروم الأرثوذكس. يدير هذا الدير رئيس كنيسة القبر المقدس. والذي بنى القسم العلوي هو الأرشمندريت افثيموس رئيس كنيسة القيامة سنة 1887م¹.

3_ دير السلطان:

ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الشرقية. وفيه كنيسة الملاك وكنيسة الحيوانات الأربعة. اغتصبه الصليبيون من الأقباط، فرده إليهم صلاح الدين، ولهذا أسموه دير السلطان². ولهذا الدير أهمية خاصة عند الأقباط؛ لأنه طريقهم المباشر للوصول إلى كنيسة القيامة³.

ادعى الأثيوبيون (الأحباش) ملكيتهم لهذا الدير، بتشجيع من بريطانيا، وفي منتصف ليلة عيد الفصح 20 نيسان (أبريل) 1970م، غير اليهود مفاتيح الدير وسلموها للأثيوبيين. ورغم نيل الكنيسة القبطية حكما قضائيا من المحكمة الإسرائيلية العليا عام 1971م، يقضي بملكية الدير للأقباط، إلا أن قوات الاحتلال ترفض تنفيذ القرار⁴.

¹ مرجع سابق، العارف، عارف، الأعمال المقدسية الكاملة، تاريخ الحرم القدسي، المسيحية في القدس، (عمان_الأردن، وزارة الثقافة، 2009م)، ج2، ص41.

² مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص534.

³ مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص250.

⁴ مرجع سابق، معالم البلدة القديمة، ص24.

4_ دير مار أنطونيوس:

يقع هذا الدير فوق مبنى كنيسة القيامة، وبالقرب من دير السلطان، وقد جدد بناؤه عام 1875م، وترجع أهميته إلى أنه صار مقرا للبطيركية القبطية الأرثوذكسية منذ عام 1912م، وفيه توجد مساكن الرهبان الأقباط، ومقر رئاسة الدير والكلية الأنطونية¹.

5_ دير مارجرجس:

يقع في حارة الموارنة، على مقربة من باب الخليل، ويرجع تاريخ بنائه للقرن السابع عشر². فيه كنيسة من هيكل واحد، يقام فيها قداس كل يوم خميس للأقباط، بينما يقيم به الأرمن قداسا في يوم الاحتفال بعيد مارجرجس من كل عام³.

6_ دير مار يعقوب:

فيه دار البطيركية، ومدرسة للاهوت، ومطبعة، ومكتبة فيها أربعة آلاف مخطوط، وثلاثون ألف كتاب مطبوع. كان فيه كنيسة قديمة هدمها الفرس عام 614م، ثم أعيد بناؤها في أواسط القرن الثاني عشر⁴.

¹ مرجع سابق، معالم البلدة القديمة، ص24؛ مرجع سابق، شامية، ص250.

² مرجع سابق، عبد الظاهر، كنائس القدس، ص165.

³ مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص250.

⁴ مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص533.

7_ كنيسة القديسة توما:

تعود ملكيتها للسريان الأرثوذكس، وتقع في موقع مواجه لقلعة القدس، شيدها الصليبيون وقت احتلال القدس على أنقاض مسجد قديم، ولما حرر صلاح الدين القدس حولها إلى مسجد، ثم هدم المسجد، وبنيت مكانه كنيسة بمساعدة الألمان في القرن التاسع عشر¹.

8_ دير السريان:

دير السريان أو (مارمرقص)، ويقع في القدس في حارة الجواعنة، بين حارة الأرمن واليهود، وفي الدير كنيسة العذراء ودار الأسقفية، بني الدير سنة 1272هـ/1855م، وتمت توسعته عام 1298هـ/1880م². وقد تم تشييده في المكان الذي يعتقد السريان أن السيد المسيح أقام فيه عشاءه الأخير³.

9_ كنيسة القديسة حنة (الصلاحية):

الكنيسة ملك لطائفة للروم الكاثوليك، وتقع بين بابي حطة والأسباط، أي شمال المسجد الأقصى. مكانها في أصله معبد وثني، وبنى البيزنطيون فوقه كنيسة في القرن الخامس الميلادي في المكان الذي يعتقد المسيحيون أنه منزل يواكيم وحنة، والد ووالدة مريم العذراء. دمرها الفرس عام 614م، ثم بنى الصليبيون في المكان كنيسة وديرا للراهبات عام 1099م. وفي عهد صلاح الدين بنى مكانها مدرسة لتدريس الفقه الشافعي،

¹ مرجع سابق، معالم البلدة القديمة، ص 27.

² مرجع سابق، القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ص 381-382.

³ مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص 251.

عرفت بالصلاحيية واكتسبت شهرة كبيرة. وفي عام 1917 أعادها البريطانيون كنيسة، وأضافوا إليها متحفا ومكتبة¹، وتعرضت للخراب أثناء احتلال اليهود للقدس عام 1967م، ثم أعيد ترميمها².



صورة رقم (9)

كنيسة القديسة حنة

المصدر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=4240>

¹ مرجع سابق، معالم البلدة القديمة، ص 29.

² مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص 252.

10_ طريق الآلام:

يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح سلك هذا الطريق حاملاً صليبه، عندما ساقه الجنود الرومان إلى موقع صلبه، وهو عبارة عن أربع عشر مرحلة: تسع منها خارج كنيسة القيامة وخمس داخلها¹. تبدأ المرحلة الأولى من المدرسة العمرية، حيث الموقع الذي أصدر منه الحاكم الروماني حكمه وصولاً إلى كنيسة القيامة².



صورة رقم (10)

طريق الآلام

المصدر: مؤسسة القدس للثقافة والتراث

(<http://alqudslana.com/print.php?id=2779>)

¹ مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص523.

² مرجع سابق، معالم البلدة القديمة، ص30.

ثانيا: أهم المقدسات المسيحية خارج البلدة القديمة:

1_ كنيسة الجثمانية:

كنيسة أرثوذكسية، بنيت فوق صخرة الآلام، التي يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح، صلى وبكى عليها قبل أن يعتقله الجنود الرومان. ويعود تاريخها إلى سنة 389م، وقد دمرها الفرس سنة 614م، وأعاد الصليبيون بناءها في القرن الثاني عشر. وفي سنة 1924م أعيد بناء الكنيسة على يد المعماري الإيطالي انطونيو بارلوزي، بتمويل من (16) دولة، لذلك صارت تعرف باسم "كنيسة كل الأمم"¹.



¹ Gethsemane and Church of All Nations, Jerusalem, in:
http://www.atlastours.net/holyland/gethsemane_and_church_of_all_nations.html.

صورة رقم (11)

كنيسة الجثمانية

المصدر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=4240>

2_ كنيسة الصعود:

وهي كنيسة أرثوذكسية، بنيت سنة 392م، دمرها الفرس عام 614م، فأعاد الرومان بناءها، ووفق

الاعتقاد المسيحي فإن السيد المسيح صعد من هذا المكان إلى السماء¹.

3_ كنيسة مريم المجدلية:

بنيت هذه الكنيسة بأمر من قيصر روسيا، الإمبراطور الكسندر الثالث؛ تخليداً لأمه الإمبراطورة ماريا،

وقد تم تدشينها في العام 1888م، وتعد كنيسة القديسة مريم المجدلية من أجمل مواقع العبادة في الأراضي

المقدسة؛ حيث تقع على منحدر جبل الزيتون، في قلب حديقة الجثمانية، وتطل على بلدة القدس القديمة،

وتتميز بقبابها الذهبية².

¹ Chapel of the Ascension, Jerusalem, in <http://www.sacred-destinations.com/israel/jerusalem-chapel-of-ascension>.

² CHURCH OF SAINT MARY MAGDALENE ,in <http://www.christusrex.org/www2/baram/B-magdalene.html>.

تتماز هذه الكنيسة بجمال منظرها الخارجي, حيث تمتلك قباباً على شكل مصابيح منظرها يلفت
الانظار, إضافة لوجود مجموعة متنوعة من الزخارف التي تبدو للوهلة الأولى أنها مصنوعة من الرخام, ولكنها في
الواقع مصنوعة من الرمل الأبيض المزخرف. ويوجد فيها قبر احدى أشهر القديسات في روسيا, وهي القديسة
اليزابيث, التي تبنت الديانة الأرثوذكسية, وكرست وقتها لكنيسة مريم المجدلية¹.

¹ CHURCH OF SAINT MARY MAGDALENE.

الفصل الثاني: التعايش السلمي المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

1897-1994م

المبحث الأول: الوجود الإسلامي المسيحي في بيت المقدس

المبحث الثاني: التعايش السلمي المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

1897-1994

المبحث الأول: الوجود الإسلامي المسيحي في بيت المقدس

المطلب الأول: نبذة عن بيت المقدس

الموقع والمساحة:

هي مدينة جبلية، تقع بين البحر الميت من الشرق، والبحر المتوسط من الغرب. وهي قسمان: القدس القديمة، والقدس الجديدة¹، يفصل بينهما سور جدده السلطان العثماني سليمان القانوني بين عامي 1536-1540م، ويبلغ طوله الشرقي (839.4م)، والغربي (635.8م)، والشمال (1197.8م) والجنوبي (989م)، ومجموع محيط السور بأضلاعه الأربعة (3660.20). ويختلف ارتفاعه من منطقة لأخرى، إذ يرتفع بين 11-12م في بعض المناطق، وبين 17-40م في مناطق أخرى، ويقوم عليه (24) برجاً لغايات المراقبة والدفاع عن المدينة².

تبلغ مساحة مدينة القدس (19.331) دونماً. منها (868) دونماً داخل السور (أي أقل من كيلو متر مربع واحد)، و (18463) خارجه، يملك العرب منها (11.191)، واليهود (4835)، والباقي وهو (3305) دونماً، فهو عبارة عن طرق وميادين عامة³.

¹ مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج1، ص430.

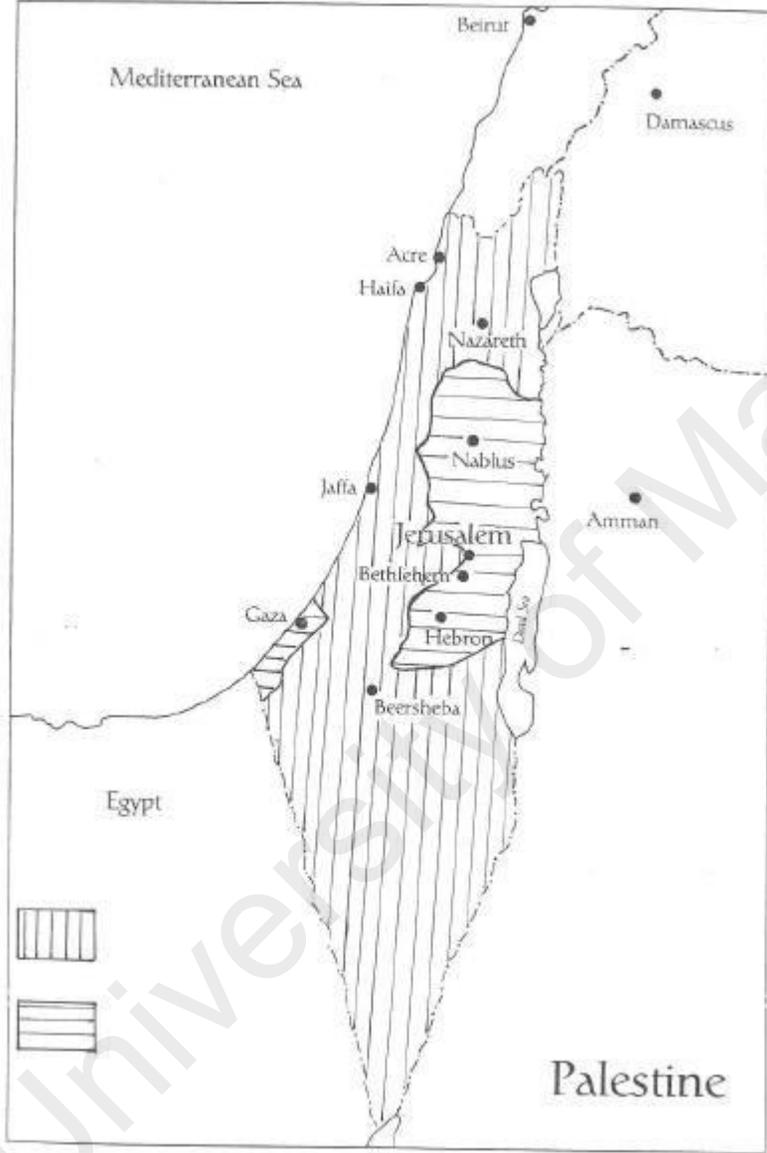
² أبو عليان، عزمي، معالم القدس الحضارية وسياسة التهويد الصهيونية، (عمان، مطابع أروى، ط1، 1433هـ/2012م)، ج2، ص394.

• الدونم الفلسطيني عبارة عن ألف متر مربع. (مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص430).

³ المرجع السابق، العارف، ج1، ص430.

وتشكل الأوقاف الإسلامية من مساحة البلدة القديمة (43.7%)، فيما تشكل أملاك الكنائس

والأوقاف المسيحية (45.3%) من مساحتها¹.



¹ مرجع سابق، معالم البلدة القديمة، ص 4.

صورة رقم (12)

موقع بيت المقدس على خريطة فلسطين

(المصدر: صالح، محسن، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، كوالالمبور، ط1، 2003م، ص58)

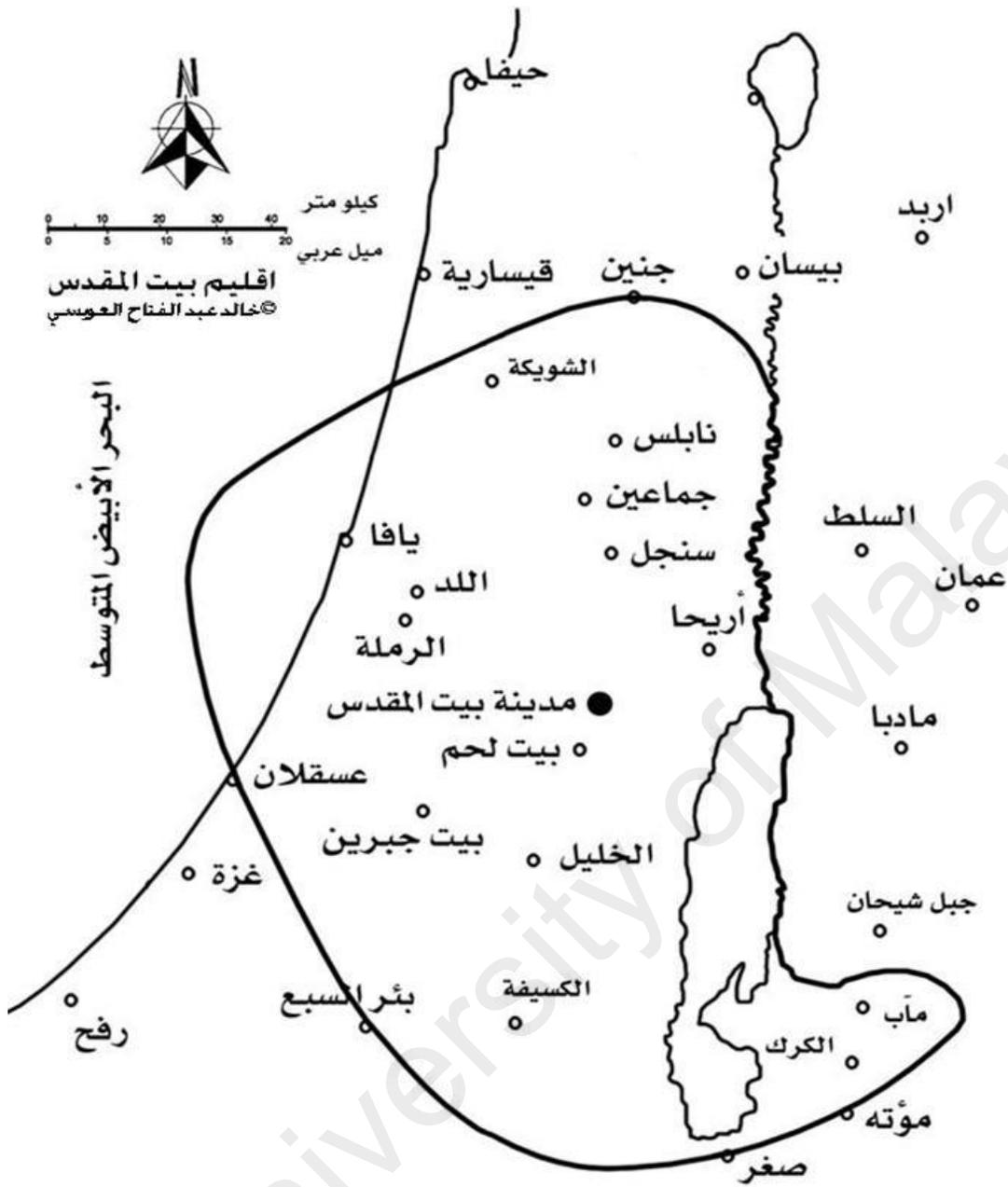
وهنا يجزم خالد العويسي أن بيت المقدس ليس مجرد مدينة محاطة بأسوار، بل هي إقليم يتكون من عدة مدن كبيرة وصغيرة وقرى، وأحد الأدلة التي يقدمها على ذلك هي عبارة: "عليك بفلسطين وإيلياء"، التي قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعمرو بن العاص، عندما عقد ألوية الجيوش الأربعة من كبار القادة لفتح الشام، وقد انفرد بهذه الرواية الواقدي في فتوح البلدان¹.

ومعلوم أن "الواو" تستخدم في اللغة للجمع، وللتمييز بين شيئين مختلفين، وبناء على ذلك يقول العويسي إن بيت المقدس كما ورد عند العلماء الاوائل كانت حوالي 40 ميلا طولا، ومثلها عرضا². وهو ما أورده المقدسي: "وحد القدس ما حول إيليا إلى أربعين ميلا... وهذه الأرض مباركة كما قال الله تعالى مشجرة الجبال زريعة السهول من غير سقي ولا أنهار، كما قال الرجلان لموسى ابن عمران: وجدنا بلدا يفيض لبنا وعسلا"³.

¹ El-Awaisi, Khalid, Mapping Islamic Jerusalem, A Rediscovery of Geographical Boundaries, Al-Maktoum Institute Academic Press, 2007, p. 107-108.

² El-Awaisi, Khalid, p. 68_72.

³ مرجع سابق، المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج1، ص173.



صورة رقم (13)

خريطة اقليم بيت المقدس عند الدكتور خالد العويسي

المصدر: El-Awaisi, Khalid, Mapping Islamic Jerusalem, A Rediscovery of Geographical Boundaries, Al-

Maktoum Institute Academic Press, 2007.

أحياء القدس:

تتألف البلدة القديمة من الأحياء التالية:

1_ الحي الإسلامي: ويشمل المساحة الأكبر من البلدة القديمة، ويمتد في محيط المسجد الأقصى المبارك، من الجهات الشمالية والغربية، والجنوبية الغربية.

2_ الحي المسيحي الأرثوذكسي: ويشمل حي النصارى، والحي المسيحي الأرمني، ويمتد إلى الغرب من الحي الإسلامي في محيط كنيسة القيامة¹.

وأما الأحياء العربية خارج السور، أي في القدس الجديدة، فمنها: باب الساهرة، الشيخ جراح، وادي الجوز، المصراة، النبي داود، ماملا، دير أبي ثور، وادي النباح، البقعة الفوقا، البقعة التحتا، الطالبية، النمرية، القطمون، الشيخ بدر².

وليس معنى ذلك أن الأحياء الإسلامية أو المسيحية مقصورة محصورة على أتباعها، ولا يوجد فيها أبناء الديانة الأخرى، بل إن هناك تداخلاً واختلاطاً بين السكان مسلمين ومسيحيين، فقد وجد في كل حي منها مسلمون ومسيحيون، ولكن سمي كل حي بما غلب عليه من السكان³.

¹ مرجع سابق، أبو عليان، معالم القدس الحضارية وسياسة التهويد الصهيونية، ج2، ص397.

² مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج1، ص431.

³ مرجع سابق، أبو عليان، معالم القدس الحضارية وسياسة التهويد الصهيونية ج2، ص408؛ Khamaisi et al., Rassem, Jerusalem The Old City, The Urban Fabric and Geopolitical Implications, Jerusalem, The International Peace and Cooperation Center, 2009, p 21.

وبلغ التعايش أكثر من ذلك، إذ يوجد ستة مساجد في الحي المسيحي¹، مثل مسجد الحيات،
ومسجد عمر بن الخطاب، ومسجد قلاوون، ومسجد الخانقاه² الصلاحية.

وأعظم دليل على التسامح هو أن عدد الكنائس في البلدة القديمة أكثر من المساجد، إذ يوجد فيها
(13) مسجداً، و (70) كنيسة³.

وأما الأحياء اليهودية فهي في داخل السور: حارة اليهود. وفي خارجه: روميما، رحافيا، تل بيوت،
آرفونا، يمين موشه (منتفيوري)، جبعات شاول، وغيرها⁴.

واطلاق اسم "الحي اليهودي" على جزء من أحياء البلدة القديمة أمر طارئ، فقد بدأ وجود اليهود في
تلك المنطقة على نحو مساكن ومرافق تجارية، استأجروها في حارة الشرف الواقعة في الحي الإسلامي، بعد
سقوط الأندلس عام 1492م، وقد كانت تلك البيوت والمتاجر متقاربة، الأمر الذي جعل المسلمين يطلقون
على هذا التجمع "حارة اليهود"، وهو أمر طبيعي أن يسمى أي تجمع للسكان باسم من يقطنون فيه، سواء
كانوا من أهل البلاد الأصليين، أم من المهاجرين إليه⁵.

¹ Ibid., Khamaisi et al., p 21.

• يعود إلى زمن الفتح العمري، واختلفت تسميته بين الحيات أو الحياة، ولا يعرف سبب ذلك. (مرجع سابق، معالم البلدة القديمة، ص18).
• ذكرت بعض المصادر أن أصل مكان الخانقاه كان منزله لبطارقة الأرثوذكس ودارا للقسيس استولى الصليبيون عليه عند احتلال بيت المقدس، ولما
حررها صلاح الدين، أعاد هذا المكان لأصحابه الروم، ومقابل ما قام به صلاح الدين أهدى الروم الأرثوذكس هذا المكان لصلاح الدين، ليكون
مقراً له أثناء إقامته في بيت المقدس، فقبل صلاح الدين الهدية وجعل المكان رباطاً للعلماء والصوفيين. (يوسف، حمد، من آثارنا العربية والإسلامية
في بيت المقدس، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، السلطة الوطنية الفلسطينية، 1420هـ/2000م، ج1، ص223).
² ناصر الدين، هبة وآخرون، حاربي النصارى واليهود (الشرف)، (القدس، مؤسسة الرؤيا، 2006م)، ص7-8؛ مرجع سابق، معالم البلدة
القديمة، ص15-18.

³ Ibid., Khamaisi et al., p 14.

⁴ مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج1، ص431.

⁵ مرجع سابق، أبو عليان، معالم القدس الحضارية وسياسة التهويد الصهيونية، ج2، ص400.

وكانت هذه المنطقة كما وصفها مجير الدين الحنبلي تقع وسط حارات المسلمين، "وأما ما في القدس الشريف من الحارات المشهورة فمنها حارة المغاربة وهي بجوار سور المسجد من جهة الغرب ونسبتها الى المغاربة لكونها موقوفة عليهم وسكنهم بها، وحارة الشرف وهي بجوارها من جهة الغرب ونسبتها لرجل من أكابر البلد اسمه شرف الدين موسى، وحارة العلم نسبة لرجل اسمه علم الدين سليمان وهي بجوار حارة الشرف من جهة الشمال، وضمنها حارة الحيادة نسبة لزاوية بها لطائفة الحيادة، وحارة الصلتين بجوار حارة الشرف، من جهة القبلة الى الغرب، وحارة اليهود بجوار حارة الصلتين من جهة الغرب، وضمنها حارة الريشة، وحارة صهيون الجوانية وهي غربي حارة اليهود، وحارة الضوية وهي بجوار حارة صهيون من الشمال، وحارة بني الحارث وهي خارج البلد عند القلعة"¹.

عدد السكان:

بلغ عدد المسيحيين في القدس عام 1890م (8000) نسمة، والمسلمون (9000) نسمة، وفي عام 1900م، بلغ عدد المسيحيين (10.000)، وكذلك كان عدد المسلمين، وفي عام 1910م ارتفع عدد المسيحيين ليصل إلى (13.000)، أما عدد المسلمين فبلغ (12.000)². وقد كانت النسب في تلك الفترة كالتالي: المسلمون 90%، المسيحيين 8%، اليهود 2%³.

¹ مرجع سابق، الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص51-52.

² مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص98.

³ ياغي، إسماعيل، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (1400-987هـ/1980-1492م)، (الرياض، دار المريخ، 1415هـ/1995م)، ج1، ص152.

وبحسب إحصاء 1922م بلغ عدد المسلمين (13.413)، والمسيحيين (14.699)، أما اليهود (33.971)، بينما ارتفعت أعدادهم في إحصاء 1945، فبلغ عدد المسلمين (30.630)، والمسيحيين (29.350)، واليهود (97.000). وكان التوزيع حسب المناطق (33.600) من العرب في البلدة القديمة، و(31.500) في البلدة الجديدة، يقابلها (2400) من اليهود في البلدة القديمة، و (97.000) يهودي في البلدة الجديدة. ومعظم السكان المسيحيين كانوا من الأرثوذكس العرب¹.

وهبط عدد المسيحيين في القدس عام 1947 إلى 27 ألف نسمة؛ بسبب الأوضاع الحربية التي نشأت في فلسطين عشية صدور قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني (نوفمبر) 1947. وهؤلاء كان يجب أن يصير عددهم مئة ألف، على الأقل، عام 2000م، لكن عددهم الفعلي لم يتجاوز 12 ألفاً في تلك السنة².

ثم كانت حرب 1948م سبباً لشتات ما يزيد على الثلثين من المسيحيين الفلسطينيين خارج وطنهم. وبحسب المؤرخ الفلسطيني سامي هداوي، فإن أكثر من نصف مسيحيي القدس هجروا من بيوتهم في القدس الغربية. ويقدر أن 37% من المسيحيين في القدس مقارنة بـ 17% من المسلمين أصبحوا لاجئين. وتعزى هذه النسبة المرتفعة بين المسيحيين إلى حقيقة أن الأحياء الغربية التي كانت تسكنها غالبية من المسيحيين تم احتلالها في الحرب بين عامي 1948 و 1949. وإضافة إلى ذلك، فإن 34% من الأراضي التي احتلت في القدس الغربية كانت تمتلكها الكنائس المسيحية ولم تتلق أي تعويض عنها³.

¹ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص120.

² أبو فخر، صقر، بلاد المسيح بلا مسيحيين، ع7، مجلة الرأي الآخر.

³ ساببلا، برنارد، الحضور المسيحي في فلسطين، مجلة فلسطين، (بيروت، تصدر عن صحيفة السفير العربي، ع18، السنة الثانية، نشر بتاريخ السبت 15 تشرين أول (أكتوبر) 2011م).

الصناعة في القدس:

ليست القدس من المدن الصناعية، فقد كانت تعتمد على صناعات المدن الأخرى، ومع ذلك كان

بها بعض الصناعات، ومنها ما يلي:

1_ صناعة الصابون:

اهتم المقدسيون بزراعة الزيتون، وقد أخذوا ذلك عن الكنعانيين، فاهتموا بزراعة الزيتون، وكان عندهم معاصر كثيرة، وكانوا يستعملون زيت الزيتون للأكل والضوء والعلاج. ثم راجت بينهم صناعة الصابون فكان رائجا في بقية فلسطين وأسواق الشرق الأدنى سيما مصر. غير أن هذه الصناعة تضعضعت بعد عام 1867، عندما هاجمت أسراب الجراد المدينة، فأنت على قسم كبير من أشجار الزيتون، ولم يبق في القدس سوى سبع مصابن: خمسة للمسلمين واثنان للمسيحيين. وفقدت المدينة مزيدا من تلك الأشجار خلال الحرب العالمية الأولى، ولم تعد تملك بعدها مصبنة واحدة¹.

2_ صناعة النسيج:

كان في القدس أثناء الحرب العالمية الأولى بضع مئات من اللاجئيين الأرمن، وبهدف تشغيلهم والاستفادة منهم أسست لهم جمعية الصليب الأحمر الأمريكية أنوالا، فانتعشت صناعة الغزل والنسيج في المدينة. وعندما غادرت هذه الجمعية القدس، تولت أعمالها جمعية محبي القدس، وقررت أن تقوم هذه الصناعة

¹ مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج1، ص462-463.

في سوق القطنين بعد تعميره عام 1919. ثم انتعشت تلك الصناعة خلال الحرب العالمية الثانية، فأُسست عدة مصانع للغزل والنسيج، منها عربي وفرنسي ويهودي¹.

3_ صناعة القاشاني:

عملت جمعية محبي القدس، بمساعدة مصلحة المعارف، على إحياء هذه الصناعة وتشجيعها، إذ كانت من الصناعات المعروفة في القدس. وقد عمل عدد من صناع الخزف والقاشاني المسلمين بصناعة البلاط القاشاني الملون، الذي احتاج إليه المجلس الإسلامي لعمارة الصخرة 1920-1922م².

4_ الصناعات السياحية:

تزايد الاهتمام الديني بالقدس وبيت لحم من المسيحيين الأوروبيين، أدى إلى ارتفاع حاد في إنتاج الصناعات التذكارية للمتدينين، التي كانت تباع للحجاج وتصدر كذلك إلى أوروبا³. كما اشتهرت في القدس الصناعات السياحية التقليدية مثل صناعة الشمع والنقش والحفر على خشب الزيتون⁴. وقد حققت المصنوعات الحرفية التذكارية أرباحاً كبيرة⁵.

¹ المرجع السابق، العارف، ص 464.

² المرجع السابق، العارف، ص 464.

³ فرسون، سميح، فلسطين والفلسطينيون، ترجمة: عطا عبد الوهاب، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2003م)، ص 87.

⁴ مرجع سابق، العارف، المفضل في تاريخ القدس، ج 1، ص 465.

⁵ مرجع سابق، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ص 89.

المطلب الثاني: الجمعيات والمؤسسات في بيت المقدس

بلغ عدد الجمعيات والنوادي التي سجلت في القدس، منذ بدء الاحتلال البريطاني، حتى نهاية عام 1945م، ألفين وثلاثة وعشرين. وتنوعت بين الأدبي والثقافي، والرياضي، والخيري، ومن الناحية الدينية، كان منها جمعيات إسلامية أو مسيحية أو يهودية. و85% من تلك الجمعيات والنوادي فلسطينية، و15% أجنبية، ومن الجمعيات والنوادي الفلسطينية 30% إسلامية، و20% مسيحية، و35% يهودية¹.

ومن أهم الجمعيات التي تأسست خلال مرحلة الاحتلال البريطاني والإسرائيلي، واشترك فيها المسلمون والمسيحيون، ما يلي:

أولاً: الجمعيات الأدبية:

1_ جمعية الآداب الزاهرة:

عام 1898 أسس داود الصيدواوي جمعية الآداب الزاهرة في القدس². وكان من بين أعضائها عيسى

العيسى، وفرج فرج الله، وأفتيم مشبك، وشبلي الجمل، وجميل الخالدي، ونخلة ترزي، وخليل السكاكيني³.

¹ مرجع سابق، العارف، المفضل في تاريخ القدس، ج1، ص452.

² صالح، جهاد أحمد، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين، (رام الله، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، ط2، 2011م)، ج1، ص56-58.

³ مرجع سابق، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ج2، ص63.

2_ النادي العربي:

هو أول نادي أدبي وسياسي في القدس في تلك الفترة، تأسس عام 1918، واختير لرئاسته مُجد أمين الحسيني، وكان لا يزال شابا ومعلما في كلية روضة المعارف الوطنية¹.

تلخصت الأهداف السياسية للنادي العربي، في الوحدة مع سوريا، ومكافحة الصهيونية، وشعاره في كلمتين: "أرضنا لنا". وقد اكتسب شعبية كبيرة من خلال جريدة "سوريا الجنوبية" لصاحبها عارف العارف، وحسن البديري، وقد اختارا لها هذا الاسم، الذي كانا يقصدان به فلسطين².

أما الأهداف الأخرى التي سعى لتحقيقها، فهي بعث الحياة في اللغة العربية وآدابها، وتربية أبناء الجيل الجديد على المبادئ الوطنية، التي تتفق مع تقاليد العرب وتاريخهم وتراثهم. كما أسهم في العمل الاجتماعي من خلال انشاء معهد أبي العلاء المعري في القدس لتعليم فاقد البصر الصناعات اليدوية³.

وكان يقيم المسابقات الأدبية، ويسمياها "سوق عكاظ"، كما فعل في عام 1924م، ويوزع الجوائز على الفائزين في الشعر في مواسم النبي موسى⁴.

¹ المهتدي، عبلة، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003م)، ص180.

² الحوت، بيان، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948م)، (بيروت، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط3، 1986م)، ص86.

³ مرجع سابق، المهتدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص180.

⁴ مرجع سابق، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ج2، ص64.

وقد دعا الشباب الى عقد مؤتمر انتخبوا له لجنة أطلقوا عليها "اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب العربي الفلسطيني"، وكانت تشرف على النشاطات الأدبية والرياضية وغيرها، التي تعتبر غطاء للأعمال السياسية. وكان من بين أعضاءه: حسن أبو السعود، وبولس شحادة، وفخري الحسيني، وعارف العارف، وغيرهم¹.

3_ المنتدى الأدبي:

أسس في القدس عام 1918م، وقد أطلق عليه هذا الاسم تيمنا بالمنتدى الأدبي الذي أنشأه عبدالكريم الخليل في الاستانة².

ترأس المنتدى جميل الحسيني، ومن أعضائه البارزين فخري النشاشيبي (زعيم قوات حزب الدفاع لاحقاً)، وبولس شحادة (صاحب صحيفة مرآة الشرق)، وحسن صدقي الدجاني، وإسعاف النشاشيبي³، ويوسف الخطيب، وفؤاد النشاشيبي، وصليبا الجوزي، ولم تكن أهدافه مغايرة للنادي الأدبي، فقد اشترك الاثنان في هدف الوحدة مع سوريا، ومكافحة الصهيونية، وكان شعاره "باسم العرب نموت وباسم العرب نحيا"⁴.

ويرى الباحث أن الأوقات التي تأسست فيها الجمعيات الأدبية، والأهداف الكبيرة التي تبنتها، يوحي بأن النشاط الأدبي كان ستاراً يخفي أعمال المقاومة للمطامع الصهيونية، والدعم والتأييد البريطاني، ذلك أن تأسيس النادي الأدبي والمنتدى الأدبي جاء في عام 1918، أي بعد وعد بلفور، الذي أظهر حقيقة النوايا الاستعمارية الغربية.

¹ مرجع سابق، الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1948-1917م)، ص 86.

² المرجع السابق، الحوت، ص 87.

³ تماري، سليم، مع ناقة الله في سيبيريا: عارف العارف في الأسر الروسي خلال الحرب العالمية الأولى، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 76، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2008م، ص 119.

⁴ مرجع سابق، الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1948-1917م)، ص 87.

ثم إن وجود شخصيات إسلامية ومسيحية في هذه الجمعيات، مثل مُجد أمين الحسيني، و خليل السكاكيني، وغيرهم، ممن كان لهم جهود وطنية في تثبيت الحق العربي في القدس، يؤكد أن استقلال فلسطين، هو الهم الأكبر لهذه المجموعة من المثقفين العرب، كما أنه يقدم صورة مشرقة عن دور المثقفين، في توعية الجماهير العربية بالمخاطر المحدقة بالقدس، وفضح الممارسات والمخططات الصهيونية والبريطانية، باعتبارهم أقدر من غيرهم على الاضطلاع بهذا الدور.

وهذا لا يمنع من وجود رغبة حقيقية في نشر التراث والثقافة العربية، لكن ذلك ليس هو السبب الوحيد، لتأسيس هذه الجمعيات.

ثانياً: الجمعيات السياسية:

1_ جمعية الإخاء العربي:

هب المثقفون العرب في القدس لدرء الخطر الصهيوني المترص بوطنهم، وكان عنوان تحركهم أن العرب، مسلمين ومسيحيين في خندق واحد، للدفاع عن كيانهم ووجودهم في بلادهم. وضمن هذا المفهوم أسست مجموعة من الشباب عام 1898م جمعية الإخاء العربي، برئاسة داود الصيداوي، وعضوية عيسى العيسى، وفرج فرج الله، وأفتيم مشبك، وشبلي الجمل، وجميل الخالدي، ونخلة ترزي، و خليل السكاكيني¹.

بدأت الجمعية عام 1908م بتأسيس فروع لها في الدول العربية، وأشرف شكري الحسيني على إنشاء فروع لها في القدس، وكان من أعضائها إسماعيل الحسيني، وحناء عيسى، و خليل السكاكيني. إلا أنه تم إلغاء هذه

¹ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 86-87.

الجمعية بعد خلع السلطان عبد الحميد، فتم إنشاء المنتدى الأدبي (في الاستانة)، وكان أعضاؤه يحرصون على إبراز ولائهم للدولة العثمانية، والرغبة في توثيق الرابطة بين العرب والأترك¹.

وهنا نرى أن عددا من النخب الفكرية، ممن كانوا أعضاء في الجمعيات الثقافية، كانوا أيضا أعضاء في الجمعيات السياسية، فمن هؤلاء: عيسى العيسى، وفرج فرج الله، وأفتيم مشبك، وشبلي الجمل، وجميل الخالدي، ونحلة ترزي، و خليل السكاكيني، وهذا يدل أن المثقف لم يكن بمعزل عن واقعه السياسي، ولذلك ساهموا بفعالية في توعية الجماهير العربية بالمخطط الصهيوني والغربي للاستيلاء على فلسطين.

2_ الجمعية الإسلامية المسيحية:

عام 1918م تداعى زعماء ووجهاء عرب فلسطين، إلى ضرورة توحيد الصف الوطني، وتوجيه العمل الوطني العام في السعي للاستقلال والتصدي للصهيونية، من خلال تشكيل جمعية عرفت باسم "الجمعية الإسلامية المسيحية الفلسطينية"، وتم الحصول على موافقة بريطانيا على تأسيسها². وقد اعتبرت من أهم الجمعيات المقدسية، التي لعبت دورا مهما في الحياة السياسية الفلسطينية، وكان لها دور طليعي في مقاومة السياسة البريطانية الداعمة للأهداف الصهيونية³.

¹ حمودي، سناء، مفهوم القيادة السياسية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (قيادة الحاج أمين الحسيني)، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2008م، ص69.

² مرجع سابق، الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948م)، ص80.

³ مرجع سابق، المهدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص180.

كانت العضوية مفتوحة للجميع، فكل مواطن مسلم أو مسيحي، له الحق في أن يكون عضوا فيها، وقد كان المثقفون، والعلماء، والمحامون، والتجار، كهولا وشباب، هم الموجهون الحقيقيون لهذه الجمعيات، كما كان هناك عدد من القرويين أعضاء فيها يمثلون القرى التابعة لكل مدينة¹.

كانت خير من يمثل الشعور العام بين السكان، وكان من أعضائها المسلمين: عارف الدجاني، وموسى كاظم الحسيني، ومُحمَّد يوسف العلمي، وجميل الحسيني، والشيخ طاهر أبو السعود، وجودة النشاشيبي، ومن المسيحيين الأرثوذكس: خليل السكاكيني، ويعقوب فراج، والياس مشبك، وأنطوني الغوري، وإبراهيم شماس، ومن المسيحيين اللاتين: شكري الكارمي، وبطرس الحلاق، ولطفي أبو صوان، ومن البروتستانت: شبلي الجمل، وكان عدد الأعضاء فيها يزيد على الأربعين².

ويعود سبب تشكيل هذه الجمعية إلى أن الجنرال بولز في خطابه عام 1918م تحدى العرب عندما قال: إن اليهود سيرجعون قريبا إلى وطنهم القومي، وعنى بذلك فلسطين. فغضب العرب المسلمون والمسيحيون، وشكلوا هذه الجمعية تحديا للإنجليز واليهود معا³.

كما أنها كانت ردا على محاولات الإنجليز تشجيع الفرقة والخلاف بين المسلمين والمسيحيين، فكان الرد على ذلك بإنشاء الجمعيات الإسلامية المسيحية؛ للعمل معا في مقاومة الصهيونية والانتداب⁴.

¹ مرجع سابق، الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948م)، ص81.

² مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص112.

³ جبارة، تيسير، الحاج مُحمَّد أمين الحسيني دراسة في نشاطه الديني (1921-1937م)، (لام، دار الفرقان، 1415هـ/1995م)، ص40.

⁴ السائح، عبد الحميد، فلسطين لا صلاة تحت الحراب، مذكرات الشيخ عبد الحميد السائح، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 1994م)، ص31.

ولذلك كانت الأهداف الخفية للجمعية الإسلامية المسيحية في القدس والمدن الأخرى، هي: التعبير عن معارضة شعبية للحركة الصهيونية¹، والحيلولة بجميع الوسائل الممكنة، دون شراء اليهود للأراضي²، أما الأهداف المعلنة فهي: المحافظة على حقوق أبناء الوطن المادية والأدبية وترقية شؤون الوطن الزراعية والاقتصادية والتجارية وإحياء العلم وتهذيب الناشئة الوطنية³.

ويعتبر تشكيل تلك الجمعيات الإسلامية المسيحية إحدى الظواهر المهمة التي برزت مع بداية النهضة القومية العربية الفلسطينية، فهي ظاهرة جديدة ومعاكسة لمقولة انعزال المسيحيين عن الحياة العامة⁴.

3_ مؤسسة بيت الشرق:

يقع بيت الشرق في الجهة الشرقية الشمالية من القدس، بناه إسماعيل موسى الحسيني سنة 1897 في شارع أبي عبيدة بمنطقة باب الساهرة، وقد استخدم مضافة لزوار القدس وخاصة من الشخصيات السياسية. وفي عام 1980 استأجر فيصل الحسيني جناحاً من البيت ليكون مقراً لجمعية الدراسات العربية، ومنذ ذلك الحين بدأ بيت الشرق بالعمل للحفاظ على هوية القدس، وإنشاء ودعم المؤسسات الاجتماعية والخيرية في القدس، وركز جهداً كبيراً على ترميم البيوت والمساجد في البلدة القديمة⁵.

وشكل بيت الشرق التمثيل الرئيس والوحيد للمؤسسات السياسية الفلسطينية في المدينة، وكان يحظى باعتراف كل القوى الدولية التي لها علاقة بمفاوضات السلام منذ مؤتمر مدريد سنة 1991. كما أن حكومة

¹ مرجع سابق، حمودي، مفهوم القيادة السياسية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (قيادة الحاج أمين الحسيني)، ص 110-111.

² الكيال، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 10، لا.ت)، ص 98.

³ مرجع سابق، حمودي، مفهوم القيادة السياسية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (قيادة الحاج أمين الحسيني)، ص 111.

⁴ Y. porath, the emergence of the palestinian-arab national movement, 1918-1929. (London: Frank cass, 1974) p. 293.

⁵ بيت الشرق - القدس، الموسوعة الفلسطينية على الانترنت: [/http://www.palestinapedia.net](http://www.palestinapedia.net)

الاحتلال الإسرائيلي تعهدت باحترام هذه الشرعية في خطاب الضمانات الذي أرسله وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك، شمعون بيريز، إلى نظيره النرويجي الراحل، يوهان يورغن هولست، في 11 تشرين الأول (أكتوبر) 1993م¹.

ويشرف على جمعية الدراسات العربية، التي تعد أبحاثاً في العديد من المجالات، مجلس أمناء يضع السياسة العامة لها، يتكون من (25) عضواً برئاسة فيصل الحسيني (قبل وفاته)، يمثلون القطاعات والفعاليات المختلفة في مدينة القدس. وتتولى هيئة إدارية الإشراف على الجهاز التنفيذي، وتتكون من ثمانية أعضاء: الرئيس فيصل الحسيني، ونائب الرئيس أحمد بكر، وأمين السر حسن السلوادي، وأمين الصندوق لميس لمعي، والمدير العام للجمعية إسحاق البديري، والأعضاء باسل الحسيني، وسمية فرحات، وعلي الجرباوي².

لم يرق لقوات الاحتلال الإسرائيلي تصاعد الدور السياسي لبيت الشرق، الذي أصبح رمزاً فلسطينياً تزوره قناصل الدول وسفرائها وزوار القدس، وبدأت بالتضييق عليه، إلى أن أغلقته في 10 آب (أغسطس) 2001، وصادرت ما فيه من وثائق ومستندات وأبحاث ودراسات. وتضم بعض هذه المواد معلومات سرية تتعلق بالقدس³.

¹ أرشيفات بيت الشرق المنهوية (افتتاحية)، (بيروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ع50، ربيع 2002م)، ص111.

² بيت الشرق - القدس، الموسوعة الفلسطينية على الانترنت: <http://www.palestinapedia.net>

³ أرشيفات بيت الشرق المنهوية (افتتاحية)، (بيروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ع50، ربيع 2002م)، ص111-112.

ثالثاً: الجمعيات النسائية:

1_ الاتحاد النسائي العربي:

إثر ثورة البراق عام 1929، بادرت مجموعة من نساء القدس إلى تأسيس الاتحاد النسائي العربي، وفي مقدمتهن زليخة الشهابي، وشاركها في التأسيس: خديجة الراغب الحسيني، وأرنستين الغوري، وسعدية إحسان الجابري، وبهيرة نبيه العظمة، ووحيدة حسين فخري الخالدي، ونعمتي جمال الحسيني، وطرب عوني عبد الهادي، وكترين شكري ديب، وأنيسة صبحي الخضرة، وميليا السكاكيني، وعائشة سعيد الحسيني، وفطوم كمال البديري، وشاهنده الدزدار، وزهية النشاشيبي، وكثير انسطاس حنانيا¹.

وهنا نجد أن كل الجمعيات المقدسية اشتركت في هدف رئيس، وهو مقاومة الصهيونية، والدفاع عن عروبة القدس وكل فلسطين، فالأدوار السياسية، ليست حكراً على الجمعيات السياسية، بل إن للجمعيات الأدبية والثقافية، والنسائية، نصيب منها، وإن بنسب متفاوتة، وذلك نظراً للواقع الذي كانت تعيشه البلاد، والذي يحتم على الجميع أن يدافع عن المصالح العربية بكافة أشكال النضال.

¹ الاتحاد النسائي العربي - جمعية، الموسوعة الفلسطينية على الانترنت: <http://www.palestinapedia.net>

المطلب الثالث: الواقع المسيحي في بيت القدس

الكنيسة الأرثوذكسية والدور اليوناني:

عقب الفتح الإسلامي للمدينة، عاش أهل البلاد متمتعين بالحقوق، معتمدين في ذلك على نصوص الشريعة الإسلامية، وكذلك على نص العهدة العمرية.

ومنذ ذلك الحين ظل منصب بطريركية القدس والأراضي المقدسة بيد النصارى العرب من أهل البلاد، وكانت اللغة العربية هي اللغة المستعملة في الكنائس، حتى جاء الاحتلال الصليبي 492هـ/1099م، الذي نصب بطاركة من اللاتين على كنائس القدس والأراضي المقدسة، وحرّم العرب المسيحيين من تولي أي مناصب دينية، وطرد البطاركة العرب إلى القسطنطينية وصادر جميع أديرتهم وكنائسهم¹.

وعندما تم تحرير القدس عام 583هـ/1187م، أعاد صلاح الدين الأيوبي للمسيحيين العرب المزارات والأديرة والكنائس، التي سلبت منهم، وأعاد للمسيحيين العرب الأرثوذكس حقهم في رئاسة بطريركية القدس والأراضي المقدسة².

وتعتبر الكنيسة الأرثوذكسية في القدس هي الأكبر، وفي الوقت الحاضر يرأسها رجال الدين اليونان، رغم أن أكثر من 90% من رعاياها من العرب³. وقد بدأت سيطرة رجال الدين اليونان على رئاسة بطريركية القدس عبر جمعية القبر المقدس سنة 1534م في عهد السلطان العثماني سليم الأول، وفي ذلك العام تم تعيين

¹ مرجع سابق، أبو عليان، معالم القدس الحضارية وسياسة التهويد الصهيونية، ج4، ص1305.

² المرجع السابق، أبو عليان، ج4، ص1305.

³ مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص253.

أول بطريرك يوناني في كنيسة القدس، وهو البطريرك جرمانس، الذي انتهج سياسة إقصاء العناصر العربية عن إدارة البطريركية، وعن المناصب الكنسية العليا¹.

وأمام هذا التسلط بدأت الطائفة العربية الأرثوذكسية، المطالبة بحقوقها منذ القرن التاسع عشر، فحصلت على بعض المكاسب الجزئية²، وفي عام 1908م اضطر البطريرك دميانس إلى تقديم بعض التنازلات، فكون لجنة مختلطة من اليونان والعرب؛ للإشراف على قسم من شؤون الكنيسة، لكنها لم تكن كافية، إذ لم تعط العرب أي سلطة في انتخاب بطريرك الكنيسة. وظل الحال كذلك في عهد الاحتلال البريطاني، فقاطع العرب الانتخابات التي أدت إلى تعيين البطريرك تيموثاوس عام 1936م³.

واستمر انتخاب البطريرك من الرجال اليونان في فترة الحكم الأردني بين عامي 1950-1967م، واستمر أيضا في عهد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة، مع مصادقة الاحتلال على التعيين، وتأصل ذلك في معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية عام 1994م⁴.

وفي الوقت الحالي يتم اختيار البطريرك من أعضاء المجمع المقدس في الكنيسة، الذي يضم (18) أسقفا أو أرشمندريتاً (الأرشمندريت هو رئيس الدير) وكلهم من اليونان، ويجب أن يكون البطريرك المنتخب واحدا من هؤلاء بحيث يرقى إلى رتبة بطريرك⁵.

¹ مرجع سابق، الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، ج1، ص142.

² مرجع سابق، أبو عليان، معالم القدس الحضارية وسياسة التهويد الصهيونية، ج4، ص1306.

³ مرجع سابق، الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، ج1، ص142.

⁴ مرجع سابق، أبو عليان، ج4، ص1307.

⁵ مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص254.

ويجب أن يكون البطريرك يوناني الأصل، حاملاً الجنسية الأردنية، وعضواً في جمعية القبر المقدس، يساعده في إدارة الكنيسة مطران في الناصرة، وآخر في عمان، بالإضافة إلى المجمع المقدس أو السينودس، المكوّن من ثمانية عشر عضواً، كلهم من رجال الدين برتبة أسقف أو أرشمندريت، والمجلس المختلط لمدة ثلاث سنوات. وفي دار البطريركية في القدس محكمة كنيسة تنظر في شؤون الرعايا الأرثوذكس بموجب قانون الأحوال الشخصية، ومدرسة لاهوت تأسست عام 1855، وجميع طلابها من اليونان. وفي دير القديسة هيلانة وقسطنطين مكتبة قديمة تحتوي على عدد من المخطوطات الثمينة¹.

النشاط الديني والثقافي المسيحي في بيت المقدس:

اقتصرت الوجود المسيحي خلال الفترة ما بين 1831-1918م، على مدينة القدس وبعض القرى المجاورة لها، إذ كانت لهم محلات خاصة بهم مثل: محلة النصارى، والزراعية، والحدادين، والجوالدة، وكان لهم وجود في القرى، مثل: رام الله، والبيرة، وبيت لحم، وبيت ساحور، وبيت جالا، والعيزرية، والطيبة، وجبل الطور، وجفنة، وعين عريك، وأرطاس².

كانت القدس مركزاً للنشاط الديني عند المسيحيين، فقد شيد الأوروبيون مدارس ومستشفيات مسيحية، وأديرة وكنائس ومؤسسات خيرية، وعملوا على رعايتها وإدامتها، وربما كان هذا من الدواعي التي حفزت المسيحيين العرب من أهالي فلسطين على أن يحدوا حذو المسيحيين الأوروبيين في هذا الصدد³.

¹ مرجع سابق، الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، ج1، ص143.

² المدني، زياد، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني (1246-1336هـ/1831-1918م)، (عمان، المؤلف، ط1، 1425هـ/2004م)، ص217.

³ مرجع سابق، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ص89.

وقد بلغ عدد الأديرة في القدس ما يقرب من (100) دير و (24) مدرسة تابعة لها، وبلغ عدد المؤسسات الخيرية (47) مؤسسة، وبلغ عدد المسيحيين عام 1947م، سبعة وعشرين ألف. وفي الوقت الذي أصبح فيه المسيحيون من تجار المدن في فلسطين من الفاعلين المهمين في تحريك الاقتصاد، غدا أعيان المسلمين أقوياء سياسياً في أواخر العهد العثماني¹.

وظهرت أعداد قليلة من أصحاب المهن الحديثة كالصحفيين والمحامين والأطباء والمهندسين. وعلى قلة المسيحيين إلى السكان، فإنهم كانوا أكثر عدداً من الناحية النسبية، في أوساط النخبة المثقفة الناشئة والطبقات المهنية؛ وذلك بسبب التعليم الذي تلقوه في معاهد التبشير الأوروبية².

وكان للمسيحيين مشاركة فعالة في الحياة العامة، شملت الحرف والمهن والوظائف الإدارية، فعلى صعيد المهن عمل المسيحيون بالمهن المختلفة، مثل: التجارة والصناعة. وعمل بعض المسيحيين في الوظائف الحكومية والإدارية³.

¹ المرجع السابق، فرسون، ص 99.

² المرجع السابق، فرسون، ص 100.

³ مرجع سابق، المدني، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني (1246-1336هـ/1831-1918م)، ص 217-218.

المطلب الرابع: فلسفة التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين

بعد الفتح الإسلامي لبيت المقدس، بدأت منظومة جديدة من العلاقات الإسلامية المسيحية، في شتى المجالات الحياتية، أساسها الاعتراف والاحترام المتبادل، ومع مرور الزمن تبلورت حضارة عربية، كانت فيها القدس مركزا للاستقرار والتعايش بين الديانتين في كنف الإسلام.

وظلت حالة التوافق والتعايش السلمي قائمة، سواء أكان المسيحيون هم الأكثرية، كما كان بعد الفتح الإسلامي للمدينة، أو كان المسلمون هم الأكثرية، وذلك في الفترات اللاحقة.

فقد بقيت مدينة القدس حافلة بالكنائس والمزارات والمقدسات المسيحية.. رعاها المسلمون أكمل وأفضل رعاية، عند الفتح الإسلامي وبعده بوقت طويل.. بل إن التاريخ شاهد صدق، على أن المسلمين زادوا عليها، فوسعوا في أرضها وأعلوا مبانيها، وأنفقوا في سبيل هذا مالا كثيرا من خزانة الدولة الإسلامية¹. وقد قامت فلسفة التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين على ثلاثة عوامل، وهي: الديني، والتاريخي، والنضال المشترك.

أول هذه العوامل هو الديني، فقد أوصى القرآن الكريم بأهل الذمة خيرا، وأوصى النبي بحق الجوار للذمي، وكان لتلك الوصايا دور محوري ومهم في تعميق التناغم بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس، وكانت منطلقا نحو قبول الآخر والتعايش معه².

¹ الكاتب، عبد الحميد، القدس.. الفتح الإسلامي والغزو الصليبي والهجرة الصهيونية، (القاهرة، دار الشروق، ط1، 1415هـ/1994م)، ص156.

² بكيرات، ناجح، مدير المسجد الأقصى المبارك، مقابلة خاصة: الأحد 7 أيلول (سبتمبر) 2014م.

أما العوامل التاريخية، فتتمثل فيما يلي:

— تأتي في مقدمة هذه العوامل، العهدة العمرية التي منحت للمسيحيين في القدس الأمان واحترام مقدساتهم وممتلكاتهم ووجودهم، والتي كانت نتاجاً لسماحة الخليفة عمر بن الخطاب، الذي امتاز بالقيم الانسانية النبيلة والسامية، ولشخصية البطريرك صفرونيوس، الذي ذهب لمقابلة الخليفة عمر وسلمه مفاتيح المدينة، مما أتاح للمسلمين دخول القدس بدون سفك أية قطرة دم، فكان ذلك التاريخ مرحلة تحول في العلاقات الإسلامية المسيحية¹.

— وجود المسيحيين في أماكن سكن مشتركة في المدن مع غيرهم من المواطنين يشاركوهم العيش الواحد بآلامه وبآماله. وفي تلك المناطق الريفية والحضرية حيث يعيش المسيحي جنباً إلى جنب مع المسلم، فإن التجارب المشتركة والتحالفات القبلية والعشائرية قد قوت من تجربة الحياة المشتركة². وقد ساعد اندماج المسيحيين في البيئة الإسلامية الجديدة، في المساهمة في تنميتها وتقدمها. على خلاف ما يحدث في غير منطقة عربية. فالفلسطينيون المسيحيون يعتبرون هذا الانتماء جزءاً من هويتهم، ولا يبحثون عن أي هوية أخرى³.

— نظام الملة العثماني، الذي اعترف باستقلالية الكنائس المسيحية في إدارة شؤونها الذاتية، خصوصاً تلك المتعلقة بالأمر الدينية والمدنية العائلية⁴.

¹ خوري، رفيق، كاهن ولاهوتي فلسطيني، من كهنة البطريركية اللاتينية - القدس، مقابلة خاصة: الأحد 8 حزيران (يونيو) 2014م؛ مرجع سابق، بكيرات، مقابلة خاصة؛ عيسى، حنا، أمين عام الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، مقابلة خاصة: الثلاثاء 10 آذار (مارس) 2015م.

² مرجع سابق، سايبلا، الحضور المسيحي في فلسطين.

³ مرجع سابق، خوري، مقابلة خاصة.

⁴ مرجع سابق، سايبلا، الحضور المسيحي في فلسطين.

__ مساهمات المؤسسات المسيحية، التي بدأت كمؤسسات غربية في الأصل ثم تعربت مع مرور الزمن، في مجالات التعليم والصحة والخدمات المختلفة¹.

وبخصوص عوامل العصر الحديث، فهي النضال المشترك للحصول على الحقوق العربية، فقد كان المسيحيون دوماً جنباً إلى جنب في هذه النضال مع إخوانهم المسلمين. لقد جمعهم الألم الواحد والتطلعات الواحدة، فقد كان المسيحيون من أشد المعارضين للحركة الصهيونية في فلسطين، ومن المعروف أنهم من أوائل الذين لفتوا النظر إلى مخاطر الحركة الصهيونية منذ بداية القرن العشرين، مما أثار حفيظة الصهاينة عليهم. وفي جميع مراحل النضال الفلسطيني، هناك شخصيات مسيحية بارزة شاركت في هذا النضال، أمثال (خليل السكاكيني، وأميل الحوت، والمطران غريغوريوس حجار، وكثيرون غيرهم)².

ومنذ أن تأخى المسلمون والمسيحيون في القدس، قبل أربعة عشر قرناً، ورفض مسيحيوها الصليبية باتت مقراً لذوبها وليس للحجاج. فالزائر يجيئ ويروح ويحمل بركات المدينة في نفسه. أما المقيم فالمدينة كل حياته. وبذلك النضال المشترك أصبح مصير المدينة مشتركاً³.

هذا المصير المشترك دفع المسلمين والمسيحيين للعمل سوياً، فهم يتقاسمون أرضاً مباركة مقدسة، والفرقة تصب في مصلحة عدوهم المشترك، سيما أن ممارسات الاحتلال الإسرائيلي، لا تفرق بين مسلم ومسيحي، فقد هجرت العصابات الصهيونية المسلمين والمسيحيين من أرضهم عام 1948م بقوة السلاح، وفي الوقت الراهن يمارس الاحتلال إجراءات قمعية بحق أبناء الديانتين في بيت المقدس وبقية المدن الفلسطينية؛ لتحقيق الحلم الصهيوني، بأن تكون فلسطين دولة يهودية خالصة، بعد تفرغها من أهلها العرب.

¹ المرجع السابق، سايلا، الحضور المسيحي في فلسطين.

² مرجع سابق، خوري، مقابلة خاصة.

³ خضر، جورج، ضمير المسيحيين العرب، يوم القدس (الندوة الثالثة)، (عمان، لجنة يوم القدس، 1992م)، ص95.

المبحث الثاني: التعايش السلمي المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس 1897-1994م

رأينا أن القرآن الكريم والسنة النبوية، حددا أسس وطبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، ووقفنا في المباحث السابقة عند مظاهر هذه العلاقة بين أتباع الديانتين في جوانبها المختلفة، وهنا سنتوقف عند تجربة مهمة للتعايش الأخوي، طرفاها هما: المسلمون والمسيحيون، أما القدس فهي الحاضنة والراعية لهذه المبادئ والقيم، التي تنطلق من سماحة الإسلام والمسيحية.

وقد سار أهل بيت المقدس على نهج أسلافهم، فترجموا النصوص التي وردت في كتبهم المقدسة، إلى واقع عملي، في كافة جوانب الحياة.

ويختص هذا المبحث بدراسة التعايش السلمي المجتمعي بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس، والذي يضم الجوانب الحياتية التالية، هي: الديني والاجتماعي والثقافي.

المطلب الأول: التعايش السلمي الديني بين المسلمين والمسيحيين

حظيت الحياة الدينية في القدس في العهود الإسلامية المتعاقبة بكامل الحرية، فلكل ديانة الحق في بناء أماكن العبادة، وممارسة الشعائر الدينية بحرية تامة.

ويشهد التاريخ أن المسيحيين عاشوا في المدينة طيلة العهود الإسلامية المتعاقبة شركاء متساوين في الحكم والقضاء والتمثيل النيابي والبلدي، وتمتعت طوائفهم وكنائسهم ومدارسهم، وجمعياتهم الخيرية،

ومستشفياتهم، وكافة مؤسساتهم برعاية، قل أن حصلت على مثلها أيام حكم الانتداب البريطاني، وأدت التسهيلات التي وفرتها الحكومة الأردنية إلى ارتفاع عدد الحجاج المسيحيين وسواهم للمدينة¹.

المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس:

تضم القدس العديد من الآثار الإسلامية، التي تتمتع بتعظيم المسلمين، أبرزها المسجد الأقصى المبارك، كما أن فيها مجموعة من الآثار المسيحية، أهمها كنيسة القيامة[•]، التي شيدت عام 335م. وإذا أردنا أن ننزل نصوص الكتاب والسنة، التي كفلت الحرية الدينية لكل ملة داخل البلد المسلم، وحرية كل فريق في ممارسة شعائره الدينية، على الواقع في مدينة القدس، فإننا نجد أن المسلمين حفظوا للمسيحيين هذا الحق، ففي حي المصراة[•]، تختلط أصوات أجراس الكنيسة الأرثوذكسية بالأذان المنبعث من المساجد المجاورة².

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، فقد عرف المسلمون حق إخوانهم المسيحيين في المدينة، فحافظوا على مقدساتهم، فعندما تم ترميم قبة الصخرة المشرفة، بكلفة زادت على السبعمئة ألف دينار، جمعت من العالم

¹ مرجع سابق، الهزايمة، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص106.

[•] تقع بالقرب من باب الخليل في القدس، وهي أعظم الكنائس في العالم، من حيث قدسيتها ومكانتها في قلب مسيحيي العالم. وهي لا تخص طائفة بعينها، فكل الطوائف المسيحية في القدس تعتبرها أقدس مكان بالنسبة لها. إضافة إلى أنها تضم العديد من الكنائس والأديرة التي تخص مختلف الطوائف. (مرجع سابق، عبد الظاهر، كنائس القدس، ص161-162).

[•] يقع حي المصراة في القسم الشمالي من القدس، شمالي حي الشيخ جراح، على الطريق الموصلة إلى رام الله. وجميع سكانه من العرب، ويجاوره حي مياشورم اليهودي. أطلق اليهود على حي المصراة حوالي عشرين قذيفة هاون في 27 آذار (مارس) 1948م، فقتل سبعة من العرب وجرح أربعون، فقصفت المناضلون العرب مرابض الهاونات اليهودية في حي مياشورم بمائة قنبلة أدت إلى مقتل وجرح الكثيرين ونزوح أهل الحي، فاندفع المناضلون يبعثون اقتحام الحي، لكن القوات الإنجليزية حالت دون ذلك. (مرجع سابق، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ج4، ص226).

² شهيد، سيرين، ذكريات من القدس، ترجمة: مجد برادة، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص41.

العربي والإسلامي، في عهد رئيس بلدية القدس روجي الخطيب¹ عام 1958م، تم أيضا صيانة بناية كنيسة القبر المقدس، بتكلفة زادت على نصف مليون دينار جمعت من الهيئات المسيحية الثلاث، وهي: الأرثوذكس، واللاتين، والأرمن¹.

وساعدت الحكومة الأردنية في إصلاح وترميم التصدعات في كنيسة القيامة، وإكمال بناء كنيسة الحثمانية، التي بقيت منذ عام 1924م غير مستكملة البناء².

كما قدم المسلمون العون للمقدسات المسيحية، فأسرة الخالدي³ كانت المساعد الأول في كل ما يتعلق بمصلحة البطريركية الأرثوذكسية، فالفضل في شراء الأملاك لهذه البطريركية كان يتم بنفوذ العائلة، ولهذا علقت في البطريركية صورة الشيخ محمد علي الخالدي، وهو مفتي الشافعية بالقدس، ورئيس كتبة المحاكم الشرعية، التي كان بيدها الحل والربط في بيع وشراء الممتلكات بواسطة الحجج الشرعية³.

¹ ولد روجي الخطيب في القدس عام 1914م، عمل معلما في مدرسة دار الأيتام الإسلامية بالقدس، وفي سنة 1951 انتخبه سكان القدس عضوا في أول مجلس بلدي منتخب للمدينة بعد النكبة، وفي 19 يناير (كانون ثاني) 1957م اختارته الحكومة الأردنية رئيسا لبلدية القدس، وبعد استبدال اسم "بلدية القدس" إلى "أمانة القدس" أطلق عليه لقب "أمين القدس"، وبعد احتلال القدس أنهى الاحتلال الإسرائيلي مهام الخطيب، واعتقلته عام 1968م وفتته إلى الأردن. وفي الخامس من تموز (يوليو) 1994م توفي ودفن في القدس. (مرجع سابق، صالح، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين ج2، ص411-415).

¹ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص139.

² مرجع سابق، الهزيمة، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص106.

³ يعود نسب عائلة الخالدي إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد، وقد لعب رجال هذه العائلة دورا مهما زمن الحكم العثماني، وتقلدوا وظائف سامية، منهم: بدر الخالدي، ويوسف ضياء الخالدي، ومحمد علي الخالدي، وغيرهم. وكان مقر هذه الأسرة من أكبر دور القدس، وفيها الغرف والقاعات والمحاكم وحتى السجن. (نصار وتماري، عصام وسليم، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية (1948-1914م)، الكتاب الثاني، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2005م، ص380).

³ المرجع السابق، نصار وتماري، ص381.

والسر في ذلك كما يعتقد المسلمون، يعود إلى إرثهم العظيم في علاقاتهم بأصحاب الديانات، ونظرتهم للمسيحيين على أنهم مواطنون لهم كامل الحقوق، وينبغي أن يكون التعامل معهم نابعا من الفهم الديني للآخر واحترامه¹.

وفي الوقت الحاضر زار الأب عطالله حنا المسجد الأقصى أكثر من مرة، وعندما كان يمنع من دخوله، كان يشارك في وقفات احتجاجية، يعقبها مصادمات مع الاحتلال الإسرائيلي، فيدخل رغم أنف الشرطة إلى داخل المسجد، متحديا ادعاءات الاحتلال، أنه لا يجوز للمسيحي الدخول إلى الأقصى².

لكن ناجح بكيرات يقول إن حرص المسيحيين على المقدسات الإسلامية كان إعلاميا فقط؛ ذلك أنهم لا يملكون القوة التي يدافعون بها عن مقدساتهم، فضلا عن الدفاع عن مقدسات المسلمين؛ ثم إن عليهم أن يعيدوا المقدسات الإسلامية للمسلمين، حتى يخرج هذا القول إلى أرض الواقع³.

وبى الباحث رأيا مخالفا، نعم إن المسيحيين في فلسطين لا يملكون القوة المادية، لكنهم يملكون القوة الفكرية ليعلنوا رفضهم للظلم الواقع على الشعب الفلسطيني، فعلى سبيل المثال لم يكن للمسيحيين قوة مادية عام 1929، لكنهم وقفوا مدافعين عن المسجد الأقصى المبارك خلال ثورة البراق، فقدموا عددا من أبناءهم فداء لقبلة المسلمين الأولى، كما سنى لاحقا. ولم يكن لديهم أيضا قوة مادية في الوقت الحاضر، أثناء الحرب الأخيرة على قطاع غزة عام 2014م، إلا أنهم قدموا العون والسند لشعبهم، ففتحوا بيوتهم وكنائسهم لإيواء العائلات المسلمة التي شردت من بيوتها؛ بسبب القصف الإسرائيلي للبيوت والمساجد والمدارس والمستشفيات.

¹ حماني، جميل، محاضر في جامعة القدس وعضو الهيئة الإسلامية العليا في القدس، مقابلة خاصة: السبت 7 حزيران (يونيو) 2014م.

² مرجع سابق، بكيرات، مقابلة خاصة.

³ المرجع السابق، بكيرات، مقابلة خاصة.

لقد توقف الأذان من بعض تلك المساجد التي دمرت في الحرب، فكان موقف الأب مانويل مسلم _الراعي السابق لكنيسة اللاتين في قطاع غزة_ هو الدفاع عن مقدسات المسلمين (المتتمثلة في المساجد والأذان)، فقال "إذا هدموا مساجدكم ارفعوا الأذان من كناستنا".

وحول نسبة الأملاك الإسلامية والمسيحية في بيت المقدس، يقول بكيرات إن 54% من بيوت وعقارات وأراضي البلدة القديمة في القدس ملك للمسيحيين، مع أن نسبتهم هي 1% تقريباً، أما المسلمين فيملكون 38% مع أنهم هم الغالبية العظمى. وقد عملت الحكومة البريطانية على نقل كثير من أملاك المسلمين إلى الطوائف المسيحية، وساعد على ذلك ضعف الدولة العثمانية، وجهل كثير من المسلمين، وحتى هذا التاريخ لم نلاحظ أن كنيسة أو طائفة أعادت هذه الأوقاف الإسلامية. ولم يستغل المسلمون كثيرهم لاستعادة هذه العقارات"¹.

وعلى الرغم من الحديث عن هذا الموضوع، إلا أن الأمر لم يتجاوز حدود اللياقة في طرح القضية، لكن على كل حال فمن الأنسب أن يتم نقاش هذه المسألة، وغيرها من المواضيع الجدلية بين القيادات من الديانتين، وبعيدا عن سماع وبصر الاحتلال الإسرائيلي، وإذا ثبتت ملكيتها للمسلمين فمن الأجدر إعادتها لهم، لدرء أي خلاف قد ينشأ في المستقبل.

¹ المرجع السابق، بكيرات، مقابلة خاصة.

الأعياد الإسلامية والمسيحية:

يحتفل المسيحيون كل عام بعيد الفصح المجيد، وهو العيد الكبير بالنسبة للمسيحيين، وتجري فيه الاحتفالات لمدة أسبوع أو أكثر، وما يزيد هذه الاحتفالات بحجة هو اقترانها بموسم النبي موسى، الذي بدأه صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير القدس، فكان المسلمون والمسيحيون يحتفلون بأعيادهم بكل وثام¹.

كانت هذه الأعياد التي يحضرها الآلاف من المسلمين والمسيحيين، مناسبة لتبادل الأخبار المختلفة وعرض المنتجات المتنوعة وحل النزاعات وترتيب الزيجات أيضا².

وقد جلبت احتفالات موسم النبي موسى كثيرا من المسلمين، من مختلف أنحاء فلسطين، للمشاركة في الموكب المتجه إلى قبر النبي موسى في وادي الأردن. ولم تكن هذه الاحتفالات مناسبة للباعة والتجار الموسمين فقط، بل أيضا فرصة للقادمين من الأرياف لزيارة أسواق القدس. وقد استمر كثير من هذه الاحتفالات حتى عام 1948، عندما أدى تشريد السكان وتقسيم البلد إلى جعل السفر إلى الأماكن المقدسة أمرا مستحيلا³.

وبلغ من حب شباب النصارى للمفتي وتعلقهم به أنهم كانوا يهتفون باسمه في احتفالهم بموسم سبت النور، حيث كانوا وهم في كنيسة القيامة يميون الحاج أمين ويهتفون بقولهم: "حاج أمين يا مفتينا"، كما كانوا يفعلون ذلك في جميع الاجتماعات والمظاهرات، التي كانت تنظم في الميدان الأرثوذكسي العربي⁴.

¹ مرجع سابق، غوشة، الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، ص310.

² مرجع سابق، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ص104.

³ ديفيس، روشيل، القدس العثمانية: نمو المدينة خارج الأسوار، القدس 1948.. الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948م، ط1، تحرير: سليم تماري، بيروت (مؤسسة الدراسات الفلسطينية) 2002م، القدس (بديل)، 2003م، ص24.

⁴ الغوري، إميل، فلسطين عبر ستين عاما، ج1، بيروت، دار النهار، 1972م، ص84.

وفي الأسواق يلتقي التجار المسلمون والمسيحيون، ويشترى المسيحيون في أعيادهم من التجار المسلمين، ففي أعياد الميلاد التي تبدأ في 25 من ديسمبر (كانون الأول) من كل عام حسب التقويم الغربي، وفي السابع أو الرابع عشر من يناير (كانون الثاني) حسب الطوائف الشرقية، كانت الاستعدادات لها تبدأ قبل عدة أسابيع من موعدها، فيزين التجار المسلمون والمسيحيون متاجرهم ويعرضون بضائعهم¹.

وكان المسيحيون يشاركون المسلمين في احتفالات شهر رمضان المبارك، ومن بينها عائلة جوهريّة (مسيحية) التي كانت تشارك العائلات المسلمة في سهرات رمضان، وفي ذلك يقول واصف جوهريّة: "كنت وإخواني نشارك في حفلة الذكر في مقام الشيخ ربحان المجاور لدار الجوهريّة وننشد معهم الأناشيد الدينية"².

وفي كل سنة تقيم مدرسة الفرير افطارا جماعيا في شهر رمضان المبارك، تشرف عليه الطوائف المسيحية، وتدعو إليه مجلس الأوقاف، وفي المقابل دأب كل من: مجلس الأوقاف، الذي يرأسه عبدالعظيم سلهب، والهيئة الإسلامية، التي يرأسها الشيخ عكرمة صبري، على توجيه دعوات للمسيحيين للمشاركة في بحث القضايا التي تخص القدس³.

¹ مرجع سابق، غوشة، الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، ص 317.

• واصف جرجس جوهريّة (1897-1973م)، ولد في القدس لعائلة مسيحية، درس في مدرسة المطران عامين (1914-1912م)، حيث أغلقت المدرسة بسبب الحرب، وكان قد أنهى الصف الرابع الثانوي، وبه أنهى دراسته الرسمية دون الحصول على شهادة المدرسة الثانوية. استغل انتهاء دراسته فتعلم الغناء والعزف على الآلات الموسيقية، بعد وفاة والده كفله حسين الحسيني، وأوجد له وظيفة كاتب في بلدية القدس، وخلال الحرب العالمية الأولى تم تجنيده في البحرية العثمانية، وفي عام 1919 عمل في قسم المالية في دائرة الأراضي، حيث أسند إليه منصب "مدير مالية"، واستمر فيه أكثر من عقدين. (مرجع سابق، صالح، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين، ج2، ص 83-85).

² تمّاري ونصار، سليم وعصام، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة (1917-1904م)، الكتاب الأول، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2003م، ص 77.

³ مرجع سابق، بكيرات، مقابلة خاصة.

كما حضر المسيحيون احتفالات المولد النبوي الشريف، بل إن شعراء مسيحيين عاشوا في فلسطين من أهلها ومن غيرها صاغوا القصائد تمجيدا للنبي ﷺ. فقد شارك الشاعر وديع البستاني اللبناني الأصل، واسكندر الخوري البيتجالي، وإبراهيم طوقان، وغيرهم بقصائدهم في الاحتفالات الدينية لدى المسلمين والمسيحيين¹.

كان المسيحيون يعتبرون أن تلك الأعياد مناسبات وطنية، فضلا إلى معانيها الدينية، كما شارك المسلمون في الأعياد المسيحية عن طريق الفرق الكشفية مثل: استقبال النور في عيد الفصح، وفي الأعياد الميلادية². وكان لذلك أثر بالغ في تدعيم القيم والعادات التي يشترك فيها الجميع، وشجعت على ظهور هوية فلسطينية مشتركة³.

ولم يستغرب المسلمون ذلك، يقول جميل حمامي: "لا أستغرب أن أجد مسيحيا يمدح الرسول. اميل الغوري شخصية لها وزنها في المجتمع المسيحي، عندما أسمعها لا أفرق بينه وبين المسلم، كان منصفًا، يتحدث بروح المجتمع الواحد المتعدد. والتقيت بالدكتور رؤوف أبو جابر عدة مرات، كان يتكلم بروح الوحدة وروح أصحاب الهم الواحد، وهذا لا يلغي وجود بعض من لهم أجندات خاصة، لكنها تبقى أصوات ضعيفة"⁴.

¹ مرجع سابق، صالح، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين، ج1، ص30.

² مرجع سابق، خوري، مقابلة خاصة.

³ مرجع سابق، فرسون، سمح، فلسطين والفلسطينيون، ص104.

⁴ مرجع سابق، حمامي، مقابلة خاصة.

دور المسيحيين في التصدي للمخططات التبشيرية:

كان التآخي الإسلامي المسيحي مؤسسا على قاعدة إخلاص كل فريق للآخر، ومما يدل على ذلك الإخلاص، أن المسيحيين العرب قاطعوا المؤتمر التبشيري الثاني، الذي عقد في 24 آذار (مارس) 1928 حتى 7 نيسان (أبريل) من العام نفسه، على جبل الزيتون في القدس، وحضره (240) ممثلا من (51) دولة في العالم، وكان هدفه غزو الإسلام في عقر داره، وغزو المذاهب غير البروتستانتية¹.

ولم يقف المسيحيون ذلك الموقف فحسب، بل إنهم اتخذوا مع المسلمين خطوات عملية ضد المؤتمر أدت إلى افشاله، إذ طلب المسلمون والمسيحيون في فلسطين، من المفتي أمين الحسيني اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقفه، وأرسل الشعب الفلسطيني بقرجات الاحتجاج إلى وزارة المستعمرات البريطانية على عقد المؤتمر في القدس².

ولعل المسيحيين أدركوا خطر تلك السياسة، التي تهدف إلى سلخ المسيحيين من عربيتهم، إذ كان نتاجا لسياسة قديمة التفت فيها أطماع اليهود في فلسطين مع الأهداف الدينية والاقتصادية لبريطانيا (المسيحية)، فقد أطلق اللورد "اشيلي" فكرة أن تحتل البروتستانتية الإنجليزية مركزا محوريا بين الكنائس المسيحية في فلسطين، عبر تأسيس كنيسة يهودية _مسيحية في القدس، تنشر تعاليم الإنجيل باللغة العبرية، وتساعد على نهضة اليهود اجتماعيا ودينيا³.

¹ السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، (يافا، مكتبة فلسطين الجديدة، ط1، 1937م)، ج1، ص117.

² مرجع سابق، جبارة، الحاج محمد أمين الحسيني دراسة في نشاطه الديني (1937-1921م)، ص118.

³ عيد، عاطف، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم.. فلسطين، (بيروت، Editio Creps, INT، 1998-1999م)، ص105.

ويرى مسيحيو القدس أن السبب الرئيس الذي أفشل مخططات التبشير، هو انتماء المسيحيين للعروبة، إذ يقول رفيق خوري إن الجهات المسيحية التي كانت تنظم مثل هذه المؤتمرات هي فئات بروتستنتية، تنظر إليها كنائس الشرق بعين الريبة والحذر، فكلما اشتّم المسيحيون العرب أية مبادرة تهدف إلى إبعادهم عن مجتمعاتهم العربية وعن المسلمين، كانوا ولا يزالون يأخذون منها موقفا سلبيا¹.

إن ذلك الموقف المسيحي مرده التجربة التاريخية، فقد رأى المسيحيون العرب الفرق الواضح بين الحكم الصليبي، ثم الحكم الإسلامي للمدينة في عهد صلاح الدين.

ولذلك فإن حركة التبشير التي استغلت الأعمال الخيرية مثل: إقامة المدارس، والعيادات، والنوادي، كانت غريبة على المواطن المقدسي. وقد انقسم المسيحيون، فبعضهم كان يتبع الكنيسة الغربية (الكاثوليكية)، وكان هذا الانتماء لبابا الفاتيكان، والقسم الثاني مع الكنيسة اليونانية (الأرثوذكس)، ولكل فريق أجندته الخاصة، وهذا ظهر في أكثر من مرة في زيارة البابوات للقدس، فمن ينتمي للكنيسة الغربية كان يحتفل بتلك الزيارات، بينما يراها أتباع الكنيسة الشرقية عادية جدا².

دور القضاء في تعزيز حالة التعايش:

كان المسلمون حريصين على ممتلكات المسلمين والمسيحيين واليهود، فلما عين الشيخ عبد الحميد السائح قاضيا لمحكمة القدس الشرعية عام 1939م، لاحظ أن سجلات المحكمة كانت متراكمة ودون ترتيب، فبذل جهدا لصنع خزائن حديدية تحتوي على جميع سجلات محكمة القدس، بحسب أنواعها وأرقامها، لصون

¹ مرجع سابق، خوري، مقابلة خاصة.

² مرجع سابق، حمامي، مقابلة خاصة.

تلك السجلات، وخاصة أنها المرجع الوحيد لإثبات حق الملكية، أو الوقف، أو أي شأن آخر من شؤون المسلمين والمسيحيين واليهود¹.

أما الشيخ محمود سعود السعودي، فكان يشغل منصب قاضي القدس الشرعي، زمن الإدارة العسكرية البريطانية، الممتدة من عام 1917 وحتى 1920م، وكان ينظر في قضايا الزواج، والطلاق، والإرث، والنفقة، والوصايا، والتوكيلات العامة للمسلمين، وفي قضايا الإرث، والوصايا، والتوكيلات العامة لدى كافة أبناء الطائفة المسيحية من اللاتين، والروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، وكذلك بين أتباع الطائفة اليهودية².

ومن دلائل تميز تلك العلاقة في هذا الميدان، أن المسيحي جريس جوهريّة (والد واصف جوهريّة) ترفع أمام القضاء مدافعا عن مسلم شتم دين رجل مسيحي، فلما رأى جريس جوهريّة أنه على وشك الإفلاس في القضية، قال للقاضي: "ألفت نظركم للآية الكريمة (إن الدين عند الله الإسلام) ولذلك فإن موكلي ليس مذنبا وأطلب رحمته"، فسر القاضي لسرعة بديهته وصدر حكم ببراءة المسلم، وخرج جميع الحضور يثنون على دهاء الجوهريّة³.

¹ مرجع سابق، السائح، فلسطين لا صلاة تحت الحراب، مذكرات الشيخ عبد الحميد السائح، ص21.

² مرجع سابق، المهدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص43-44.

³ مرجع سابق، تمّاري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة (1904-1917م)، ص175.

ومن ثمرات هذا اللون من التعايش والتآخي أنه لم يؤسس في القدس حزب على أساس ديني، فعندما عرض فرنسيس الخياط (لاتيني) وحننا العيسى (أرثوذكسي) على خليل السكاكيني[•] عام 1914م، فكرة تشكيل حزب للمحافظة على حقوق المسيحيين، سيما أنهم أقلية في البلاد، رفض الاقتراح، واعتبر أن الأفضل هو تشكيل حزب وطني لجمع كلمة الفلسطينيين، وتعميق الشعور الوطني، سواء كان من سيتولى قيادته مسلم أم مسيحي¹.

ولماذا يبحث المسيحي عن حقوق أعطاها له الإسلام وأهله، دون طلب أو عناء، وهذا ما سطرته كتابات بعض المسيحيين، الذين أثبتوا الخيرية للمسلم على المسيحي، فقد كتب السكاكيني في مذكراته "لا قيمة لإنسان إلا بأخلاقه وعقله، فإذا عرضنا المسيحيين والمسلمين على هذه القاعدة، وجدت أن المسلمين أجل شأنًا وأعلى قدرًا. أما من جهة الأخلاق فالمسلم أعز جانبًا وأوفر مروءة وأشد بأسًا وأسرع نجدة وأكرم نفسًا وأوثق عهدًا وذمامًا، لكونهم أصحاب البلاد، وأكثر عددًا من غيرهم، إضافة إلى أثر أدبيات اللغة العربية في تكوين أخلاقهم"².

• خليل قسطندي السكاكيني (1878-1953م)، مسيحي أرثوذكسي تخرج من الكلية الإنجليزية عام 1893م، فعمل معلمًا في المدرسة الأرثوذكسية، ارتحل إلى أمريكا أواخر عام 1907م، وبعد اقرار الدستور العثماني عام 1908م عاد إلى فلسطين، فبدأ بمباشرة نشاطه الأدبي، فشارك في تحرير مجلة الأصمعي وأنشأ مجلة الجوزاء لطلبة دار المعلمين. تقلد العديد من المناصب في إدارة معارف فلسطين، كان آخرها مفتشًا عامًا للغة العربية. من مؤلفاته: الاحتذاء بجداء الغير، ومطالعات في اللغة والأدب، والنهضة الأرثوذكسية في فلسطين، كذا أنا يا دنيا، وغيرها. (صالح وآخرون، محسن، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 1431هـ/2010م، ص61-75).

¹ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص104.

² السكاكيني، خليل، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، تحرير: أكرم مسلم، (رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2004م)، الكتاب الثاني، ص236.

المطلب الثاني: التعايش السلمي الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين

تجاور بيوت المسلمين والمسيحيين بعضها البعض في القدس، ففي الأحياء الإسلامية تعيش عائلات مسيحية، وفي حارة النصارى[•] تعيش عائلات مسلمة¹. لذلك فليس غريبا أن يحظى المسيحيون بحب المسلمين واحترامهم، ولكنهم شديداً للعداء للصهيانية، وهذه شهادة الكابتن البريطاني وليام أورمسي في تقريره بتاريخ 12 كانون ثاني (يناير) 1917م².

وهذا الاختلاط في أماكن السكن جعل العادات الاجتماعية واحدة، ومنها أن المسيحيين والمسلمين كانوا يرتدون الطربوش، وممن كانوا يحافظون على هذه العادة من أبناء طائفة الروم الأرثوذكس: جورج أبو زخريا، وإلياس المشبك، وخلييل السكاكيني، ومن طائفة اللاتين والروم الكاثوليك: متيا سروفيم، وأنطون سروفيم، وحنا بطاطو، ومن المسلمين: عبد السلام طوقان الحسيني، وعارف الدجاني، وموسى كاظم الحسيني، وراغب النشاشيبي³.

هذه العلاقة الممتدة على مدار مئات السنين، سبب رئيس لقبول كل طرف للآخر، فهم جميعاً أبناء هذا الوطن، ولم يأت فريق منهم مع المستعمر الأجنبي.

[•] تقع حارة النصارى في الناحية الغربية من مدينة القدس، تبلغ مساحتها 192 دونماً، وفي الناحية الجنوبية من الحارة يقع سوق الدباغة. سميت الحارة بهذا الاسم لكونها تشكل مركزاً سكانياً لأبناء القدس من المسيحيين العرب. (مرجع سابق، ناصر الدين، حارتي النصارى واليهود (الشرف)، ص3).

¹ مرجع سابق، المهدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص132.

² مرجع سابق، الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص87.

³ مرجع سابق، نصار وغماري، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية (1914-1948م)، الكتاب الثاني، ص568-570.

فإن قال قائل أن المسلمين كانوا مستعمرين، فقد دخلوا هذه الأرض واستوطنوها. فالرد هو: أن الإسلام لم يكن استعماراً يوماً من الأيام، ذلك أنه نأى بنفسه عن أمرين اثنين، هما: إخراج الناس من أرضهم، وإجبارهم على تغيير دينهم.

ودليل إضافي على ما أقول، أن المسلمين والمسيحيين في فلسطين يتعايشون مع الطائفة السامرية، وهي طائفة يهودية تنتمي لبني إسرائيل، لم تأت مع المستعمر الصهيوني، بل تعيش في مدينتي نابلس وحولون منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، وهي أيضاً تتعرض لمضايقات الاحتلال الإسرائيلي.

العلاقات الاجتماعية:

كانت العلاقات الوطيدة بين العائلات المقدسية العريقة، دائمة وتمتد جذورها إلى أجيال، ويمكن القول إن كل عائلة مسلمة كان لها رديفاً مسيحياً، في الحياة الاجتماعية، وغيرها¹.

ومن ذلك أنهم كانوا يتزاورون فيما بينهم، ففي رسالة من خليل السكاكيني لابنه سري عندما كان يدرس في أمريكا، أن موسى العلمي وزوجته ورجائي الحسيني زاروا بيته². وأن عادل جبر وموسى العلمي زاروه، ثم انطلقوا إلى بيت كمال إسماعيل عضو المجلس الإسلامي الأعلى³.

وكانوا يتقاسمون الطعام والشراب في الأوقات الصعبة، وفي المناسبات يقفون مع بعضهم، وهذا ما حدث مع عائلة جوهرية (المسيحية)، حيث كان الرجال والنساء من العائلات المسلمة التي كانت تجاورهم يزورونهم في الأفراح والأتراح، وهذه العائلات هي: عبد القواس الداودي، ومصطفى الصالحاني، والسلمان،

¹ مرجع سابق، خوري، مقابلة خاصة.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2004، الكتاب الخامس، ج 2، ص 81.

³ المرجع السابق، السكاكيني، الكتاب السابع، 2009، ص 412.

ومصطفى الجبشة، والأنصاري، وأبعد منها قليلاً: عبد ربه، وعمر درويش، والشيخ محمد صالح، وعاطف درويش، وغيرهم¹.

وكان الهدف من هذه الزيارات إما التعليم أو التباحث في الشؤون العامة، من ذلك ما كتبه السكاكيني يوم الأحد 4 مايو (أيار) 1919: "زارني قبل الظهر عارف الداوودي وعبد القادر طهوب ويعقوب ابن خالتي، فجعلنا نتكلم في الأحوال الحاضرة"².

وكذلك مناقشة القضايا السياسية، فلما زار حسين الخالدي بيت خليل السكاكيني عام 1945م، قال حسين الخالدي إن الخطر على فلسطين يشدد يوماً، وجهود العرب لدفع ذلك الخطر غير مجدية³.

وكانت تلك الزيارات على مستوى النخبة في الحركة الوطنية، ففي عام 1919م زار الحاج أمين الحسيني بيت خليل السكاكيني، وتم خلال الزيارة تباحث أحوال فلسطين السياسية⁴.

والواقع أن المسلمين في بيت المقدس تأثروا بموروثهم الثقافي، فالتزاور بين المسلمين وغيرهم، له أصل في السنة، وهو من المبادئ التربوية والاجتماعية، التي تلقاها المسلمون عن رسول الله، فقد جاء في صحيح البخاري، أن النبي ﷺ زار أبا طالب عندما حضرته الوفاة، وزار الغلام اليهودي لما مرض.

¹ مرجع سابق، تماري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية (1917-1904م)، ص 19-20.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2004م، الكتاب الثالث، ص 143.

• حسين فخري الخالدي (1894-1962م): ولد في القدس، التحق بحكومة الملك فيصل الأول بدمشق، وعاد إلى القدس بعد أن أطاح الفرنسيون بحكمه عام 1920م، عين عام 1934م رئيساً لبلدية القدس إثر فوز قائمته في الانتخابات البلدية حتى عزله الانتداب ونفاه إلى جزيرة سيشل، أسس سنة 1935م حزب الإصلاح، واختير عضواً في اللجنة العربية العليا التي تألقت في 25 أبريل (نيسان) 1936م. (مرجع سابق، السكاكيني، الكتاب الثامن، 2010م، ص 175).

³ المرجع السابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2010م، الكتاب الثامن، ص 175.

⁴ المرجع السابق، السكاكيني، 2004، الكتاب الثالث، ص 170.

ارتبطت العديد من العائلات المسلمة والمسيحية بعلاقات حميمة، وهذا بدا واضحا من خلال علاقة عائلة جوهريّة بعائلة الحسيني (المسلمة)، فكانت عائلة جوهريّة تتمتع بخيرات بيارات عائلة الحسيني¹. وزاد الأمر على ذلك أن أصبح المسلمون والمسيحيون عائلة واحدة، عندما ربطت بينهم علاقة النسب، إذ حرص بعض شباب عائلتي الحسيني والنشاشيبي على الزواج من فتيات مسيحيات².

وفي مناسبات الزواج ظهر حب المسلمين والمسيحيين للقدس، من خلال الأهازيج الشعبية، ورغم أنها كانت ذات صبغة اجتماعية في مناسبات الزواج، لكنها كانت تحمل معاني دينية، ودلالات سياسية، ومنها:

يا حلو يا مزيون	قلي وين أزفك
في فاي الزيتون	عالصخرة الشريفة
يا المدلل وين	قلي وين أزفك
وبين الحرمين	عالصخرة الشريفة
يا بو العيون السود	قلي وين أزفك
والنبي داود	عالصخرة الشريفة

¹ مرجع سابق، تماري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة (1917-1904م)، ص27.

² عمرو، جمال، خبير في شؤون القدس وأستاذ الهندسة المعمارية في جامعة بيرزيت، مقابلة خاصة: الاثنين 3 تشرين ثاني (نوفمبر) 2014م.

ويغني المسيحيون الأغنية نفسها، ولكن بذكر الأماكن المسيحية المقدسة.

قلي وين أزفك يا حلو يا زين

في الصخرة الشريفة وبين الهيكلين

قلي وين اكليلك يا حلو يا منيح

في الصلاة الشريفة قدام المسيح¹

تبادل التهاني والتعازي:

عندما تولى الحاج أمين منصب مفتي القدس، جاء كثير من المسلمين والمسيحيين لتهنئته وتهنئة عائلة

الحسيني بهذا المنصب².

وذكر واصف جوهري أنه حصل على مجموعة من الهدايا بعد زواجه من فكتوريا صليبا سعد، وكان

عدد كبير منها من مسلمين، أمثال: راغب النشاشيبي وفخري النشاشيبي ومحبي الدين الحسيني وجميل الحسيني

ومن القاضي مُجَّد يوسف الخالدي، وغيرهم³.

¹ البطمة، نادية، صفحات ثقافية مقدسية مطوية قبل نكبة 1948م، مجلة شؤون فلسطينية، (رام الله، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، ع251، شتاء 2013م)، ص275.

² مرجع سابق، جبارة، الحاج مُجَّد أمين الحسيني دراسة في نشاطه الديني (1937-1921م)، ص65.

³ مرجع سابق، نصار وتماري، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهريّة (1948-1914م)، ص401-402.

وفي العزاء تضامنت عائلة جوهريّة مع عائلة الحسيني، بوفاة الحاج سليم الحسيني¹، وشارك المسلمون في جنازة والد واصف جوهريّة عام 1914م، وبين المشاركين صديقه الشيخ علي الريمائي، الذي عمل القبر على نفقته الخاصة². كما قدم المسلمون العزاء لخليل السكاكيني في وفاة زوجته سلطنة³.

العمل في المؤسسات الحكومية:

مما يدل على عظم التسامح بين المسلمين والمسيحيين، هو عملهم مع بعضهم أو عمل بعض أتباع الديانتين في مكان يخص الديانة الأخرى، ومن ذلك أن جريس جوهريّة كان محامياً في المحاكم الشرعية للمسلمين⁴.

وكان هذا العمل المشترك أيضاً في بلدية القدس، فقد تألف مجلس بلدي مدينة القدس سنة 1326هـ / 1908م، من عشرة أعضاء: ستة منهم مسلمون، واثنان مسيحيون، واثنان يهود⁵. وفي السنة نفسها اشترك (1200) مواطن في الانتخابات: (700) مسلم و (300) مسيحي و (200) يهودي⁶.

¹ مرجع سابق، تمّاري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة (1917-1904م)، ص42.

² المرجع السابق، تمّاري ونصار، ص172.

³ مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2009، الكتاب السابع، ص38.

⁴ مرجع سابق، تمّاري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة (1917-1904م)، ص29.

⁵ محاسنة وآخرون، مجّد، تاريخ مدينة القدس، ط1، عمان (دار حنين للنشر والتوزيع)، بيروت (مكتبة الفلاح)، 1423هـ/2003م، ص239.

⁶ شولش، الكزاندر، القدس في القرن التاسع عشر 1831-1917م، القدس في التاريخ، ترجمة: كامل العسلي، (عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1992م)، ص290.

ويهدف تقليل عدد الأعضاء المسلمين من (6) إلى (2)¹، أصبح المجلس البلدي يضم عام 1918م ستة أعضاء، عضوين من كل ديانة، الإسلام والمسيحية واليهودية، وكان رئيس المجلس مسلماً². ثم اتسع المجلس، فأصبح يتكون من أربعة أعضاء مسلمين وثلاثة مسيحيين وثلاثة يهود، وظل رئيسه مسلماً³.

واستمرت الحكومة البريطانية باختيار الرئيس من بين الأعضاء المسلمين، كما بدأت بتعيين نائبين له، أحدهما عن اليهود والآخر عن المسيحيين، وظلت على ذلك الحال، حتى عام 1944م، عندما توفي الرئيس المسلم، فعيّن نائبه اليهودي مكانه، وكانت أول مرة يعين فيها شخص يهودي رئيساً لبلدية القدس، فاستقال الأعضاء العرب المسلمين والمسيحيين احتجاجاً على ذلك القرار⁴.

وهنا نجد أن المسيحيين عبروا عن روح وطنية عالية، فلم يستغلوا هذا الظرف، في التقرب من الحكومة البريطانية؛ لتحسين مكانتهم في المجلس، أو زيادة عددهم، وتفسير ذلك أن المسيحي فهم خطط بريطانيا، فهي اليوم تستفرد بالمسلم، وغداً لن ترد فرصة للتخلص منه.

وفي الوقت الحالي ضمن المسيحيون رئاسة عدة بلديات دون انتخابات، كما يحدث في بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ورام الله والطيبة، وأمام هذه المعطيات تشهد السلم المجتمعي؛ لأن ثقافة المسيحيين في فلسطين هي ثقافة إسلامية⁵.

¹ مرجع سابق، المهتدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص92.

² أرمسترونج، كارين، القدس: مدينة واحدة وثلاث عقائد، ترجمة: فاطمة نصر ومُجد عناني، (لام، لان، 1998م)، ص602.

³ المرجع السابق، أرمسترونج، ص606-607.

⁴ الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج10، القسم الثاني، في بيت المقدس²، (كفر قرع، دار الهدى، 2002_2003م)، ص203-204.

⁵ مرجع سابق، عمرو، مقابلة خاصة.

التكافل الاجتماعي:

يظهر جليا تأثر المسلمين بتعاليم الإسلام، التي تحثهم على مساعدة المحتاج والملهوف، سواء كان مسلما أم لا، فلما شعر سليم الحسيني أن والد واصف جوهرية يعيش ظروفًا اقتصادية صعبة خلال عيد الفصح، أرسل إليه مؤونة البيت، التي شملت حاجيات وملابس العيد¹.

يتضح من هذا النص أن المسلمين استجابوا للتعاليم الإسلامية، التي تحث على مساعدة المحتاج والملهوف، سواء كان مسلما أم لا، وقد تجلى ذلك من خلال صور التكافل الاجتماعي في بيت المقدس، وهو بلا شك منهج تربوي يستفاد من السنة النبوية والتاريخ الإسلامي.

وفي الأول من حزيران (يونيو) 1919م قال خليل السكاكيني في مذكراته، إنه كان مع عائلته يعيشون حالة من الفقر الشديد، بدا ذلك على حالة ثيابهم الرثة وقلة طعامهم، فزاره موسى العلمي، ثم خرج معه لزيارة أستاذه نخلة زريق[•]، وفي الطريق أعطاه نصف ليرة، فاشترى بها طعاما، وفي المساء زاره مصطفى عبد الهادي، فطلب منه خمسة عشر قرشا، فدفع إليه اثني عشر قرشا، وهي آخر ما بقي لديه².

¹ مرجع سابق، تماري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية (1917-1904م)، ص 27-28.

[•] ولد نخلة جريس زريق في بيروت نحو سنة 1859، درس في مدارس طائفته الأرثوذكسية، وفي مدرسة بطرس البستاني، فأتقن العربية والإنجليزية. جاء إلى القدس عام 1889 بطلب من المبشرين الإنجليز فتسلم إدارة مخزن بيع الكتب الدينية التابع للإرساليات الإنجليزية. وفي عام 1892 تسلم إدارة مدرسة الشبان الإعدادية، التي عرفت بالكلية الإنجليزية، وعلم فيها اللغة العربية، إضافة إلى عمله الإداري، وبقي في مركزه هذا إلى أن توفي عام 1921م في بيت المقدس. (مرجع سابق، صالح، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين، 2011م، ج1، ص181).

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2004، الكتاب الثالث، ص 163-164.

ولو تأملنا هذا النص لوجدنا أنه قمة في الدلالة على عمق التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين، وعلى عظمة القيم التي يحملها المسلمون والمسيحيون في بيت المقدس، فهذا موسى العلمي (مسلم) يهدي خليل السكاكيني (مسيحي) نصف ليرة، وأظنه كانت شيئاً ذا قيمة في ذلك الوقت، ثم يهدي الأخير رغم الفاقة، صاحبه مصطفى عبد الهادي (مسلم) آخر ما تبقى لديه من ذلك المبلغ.

ونتيجة العلاقة المتينة بين عائلي جوهريّة والحسيني، بادر والد واصف جوهريّة بإعادة ترميم أملاك حسين هاشم الحسيني في خربة دير عمرو دون معرفته، عندما كان حسين هاشم في باريس¹. وخلال معركة 1948م خسرت عائلة نسيبة أملاكها في حي القطمون، وبعد انتقال استديوهات إذاعة القدس إلى ذلك الحي، مكث حازم نسيبة مع عائلة مسيحية لبضعة أشهر².

الرياضة في القدس:

كان لأهل القدس أوقات للترفيه، ففي كانون الأول (ديسمبر) عام 1919م، أقيمت مباراة في كرة القدم على ملعب كلية روضة المعارف، بين فريقها وفريق مدرسة المطران، وفاز فيها فريق المطران³. وكانت دائرة الأولاد في جمعية الشبان المسيحية صرحاً ثقافياً ورياضياً وترفيهياً لشباب القدس المسلمين والمسيحيين، وقلة قليلة من اليهود، تعكس نسبتهم وقتئذ، إذ كانت تلقى في قاعاتها المحاضرات والندوات والحفلات الموسيقية، ويمارس فيها الشباب الألعاب الرياضية المختلفة⁴.

¹ مرجع سابق، تمّاري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة (1917-1904م)، ص31.

² نسيبة، حازم، ذكريات مقدسية "سيرة ذاتية"، (بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2010م)، ص111.

³ مرجع سابق، الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ج1، ص43.

⁴ مرجع سابق، نسيبة، ذكريات مقدسية "سيرة ذاتية"، ص21.

وجود الشباب من المسلمين والمسيحيين واليهود في جمعية الشبان المسيحية، يعني مجدداً أن المسلمين والمسيحيين ليس لهم عداً مع اليهود، الذين يعيشون في فلسطين منذ القدم، فالعداء ليس لليهودية، إنما العداً للمستعمرين الصهاينة، الذين دخلوا فلسطين قبل وبعد قيام الكيان الصهيوني.

وكان لدى الطلاب شغف بالرحلات والحياة الكشفية، ففي عام 1926-1927م انتظم بمجت أبو غربية¹ في فرقة أشبال مدرسة التمرين بالقدس، وكان معلم وقائد الفرقة الكشفية الأستاذ المسيحي فخري جوهري¹.

ومن الأمور المميزة في القدس، أن أنديتها لم تكتف بالنشاط الرياضي، بل إنه انبثق عنها لجان اجتماعية؛ تجمع شباباً مسلمين ومسيحيين، هدفهم هو تقديم الخدمات الاجتماعية لأبناء الديانتين، ومن هذه الأندية: نادي الهلال، ونادي برج اللقلق، ونادي البلدة القديمة².

• ولد في خان يونس بقطاع غزة عام 1916م، وأمضى معظم حياته في القدس، واشترك في جميع مراحل النضال الفلسطيني المسلح خصوصاً ثورة 1936-1939م، وحرب 1947-1949م، حيث كان أحد "قادة جيش الجهاد المقدس". خاض معارك كثيرة منها معركة القسطل، التي استشهد فيها عبد القادر الحسيني، كما جرح مرات عدة ودخل السجن. (أبو غربية، بمجت، مذكرات المناضل بمجت أبو غربية (1949-1916م)، في خضم النضال العربي الفلسطيني، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 1993م).

¹ المرجع السابق، أبو غربية، ص20.

² صبري، عكرمة، خطيب المسجد الأقصى ورئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس، مقابلة خاصة: السبت 4 نيسان (أبريل) 2015م.

المطلب الثالث: التعايش السلمي الفكري بين المسلمين والمسيحيين

يمكن تتبع هذا النوع من التعايش بين المسلمين والمسيحيين من خلال: التعليم، والثقافة.

أولاً: الحياة التعليمية:

يوجد في القدس مدارس إسلامية خاصة؛ منها: دار الأيتام الإسلامية، ومدرسة البنات الإسلامية، وكلية روضة المعارف الوطنية، والكلية الإبراهيمية. ومدارس حكومية عربية (إسلامية مسيحية)؛ منها: الكلية العربية، ودار المعلمات، والمدرسة البكرية، ومدرسة المصراة، والمدرسة العمرية، والكلية الرشيدية، ومدرسة الشيخ جراح.¹

كما يوجد فيها مدارس مسيحية خاصة؛ منها: المدرسة الاستعدادية للروم الأرثوذكس، المدرسة الأرثوذكسية للبنات، مدرسة السريان الأرثوذكس، مدرسة الأرمن الابتدائية، كلية اللاهوت الأرمنية، مدرسة ترسانطه للبنين، مدرسة ترسانطه للبنات، كلية ترسانطه[•]، مدرسة الفيرير للبنين، كلية الفيرير[•]، مدرسة مار يوسف.²

¹ عرابي، رجا، الكافي في تاريخ القدس "دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر"، (دمشق، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة ط1، 2009م)، ص614.

[•] أسستها جمعية القديس بولس عام 1926، وافتتحت عام 1929م، ثم وضعت تحت رعاية جمعية الأرض المقدسة الفرنسية، تقع الكلية عند ملتقى شارع الملك جورج بشارع مأمّن الله، ويحيط بمبنى الكلية ساحة واسعة مخصصة لممارسة الألعاب الرياضية، تبعد عن بركة مامبلا 300 متر، غير بعيد عن المقبرة الإسلامية. (مرجع سابق، عرابي، الكافي في تاريخ القدس "دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر، ص615؛ أبو الشعر، هند، المدارس الأجنبية في القدس، كلية ترسانطه نموذجاً، القدس، أوراق المؤتمر الدولي عن القدس، عمان، وزارة الثقافة، 1430هـ/ 2009م، ج1، ص614).

[•] أسست سنة 1893، تدرس فيها اللغات الثلاث: الفرنسية والعربية والإنجليزية، ويتبعها مكتبة قيمة. (مرجع سابق، عرابي، الكافي في تاريخ القدس "دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر"، ص615).

² المرجع السابق، عرابي، ص615.

وعمل المعلمون المسلمون والمسيحيون معا في مدرسة واحدة، فعمل ضياء الدين الخطيب، وجورج بترو خميس، وطلعت السيفي، وروبرت تلحمي في دار المعلمين¹. و خليل بيدس، وشريف النشاشيبي، ونجيب جرمانوس، في مدرسة المطران (مدرسة مسيحية)². وعمل كمال الخطيب، وحسين الدجاني، وفخري جوهريّة في مدرسة التمرين الحكومية³.

أما الطلاب فدرسوا أيضا مع بعضهم، فدرس المسلمون في المدارس المسيحية، ومنها مدرسة المطران، فكان منهم: إميل الغوري، وفؤاد سابا، ورجائي الحسيني، وداود الحسيني، وإبراهيم بيدس⁴. كما التحق بهجت أبو غربية (مسلم) عام 1934م بالمدرسة الليلية لجمعية الشبان المسيحية⁵.

¹ نجم، مجّد يوسف، دار المعلمين والكلية العربية في بيت المقدس، (بيروت، دار صادر، ط1، 2007م)، ص76-82.

² مرجع سابق، الغوري، فلسطين عبر ستين عاما، ج1، ص34.

³ مرجع سابق، أبو غربية، مذكرات المناضل بهجت أبو غربية (1949-1916م)، في خضم النضال العربي الفلسطيني، ص4.

• إميل الغوري (1907-1982م)، ولد في القدس، وفي أواخر عام 1918 التحق بمدرسة المطران (سان جورج)، وفي نهاية عام 1921/1920م اجتاز الامتحان السنوي النهائي، وبقي في صف خاص قررت الإدارة انشاءه للطلبة المتفوقين، لكنه طرد من الصف لأسباب سياسية، وبعد طرده رفض قبول وظيفة حكومية، فعمل في شركة "توماس كوك" السياحية، انخرط في الحركة الأرثوذكسية، اعتقل في أحداث ثورة البراق. سافر إلى أمريكا وتخصص في التاريخ والعلوم السياسية. وبعد عودته أسس عدة صحف مصل: الاتحاد العربي، ومجلة الشباب، والوحدة العربية، وغيرها. وبعد هجرة قسرية فرضت عليه لسبعة عشر عاما عاد إلى القدس عام 1965م، وفي عام 1966م انتخب بالتركيبة نائبا للقدس في مجلس النواب الأردني، وفي عام 1969م عين وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل في الحكومة الأردنية، وفي عام 1971م عين وزير دولة لشؤون رئاسة الوزراء الأردنية. (مرجع سابق، صالح، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين، ط2، 2011م، ج2، ص297-300).

• فؤاد صالح سابا، ولد لعائلة مسيحية في بلدة شفا عمر (قرب الناصرة) عام 1902م، درس في ثانوية الفرير ومدرسة الروم الكاثوليك والمدرسة المارونية في حيفا، وأتم دراسته الثانوية في مدرسة المطران بالقدس، ودرس لمدة سنة في الكلية الإنكليزية بالقدس، حصل على بكالوريوس تجارة من الجامعة الأميركية ببيروت سنة 1924، عين بعد تخرجه أستاذاً في كلية كردينال فراري (كلية ترسانطا فيما بعد) وفي جمعية الشبان المسيحية بالقدس. وفي أعقاب عام 1937 عينته (الهيئة العربية العليا) سكرتيراً لها بعد اعتقال سكرتيرها عوني عبد الهادي. (موقع مؤسسة القدس للثقافة والتراث: <http://www.alqudslana.com>).

⁴ مرجع سابق، الغوري، فلسطين عبر ستين عاما، ج1، ص35.

⁵ مرجع سابق، أبو غربية، مذكرات المناضل بهجت أبو غربية (1949-1916م)، في خضم النضال العربي الفلسطيني، ص36.

وكان أساتذة المدارس من مختلف الديانات، مسيحيون ودرورز ومسلمون، وهذا كان الحال في مدرسة

البنات الإسلامية في القدس، التي فتحتها المجلس الإسلامي الأعلى¹.

ورغم هذه الحالة من الانسجام بين الفريقين في المؤسسات التعليمية التي تتبع لكل منهما، فإن هناك

بعض الحالات الشاذة التي عكرت صفو هذه العلاقة، فقد حاولت مدرسة راهبات الوردية (مسيحية) أن تمنع

الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب، لكن ميشيل صباح، والمعلمات المسيحيات في المدرسة، وغيرهم من

المسيحيين، عبروا عن رفضهم لهذه الخطوة، وأعلنوا تضامنهم مع المسلمين².

كما حاولت مدرسة شميدت³ (الألمانية) أن تمنع الطالبات من ارتداء الحجاب، أما المستشفى

الفرنسي⁴ فإن إدارته الفرنسية لا تقبل إطلاقاً تعيين مسلمات محجبات، رغم أن المسيحيات اللواتي يعملن فيه

يرتدين الحجاب. وقد كان موقف العقلاء من المسيحيين أنهم اعتبروا ذلك مخالف للحرية الدينية، ومن بين

هؤلاء الدكتور حنا عيسى، رئيس الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات³.

¹ مرجع سابق، شهيد، ذكريات من القدس، ص32.

² مرجع سابق، بكيرات، مقابلة خاصة.

³ هي مدرسة ألمانية كاثوليكية للبنات، تأسست في القدس الشرقية عام 1886، تضم رياض الأطفال والمراحل الثلاث: الابتدائية والمتوسطة والثانوية، يدرس فيها الطالبات المسيحيات والمسلمات، لما لها من سمعة عالية بين المسيحيين والمسلمين؛ بسبب التسامح الذي تبديه في المسائل الدينية. (موقع مدرسة شميدت على الانترنت: <http://www.schmidtschule.org>)

⁴ يطلق عليه أيضاً مستشفى القديس لويس، بني عام 1880م، ويقع شمالي المدينة القديمة، وعلى بضع خطوات من السور عند الباب الجديد، تمده الحكومة الفرنسية بالمال. (مرجع سابق، عرابي، الكافي في تاريخ القدس "دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر"، ص631).

³ مرجع سابق، عمرو، مقابلة خاصة.

على ما يبدو أن هذه القرارات نابعة من رؤية غربية، وسواء كانت هذه المؤسسات المسيحية، تابعة بالكلية لدول أجنبية، أو تحظى بتمويل أجنبي، فليس مقبولا التسليم لهذه الضغوط أو القرارات، البعيدة عن قيم المجتمع الفلسطيني.

لقد رأينا أن المسلمين والمسيحيين درسوا وعملوا معا في مؤسسات بعضهم البعض، فلا يليق أن يتم حرمان طالبة من التعليم؛ لأنها ترتدي الحجاب، أو منع توظيف سيدة مسلمة في مؤسسة مسيحية.

أما مواقف المسيحيين، ومنهم الدكتور حنا عيسى، فهي مواقف مقدرة، ولكن المطلوب هو إعلاء هذه الأصوات؛ لإيقاف أي ممارسة يمكن أن تسيء إلى التسامح الإسلامي المسيحي.

أما باقي المؤسسات فالأمور أفضل، فمثلا بيت الشرق يجمع المسيحيين والمسلمين، والمستشفى الألماني[•]، وربما 95% من مرضى المستشفى من المسلمين¹.

• هو من أكبر المستشفيات في القدس، يقع عند مفترق الطرق المؤدي إلى باب العامود. بني عام 1894م، ويسميه أهل القدس: مستشفى المجيدي؛ ذلك لأن كل مريض يدخله كان عليه أن يدفع رايالا مجيديا عثمانيا. أغلق في الحربين العالميتين، الأولى والثانية. ففي الحرب الأولى استعمله الإنجليز مستشفى لجنودهم، وفي الحرب العالمية الثانية ثكنة عسكرية لجنودهم. (مرجع سابق، عربي، الكافي في تاريخ القدس "دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر"، ص632).

¹ مرجع سابق، عمرو، مقابلة خاصة.

ثانيا: الحياة الثقافية:

كان أهل القدس يلتقون لقراءة الكتب في الحدائق العامة، فعل ذلك خليل السكاكيني ومعروف الرصافي في حديقة البلدية¹، ويلتقون للاستماع للغناء العربي في المقاهي، كما كان يفعل واصف جوهرية مع فخري عاصم، وتحسين الخالدي، وداود الفتياي، وعبد القادر العلمي، ومصطفى السرية في مقهى الجوهريّة².

ونظرا لكون المقاهي بعيدة عن العيون إلى حد ما فقد فتح المجال أمام رجال السياسة والفكر ممن وجدوا الوضع مناسباً لارتداد المقاهي دون مواعيد مسبقة واتخاذها كمحطات استراحة حينما تدعو الحاجة إلى ذلك³.

وقد عقدت في قهوة المخترار (المعروفة بمقهى الصعاليك فيما بعد) التي كان يملكها عيسى الطبة، اجتماعات أدبية دورية عرفت بـ "حلقة الأربعاء" ومن جملة من كانوا يحضرون هذه الحلقة إضافة إلى خليل السكاكيني، عادل جبر، وإسعاف النشاشيبي، وعيسى العيسى (محرر صحيفة ألف باء)، وداود العيسى (صاحب صحيفة فلسطين)، وإسحق موسى الحسيني، ونحلة زريق، ومن خارج فلسطين أحمد زكي، و خليل مطران⁴.

وكانت تلك اللقاءات تناقش فنون الأدب العربي، فقد كان نخلة زريق (مسيحي)، صديقا حميما لآل الحسيني، فكان حسين الحسيني يزوره مع كامل الحسيني (مفتي القدس آنذاك)، ويبحثوا معا في اللغة والشعر، ثم

¹ مرجع سابق، المهتدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص140.

² مرجع سابق، نصار و تماري، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهريّة (1914-1948م)، ص328.

³ تماري، سليم، مقهى الصعاليك وإمارة البطالة المقدسية، حوليات القدس، ع2، (القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2004م)، ص34.

⁴ المرجع السابق، تماري، ص39-40.

يعني لهم واصف جوهريّة بعض الموشحات¹. وكان عادل جبر (مسلم) يزور خليل السكاكيني (مسيحي) فيبحثون النحو والصرف والبيان، ويتدارسان فنون الشعر وأحوال الشعراء، خلال مطالعة الكتب².

دور الجمعيات الثقافية في تعزيز التعايش السلمي:

كانت المؤسسات الثقافية تؤدي دورا تثقيفيا وتوعويا، فتعمل على استضافة الكتاب والمثقفين والمفكرين من القدس وغيرها، ففي 22 كانون ثاني (يناير) 1936م استضافت جمعية الشبان المسيحية الكاتب المصري أحمد أمين، فألقى محاضرة بعنوان "الإسلام كعامل في الحضارة"، حضرها مسلمون ومسيحيون³. كما استضافت عام 1942م خليل طوطح، وكان موضوع اللقاء "مشاكل في التربية"، وكان السكاكيني مقدم اللقاء⁴.

الصحافة في بيت المقدس:

تعد الصحافة جزء من الحياة الثقافية، وقد كانت الصحافة المقدسية، منبرا ينشر من خلالها المسلمون والمسيحون مواقفهم الوطنية، ويحذرون من المخططات الرامية لسلب الحقوق العربية. ولتحقيق هذا الهدف السامي، تأسست في القدس العديد من الصحف والمجلات، التي وحدت أقلام الكتاب المسلمين والمسيحين، لتوعية الرأي العام، وكشف حقيقة النوايا البريطانية والصهيونية، وحث العرب على ضرورة مواصلة النضال للتصدي على كيانهم ووجودهم ومقدساتهم.

¹ مرجع سابق، تماري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة (1917-1904م)، ص247.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأمّلات، 2009، الكتاب السابع، ص135.

³ المرجع السابق، السكاكيني، 2006، الكتاب السادس، ج3، ص202-203.

⁴ المرجع السابق، السكاكيني، 2010م، الكتاب الثامن، ص44.

ومن هذه الصحف والمجلات، مجلة "المنهل"، التي تأسست عام 1913م، وهي مجلة أدبية وتاريخية واجتماعية كانت تصدر شهريا، استقطبت الكتاب المسلمين والمسيحيين، منهم: علي الريمائي، وإسعاف النشاشيبي، وحبيب خوري، وخلييل السكاكيني، وعارف العارف¹، وغيرهم¹.

وصدرت عام 1919م صحيفة "بيت المقدس"، وكان صاحب امتيازها بندلي إلياس مشحور (مسيحي)، ورئيس إدارتها حسن صدقي الدجاني (مسلم)، لكن الحكومة أوقفتها عن الصدور بعد صدور عددین منها فقط².

وفي عام 1933م تأسست صحيفة "اللواء"، وهي صحيفة يومية سياسية، صاحبها جمال الحسيني، وقد أشرف إميل الغوري على تحريرها ثم خيرى حماد³.

وتأسست مجلة "الشباب" عام 1934م، وكان صاحبها ورئيسا تحريرها إميل الغوري، ومُجدّ تحسين كمال⁴.

• عارف شحادة العارف (1892-1973م)، ولد في القدس، درس الأدب في جامعة استانبول فحصل على شهادته الجامعية عام 1913م، حارب في صفوف الجيش العثماني في القفقاس، فاعتقل في إحدى المعارك، وأمضى ثلاثة أعوام في الأسر في سيبيريا، عاد إلى الوطن فشارك في الثورة ضد بريطانيا، وتولى مناصب حكومية في حكومة شرق الأردن. من مؤلفاته: المفصل في تاريخ القدس، وتاريخ الحرم القدسي، والمسيحية في القدس، وغيرها. (تماري، سليم، مع ناقة الله في سيبيريا: عارف العارف في الأسر الروسي خلال الحرب العالمية الأولى، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع76، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2008م، ص111-112؛ صالح وآخرون، محسن، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 1431هـ/2010م، ص98-109).

¹ الدلو، جواد، دراسات في الصحافة الفلسطينية، (غزة: مكتبة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ/2000م)، ص24.

² مرجع سابق، المهدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص184.

³ الشورة، صالح، مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطاني (1917-1948م)، (عمان، دار كنوز المعرفة، ط1، 2009م)، ص251.

⁴ المرجع السابق، الشورة، ص251.

أما مجلة الهدف فهي مجلة اجتماعية، صدر العدد الأول منها في 21 تشرين ثاني (يناير) 1945م، واستمرت في الصدور لبضعة أشهر، صاحب الامتياز والمحرر المسؤول جابي ديب، ووكيل رئيس التحرير علي الدجاني¹.

وأسس حازم نسيبة عام 1948 مجلة أدبية اسمها "المنتدى"، واستكتب فيها كبار الكتاب والأدباء، منهم: إسعاف النشاشيبي، و خليل السكاكيني، وإسحق الحسيني، وإسكندر الخوري البيتجالي، وعلي الدجاني، وغيرهم².

وكان كتاب الصحف يكتبون عن بعضهم البعض، فكتب السكاكيني بتكليف من صاحب صحيفة "الوحدة" إسحق عبد السلام الحسيني، مقالا عن عادل جبر؛ لينشر في عدد مميز للصحيفة³.

كما عمل المسلمون والمسيحيون في إذاعة القدس⁴، فكان منهم: إبراهيم عبد العال، ومُجَّد عيطة، واسكندر الفلاس، ويحيى السعودى، ورامز الزاغة، وكاظم السباسي، وميلاد فرح، وتوفيق جوهريّة، وآرتين سانتورجي⁴.

¹ يهوشع، يعقوب، تاريخ الصحافة العربية الفلسطينية في نهاية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين 1930-1948م، (شفا عمرو، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، القدس، معهد هاري ترومان للأبحاث الجامعية العبرية، 1983م)، ص59.

² مرجع سابق، نسيبة، ذكريات مقدسية "سيرة ذاتية"، ص124.

• تأسست عام 1945م في القدس، صاحب امتيازها إسحق عبد السلام الحسيني. (مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأمّلات، 2010م، الكتاب الثامن، ص163).

³ المرجع السابق، السكاكيني، الكتاب الثامن، 2010م، ص179.

• انطلقت إذاعة القدس عام 1936م بعد عامين من فقط من إنشاء أول إذاعة عربية رسمية في القاهرة منتصف 1934م، وتأسست بثلاثة أقسام: إنجليزية وعربي وعبري. تولى رئاسة القسم العربي خلال عمرها القصير كلا من: إبراهيم طوقان، وعجاج نويهض، وعزمي النشاشيبي. (سحاب، إلياس، هنا القدس.. إذاعة فلسطين الانتدابية، حوليات القدس، ع2، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2004م، ص62-63).

⁴ مرجع سابق، نصار وتمازي، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهريّة (1948-1914م)، ص540.

ومن بين من عملوا في الإذاعة مسيحيين ولدوا خارج القدس، لكن العمل داخل القدس وفي إذاعتها هو الذي جمعهم، فكان من أشهر مذييعها: راجي صهيون (مسيحي ولد في حيفا)، وعلي مراد، وعقيل هاشم¹.

ومما ميز علاقة المسلمين والمسيحيين، أن كل طرف كان يؤثر أخيه من الديانة الأخرى على نفسه، ففي عام 1936م، عرضت الحكومة البريطانية على خليل السكاكيني منصب مدير القسم العربي في إذاعة القدس، فنصحهم أن يبحثوا عن شخص مسلم ورشح لهم عادل جبر، وبعد اصرار قبل المشاركة، فلما وجد عادل جبر ورفيق التميمي، عزم على الانسحاب من المقابلة، معللاً ذلك بقوله: "أجل نفسي أن أزاحم أحداً على مورد عيش ولو سدت كل الأبواب في وجهي، بل إني أفضل أن أموت جوعاً من أن أنتزع لقمة من فم أحد..."².

وتجلت وطنية السكاكيني وحبه لوطنه خلال عمله في الإذاعة، فقد انسحب من العمل، عندما كان اسم فلسطين يترجم في الإذاعة بأرض (إسرائيل)، وعلى إثر ذلك القرار أعلنت الحكومة أنها منعت اليهود من ذكر تلك التسمية³.

وقد استمرت هذه العلاقة في الوقت الحاضر، وذلك خلال عمل المسلمين والمسيحيين في صحيفة "القدس"، التي بدأت بالصدور عام 1908م في مدينة القدس.

¹ مرجع سابق، سحاب، هنا القدس.. إذاعة فلسطين الانتدابية، ص 64.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2006، الكتاب السادس، ج 3، ص 194-197.

³ المرجع السابق، السكاكيني، الكتاب السادس، 2006، ج 3، ص 230-232.

ويصف طبيعة هذه العلاقة، بقوله: "إنها علاقة قوية جدا، إبراهيم دعبس علمني في مدرسة المطران، وعلاقتنا المهنية مميزة، فبيننا احترام متبادل. وهناك مسيحيون آخرون في الصحيفة، منهم نبيل خوري رئيس قسم التصوير، ومساعدته عيسى توما، وعيسى حبيب، والكس حبيب، وبين الإخوة المسلمين والمسيحيين انسجام وتعاون لتقديم الحقيقة للقارئ"¹.

ويقول مُجد أبو خضير إنه يتناوب على كتابة "حديث القدس" كتاب مسلمون ومسيحيون في الصحيفة، من بينهم الكاتب المسيحي إبراهيم دعبس، الذي يشارك في هذه الزاوية بكتاباته، منذ أكثر من 25 عاما وحتى الآن، كما أن له مقال أسبوعي في الصحيفة².

¹ أبو خضير، مُجد، صحفي في صحيفة القدس منذ 1987م، مقابلة خاصة: الاثنين 22 حزيران (يونيو) 2015م.

² مرجع سابق، أبو خضير، مقابلة خاصة.

الفصل الثالث: التعايش السلمي السياسي بين المسلمين والمسيحيين

في بيت المقدس 1897-1994م

المبحث الأول: جهود مسلمي ومسيحيي بيت المقدس في التصدي للمشروع الصهيوني

1897-1947م

المبحث الثاني: جهود مسلمي ومسيحيي بيت المقدس في التصدي للاحتلال الإسرائيلي

1948-1994

المبحث الأول: جهود مسلمي ومسيحيي القدس في التصدي للمشروع الصهيوني 1897-1947م

يمكن تتبع جهود مسلمي ومسيحيي القدس في التصدي للمشروع الصهيوني 1897-1948م، من خلال ثلاثة مطالب، وهي: المواقف السياسية والدينية للدفاع عن عروبة فلسطين، والنضال الإسلامي المسيحي لمقاومة الخطر الصهيوني في القدس 1917-1935م، والنضال الإسلامي المسيحي لمقاومة الخطر الصهيوني في القدس 1936-1948م.

المطلب الأول: المواقف السياسية والدينية للدفاع عن عروبة فلسطين

بينما كانت الصلة بين الغالبية الإسلامية السنية والأقليات المسيحية المختلفة محدودة في بعض المناطق، فقد كان الوضع في القدس مختلفا للغاية. إذ كان من المستحيل تقريبا أن يتمتع الوجهاء المسلمون الذين أشغلوا وظائف محلية عن الاتصال بصورة منتظمة بالعرب المسيحيين، وقد كان ذلك بمثابة حجر زاوية في تنظيم العرب ضد البريطانيين والصهيونيين بعد الحرب العالمية الأولى¹.

المحاولات البريطانية لتمرير وعد بلفور:

مارست بريطانيا ضغوطا على المثقفين العرب؛ للتطبيع مع الصهاينة، إذ كانت تعمل في فلسطين لجنة صهيونية بجانب الإدارة العسكرية البريطانية؛ لأجل تنظيم التدابير التي من شأنها أن تضع السياسة التي انطوى عليها وعد بلفور موضع التنفيذ. وفي شهر نيسان (أبريل) 1918م وصل إلى القدس وفد يمثل اللجنة الصهيونية في لندن برئاسة حاييم وايزمان².

¹ كمرلنغ، ومفدال، باروخ ويوتيل، الفلسطينيون صيرورة شعب، ترجمة: محمد حمزة غنيم، (رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2001م)، ص 101.

² مرجع سابق، الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 10، القسم الثاني، في بيت المقدس 2، ص 230.

وأجبر الحاكم العسكري البريطاني في القدس الكولونيل رونالد ستورز، وجهاء المدينة من مسلمين ومسيحيين على الاجتماع باللجنة اليهودية الصهيونية¹، ومما جاء في تقرير الحاكم العسكري عن ذلك الاجتماع الذي عقد في نيسان (أبريل) 1918م: "المسيحيون والمسلمون لا يشعرون بأي طمأنينة بالنسبة لمستقبلهم. ولا يزالون يخشون أن يتم التعدي على حقوقهم في حالة تحقيق ما يتصورونه من الأمان الصهيونية، هم يندفعون الآن إلى تأسيس الجمعيات للسهر على مصالحهم..."².

والسؤال المهم هنا: مادامت الصهيونية قادرة على فعل ما تريد بالتواطؤ البريطاني والغربي أولاً، وبالقوة العسكرية ثانياً، فلماذا تريد أن تجلس مع العرب؟.

إن اللص على يقين بأنه ليس صاحب حق، حتى وإن ملك البلاد وتحكم بالعباد بقوة السلاح، إنها تريد التطبيع مع العرب؛ لانتاج عربي يقبل بفكرة تقاسم الأرض، والتعايش مع الصهيونية، التي ستصبح عما قريب أمراً واقعاً، سيما أنها تملك المال والسلاح، وتحظى بتأييد وتعاطف القوى الدولية، لذلك فلا طاقة للعرب بمعادتها وقتالها، وهذه السياسة ذاتها، التي تحاول الصهيونية تطبيقها في الوقت الحاضر مع العرب والمسلمين؛ لفتح العواصم والأسواق العربية والإسلامية أمام السفارات والبضائع الصهيونية.

لم تنجح الضغوطات البريطانية والإجراءات الصهيونية في تمهيد الطريق للمشروع الصهيوني، فقد كان المثقفون العرب يواجهون تلك المخططات بشتى الوسائل، ومن ضمنها الفن الذي أكدوا من خلاله على عروبة

¹ أبو علي، عبد الفتاح، القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، (الرياض، دار المريخ، 1421هـ/2000م)، ص139.

² مرجع سابق، الدباغ، بلادنا فلسطين، ج10، القسم الثاني، في بيت المقدس، ص232.

فلسطين، ففي الشهر ذاته قام فريق من أدباء القدس بتمثيل رواية "فتاة عدنان وشهادة العرب"، في المدرسة الرشيدية، ووضعت خريطة كبيرة لفلسطين، كتب عليها: "هذه يا قوم فلسطين مقبرة أجداد العرب العظام"¹.

تأسيس الجمعية الإسلامية المسيحية في بيت المقدس:

ردا على تلك المحاولات البريطانية، التي سعت بقوة للتطبيع بين العرب واليهود من جهة، وزرع بذور الفتنة والشقاق بين المسلمين والمسيحيين من جهة أخرى، تم تأسيس الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس عام 1918م².

كانت الأهداف الخفية للجمعية الإسلامية في القدس والمدن الأخرى، هي: التعبير عن معارضة شعبية للحركة الصهيونية³، والحيلولة بجميع الوسائل الممكنة، دون شراء اليهود للأراضي⁴، أما الأهداف المعلنة فهي: المحافظة على حقوق أبناء الوطن المادية والأدبية وترقية شؤون الوطن الزراعية والاقتصادية والتجارية وإحياء العلم وتهذيب الناشئة الوطنية⁵.

ويعتبر تشكيل الجمعيات الإسلامية المسيحية إحدى الظواهر المهمة التي برزت مع بداية النهضة القومية العربية الفلسطينية، فهي ظاهرة جديدة ومعاكسة لمقولة انعزال المسيحيين عن الحياة العامة⁶.

وهنا ظهر التآخي بين المسلمين والمسيحيين، وذلك من خلال مشاركة الطرفين في المؤتمر العربي الفلسطيني، الذي عقد سبع دورات بين عامي 1919 و 1928م، كان ثلاثة منها في مدينة القدس، وهي

¹ المرجع السابق، الدباغ، ص 230.

² مرجع سابق، السائح، فلسطين لا صلاة تحت الحراب، مذكرات الشيخ عبد الحميد السائح، ص 31.

³ مرجع سابق، حمودي، مفهوم القيادة السياسية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (قيادة الحاج أمين الحسيني)، ص 110-111.

⁴ مرجع سابق، الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 98.

⁵ مرجع سابق، حمودي، مفهوم القيادة السياسية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (قيادة الحاج أمين الحسيني)، ص 111.

⁶ Y. porath, p. 293.

الأول عام 1919م، والرابع عام 1921م، والسابع عام 1928م¹. والمؤتمر العربي هو مؤسسة وطنية تشبه المجالس النيابية في بلد حرم أبناؤه العرب من ممارسة حقهم الانتخابي. وكان اختيار المندوبين لدورات المؤتمر يتم من خلال الجمعيات الإسلامية المسيحية والهيئات الأخرى؛ أو بعرائض انتخابية تقدمها المؤسسات والمدن والقرى الفلسطينية².

موقف العرب من سياسة التحيز البريطاني للصهيونية:

بناء على قرار الانتداب الذي صدر في 20 نيسان (ابريل) 1920م عن مؤتمر سان ريمو عينت الحكومة البريطانية هربرت صموئيل³ مندوبا ساميا على فلسطين³، وكان التحيز في عهده على أشده لليهود، فتم تزويد اليهود بالسلح وتدريبهم على استخدامه، بينما منع العرب من ذلك، وفتح باب الهجرة لليهود، فدخل فلسطين في خمس سنوات (من 1920-1925م) خمسون ألف يهودي، فأصبحوا مائة ألف، واختار معظمهم الإقامة في بيت المقدس. كما سمح لليهود بشراء الأراضي، فتضاعفت ممتلكاتهم، وأصبحت بنسبة 6% من مجموع أراضي فلسطين، وزادت مساحة الأراضي التي تملكوها في القدس⁴.

وردا على تعيين صموئيل وسياسته المعادية للعرب استقال خليل السكاكيني من إدارة دار المعلمين⁵. وعلى إثر تلك السياسة عقد في القدس مؤتمر كبير، في 25 حزيران (يونيو) 1921م، وقرر المؤتمر رفض

¹ مرجع سابق، كفاي، القدس عبر العصور، ص310.

² مرجع سابق، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ج4، ص368.

³ ولد سنة 1870، نشأ وسط عائلة متمسكة بالتقاليد اليهودية، يعود أصلها إلى اليهود الأشكناز، التي استقرت في إنجلترا بعد هجرتها من ألمانيا سنة 1775م. يرى بعض الباحثين أن أفكار هربرت صموئيل حول الصهيونية قد تبلورت قبل عام 1914، أي قبل لقائه الزعيم الصهيوني حليم وايزمان. (الزعي، أمجد، هربرت صموئيل، ص11-14).

³ Palestine Papers: 1917-1922, comp. and Annotated by Doreen Ingrams (London: John Murray, 1972), pp. 187-188.

⁴ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص143-144.

⁵ نشابه، هشام، الكلية العربية في القدس، دراسات فلسطينية، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988م)، ص139.

الانتداب وإلغاء وعد بلفور، وطالبوا باستقلال فلسطين، وأقاموا حكم نيابي ديمقراطي فيها على أن تتحد مع البلاد العربية الأخرى. وسافر وفد منهم إلى أوروبا، لكنه وجد كل الأبواب مغلقة¹.

وبعد هربت صموئيل جاء الفيلد مارشال بارون بلومر^{*}، وفي عهده اشتد الخلاف بين المسلمين واليهود على حائط البراق في شهر أيلول (سبتمبر) 1925م، إذ ادعى اليهود أن من حقهم جلب الكراسي والمقاعد والستائر، وعارضهم المسلمون، فالمكان وقف إسلامي، وكاد الخلاف يؤدي إلى القتال، لولا أن تدخلت الحكومة، وأصدرت قراراً تؤيد فيه الوضع القائم، وتحظر على اليهود جلب أي شيء إلى البراق².

دور المسلمين والمسيحيين في الحفاظ على الأرض العربية:

لجأت الحكومة البريطانية إلى سياسة ضرب العرب اقتصادياً وافقارهم؛ لإجبارهم على التنازل عن أراضيهم وأملاكهم وبيعها لليهود، فعمدت إلى زيادة الضرائب والرسوم تدريجياً حتى غدت عام 1934م تزيد بنسبة (32%) على مثيلاتها في البلاد العربية وإيران وتركيا واليونان. وفي مطلع العام 1935م زادت بنسبة تصل إلى (102%) عن الضرائب والرسوم المفروضة على أقطار الشرق الأدنى³.

¹ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص144.

^{*} عين في الأول من آب (أغسطس) عام 1925م. لم يختلط بالشعب، وكان همه الوحيد توطئة الأمن والنظام في البلاد. فأدارها إدارة عسكرية أكثر مما هي مدنية. وأكثر من توظيف الانجليز في مختلف مصالح الحكومة. وطفى سيل الهجرة على عهده، وحصل اليهود على امتياز لاستغلال البحر الميت. (المرجع السابق، العارف، ص147).

² المرجع السابق، العارف، ص147.

³ مرجع سابق، الغوري، ج2، 1973م، ص30-31.

وللتصدي لهذا الخطر بدأت تتوالى الدعوات للحفاظ على الأرض العربية، فأصدر المنتدى الأدبي بياناً في أيار (مايو) 1919 يذكر فيه العرب بقدسية أرضهم، ويجذرهم من التفريط فيها، رغم كل الاغراءات المادية¹.

ولم تكن الجهود السياسية بمعزل عن الخلفية الدينية للقضية الفلسطينية، فقد استحضر المسلمون والمسيحيون قدسية هذه الأرض ومكانتها في الديانتين، ولذلك نجد بروز دور العلماء المسلمين ورجال الدين المسيحي، في التصدي لخطر تسرب الأرض العربية لليهود.

ومن بين القيادات الدينية المسيحية، مطران الروم الكاثوليك غريغوريوس حجار، الذي قال في خطاب ألقاه أمام الشريف حسين عام 1924م: "نحن نصارى فلسطين عرب، نتمسك بأرضنا وندافع عنها، ونحن سكان الأرض الأصليين، وقد عشنا مع إخواننا المسلمين طيلة قرون بأمانة ومحبة، ونريد أن نكمل هذه الحياة معنا لنجاهد ضد المؤامرات التي تحاك على وطننا. لقد كان إسلامكم من أيام عمر بن الخطاب يعاملوننا معاملة الأخ لأخيه، ولا نريد أن يتغير شيء فيها"².

ثم انتقلت هذه الدعوات لتصبح اجماعاً دينياً ووطنياً، ففي 7 من آب (أغسطس) 1934م، اجتمع نحو 400 من علماء الشريعة في فلسطين، من قضاة ومفتين وخطباء وأئمة ووعاظ ومدرسين، بدعوة من الحاج أمين الحسيني، في مؤتمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي عقد في القدس³.

¹ مرجع سابق، المهتدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص181.

² مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص130.

³ صحيفة الفتح، م19، ع 431، 1353هـ (1935م)، ص15. (صحيفة مصرية إسلامية كانت تصدر أسبوعياً في الفترة ما بين 1926-1947).

وخلص المؤتمر إلى أن من باع الأرض لليهود في فلسطين، سواء كان ذلك مباشرة أو بالواسطة بأي شكل كان، فلا ينبغي أن يصلّى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويجب نبذه ومقاطعته واحتقار شأنه وعدم التودد إليه والتقرب منه¹.

وفي 29 من الشهر والعام ذاته (1934م) عقد في القدس مؤتمر "الكهنة الأرثوذكس العرب في فلسطين"، فقرر وجوب مقاومة بيع الأراضي ومناهضة مساعي اليهود للاستيلاء عليها، واعتبر كل مسيحي يبيع أرضاً لليهود أو يسمسرها لحسابهم، خائناً لا تجوز الصلاة عليه ولا دفنه في مقابر المسيحيين. وقوبلت قرارات ذلك المؤتمر بترحيب شديد من المسيحيين والمسلمين².

ويرى الباحث أن مجموع هذه التصريحات والإجراءات من المسلمين والمسيحيين؛ للحفاظ على الأرض العربية، وما صاحبها من حرص من عامة الناس على أراضيهم، ورفض كافة وسائل الترغيب والترهيب، التي مارستها الصهيونية، حقيقة دامغة على أن الفلسطيني لم يفرط بأرضه مطلقاً، وأن كل ما كان يشاع عن بيع الفلسطيني لأرضه، هي محض افتراءات، روجت لها الحركة الصهيونية.

¹ الحوت، بيان، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939م، (من أوراق أكرم زعيتر)، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، 1984م)، ص389.

² مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص130؛ الغوري، إميل، فلسطين عبر ستين عاماً، ص33-34.

المطلب الثاني: النضال الإسلامي المسيحي لمقاومة الخطر الصهيوني في بيت المقدس 1917-1935م

عندما استمرت السياسة البريطانية، لتطبيق وعد بلفور، وازدادت الاعتداءات الصهيونية على

المقدسات، قرر المسلمون والمسيحيون أن يخوضوا الثورة الشعبية؛ للحفاظ على مقدساتهم وكيانهم¹.

مظاهرات عام 1919م:

مع اقتراب وصول لجنة كنج- كرين إلى فلسطين لاستفتاء الشعب حول مطالبهم، أذاعت الجمعية الإسلامية المسيحية في الأسبوع الأول من شهر آذار (مارس) عام 1919م في مدينة القدس بياناً بالمطالب الوطنية، ضمنته احتجاجها على وعد بلفور واستمرار الاحتلال البريطاني، ودعت إلى قيام مظاهرات سلمية في جميع أنحاء البلاد؛ للإعراب عن تمسك الشعب بمطالبه وعروبة وطنه².

واستجابة لذلك النداء، اجتمع المسلمون في ساحة المسجد الأقصى المبارك، وبعد خروجهم انضم إليهم المسيحيون، فطافت المظاهرة شوارع القدس الرئيسية، وشارك فيها عدد من طلبة مدرسة المطران، وكلية روضة المعارف الوطنية، والمدرسة الرشيدية، ومدرسة الفرير، والكلية الإنجليزية، ومدرسة صهيون، وانضم الطلاب إلى حلقات الأهازيج الشعبية والأناشيد الوطنية التي كانت تتقدم المتظاهرين³.

كانت القنصليات الإيطالية والبلجيكية والإسبانية تقع في أواسط الأحياء اليهودية، وكان جميع سكانها يهود، فاخترقت المظاهرة شوارع تلك الأحياء دون أن يتعرض لها أحد من اليهود، وبعد تقديم المذكرات التي حملت مطالب البلاد إلى القنصليات الأجنبية في المدينة، وهي: الفرنسية، والأمريكية، والإيطالية، والإسبانية،

¹ مرجع سابق، الكيال، تاريخ فلسطين الحديث، ص 105.

² مرجع سابق، المهدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص 185.

³ مرجع سابق، الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، 1972م، ج 1، ص 39-40.

والبليجكية، سارت المظاهرة عبر حي المصرة، حتى ساحة باب العمود، حيث تفرقت بعد كلمة ألقاها موسى الحسيني¹.

وشكل الطلاب لجنة سرية؛ لتوعية الطلاب بالأهداف الصهيونية، وحشدهم في أيام المظاهرات، وإعدادهم للمساهمة في الحركة الوطنية، وتكونت من عشرة طلاب، طالبان عن كل من مدارس: المطران، والروضة، والرشيديّة، وصهيون، وكلية الشباب، وكان عضوا هذه اللجنة السرية من طلبة مدرسة المطران هما: داوود الحسيني، وإميل الغوري².

وشارك طلاب معهد "دار المعلمين" في الإضراب، فتعطلت الدراسة، وتضامن الأساتذة معهم، وكان مدير الدار آنذاك خليل طوطح، أما الأساتذة فكان منهم: درويش المقدادي، وجلال زريق، وحبيب الخوري، وجورج معمر³.

وفي نيسان (أبريل) 1919م، دعت الجمعية الإسلامية المسيحية إلى مظاهرة أخرى، وفي هذه المظاهرة تجلّت متانة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، ففي اليوم المحدد احتشد المسلمون والمسيحيون في ساحة المسجد الأقصى، ثم خرجوا في مظاهرة أضخم من الأولى، طافت عددا من الشوارع، وتحدث فيها خليل بيدس، ومحمود عزيز الخالدي، وعبد الفتاح درويش، وألقى الشاعر العراقي معروف الرصافي قصيدة، واختتمت بكلمة ألقاها موسى كاظم الحسيني⁴.

¹ المرجع السابق، الغوري، ص39-40.

² المرجع السابق، الغوري، ص41.

³ مرجع سابق، نشابه، الكلية العربية في القدس، ص139.

⁴ مرجع سابق، الغوري، فلسطين عبر ستين عاما، 1972م، ج1، ص41-42.

في هذه المرحلة امتزج النضال الشعبي بالعمل السياسي، فقد بعث النادي العربي رسالة بتاريخ 4 (أكتوبر) 1919م برقية إلى الأمير فيصل بن الحسين في دمشق تؤكد تمسك عرب فلسطين بالمطالب الوطنية، جاء فيها: "فإننا نؤكد مطالبنا التي قدمناها للجنة الأمريكية (لجنة كنج كرين)، ولا نقبل التجزئة والانفصال عن سوريا ولا الهجرة الصهيونية كيفما كانت الحال، ونحتج على طلب اليهود بأن تكون لغتهم رسمية كلغة البلاد"¹.

كما بعثت الجمعية الإسلامية المسيحية، مذكرة إلى معتمدي الدول والحاكم العسكري في القدس بتاريخ 24 آذار (مارس) 1919م، تطالب أن يكون لفلسطين حكومة دستورية مستقلة استقلالاً داخلياً تتأسس على اختيار الأهالي الوطنيين، وتسند لنفسها قوانين خاصة بما وفقاً لرغبات سكانها، كما تطالب بوقف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين².

وفي مذكرة أرسلتها إلى الحاكم العسكري البريطاني بالقدس أعلنت الجمعية الإسلامية المسيحية، كغيرها من المؤسسات الفلسطينية، رفض فكرة الوطن القومي اليهودي وفصل فلسطين عن سورية، وجاء في المذكرة: "نطلب عدم فصل فلسطين عن سورية بحال من الأحوال، ونطلب أيضاً أن تقوم الدولة المنتدبة في سوريا وفلسطين بالمساعدة فعلاً فترفض السماح بصيرورة فلسطين وطناً قومياً لليهود"³.

¹ مرجع سابق، المهدي، القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920م)، ص 180-181.

² مرجع سابق، الحوت، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939م، (من أوراق أكرم زعبيتر)، ص 22.

³ موقع شبكة الحامين العرب على الانترنت: <http://www.mohamoon.net>

لجنة كنف كرين:

وصلت لجنة كنف كرين إلى فلسطين في 10 حزيران (يونيو) 1919م، وهي لجنة أمريكية بعث بها مجلس الحلفاء الأعلى؛ لاستفتاء السكان حول موقفهم من الانتداب البريطاني ووعده بلفور. وكانت نتيجة الاستفتاء، أن اتفق المسلمون والمسيحيون على مقاومة الحركة الصهيونية، فرفضوا الانتداب البريطاني، وطلبوا إلغاء وعد بلفور، كما طلبوا الاستقلال التام ضمن الوحدة السورية¹.

أيدت اللجنة مخاوف العرب، فقد اقتنعت من أحاديثها مع ممثلي اليهود أن الصهيونيين يتوقعون أن يعملوا على إجلاء السكان غير اليهود عن فلسطين. وأوصت اللجنة في ختام تقريرها بتحديد الهجرة إلى فلسطين. والعدول عن الخطة التي ترمي إلى جعل فلسطين دولة يهودية. وكان موقف بريطانيا وفرنسا حيال تلك اللجنة موقفا عدائيا².

يتضح مما سبق أن التراجع الغربي لم يكن صحوة ضمير، بل إن الصمود الإسلامي المسيحي أجبر الدول الغربية على تعديل مواقفها، المتعلقة بالهجرة الصهيونية، والنظر إلى فلسطين باعتبارها دولة يهودية.

وقد كان ذلك نتيجة أمرين مهمين، تفاعلا مع بعضهما البعض، وكمل كل منهما الآخر، هما: الضغط الشعبي، المتمثل في المظاهرات، والحراك السياسي، الذي تمثل في مذكرات الاحتجاج للقنصليات الأجنبية، وكذلك البيانات الوطنية، التي وضحت الحقوق العربية.

¹ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص141-142.

² المرجع السابق، العارف، ص142.

إن التجربة مع الاستعمار الغربي والحركة الصهيونية واحدة لم تتبدل، وهي أنهم لا يستمعون للدول التي تقع في نطاق مخططاتهم، ومنها الدول العربية والإسلامية، فهم لا يهتمون إلا بمصالحهم، فكيف يجرون استفتاء، ويتراجعون عن مواقف تعتبر بالنسبة لهم قضايا استراتيجية؟.

السر في وحدة كافة مكونات المجتمع، مسلمين ومسيحيين، إسلاميين ووطنيين، شعبا وقيادة، أفرادا وأحزابا ومؤسسات، فإذا كان أي مجتمع كذلك، فلن يستطيع المعسكر الغربي الصهيوني، الذي ترأسه أمريكا في هذه المرحلة من التاريخ، أن يملي إرادته على الشعوب.

وأرسلت اللجنة رسالة في 20 حزيران (يونيو) 1919 إلى ويلسون قالت فيها: "إن عرب فلسطين من مسلمين ومسيحيين متحدون في جبهة واحدة في معارضة واحدة لا تقبل جدلا وتساؤلا ضد الهجرة اليهودية، وضد إنشاء الوطن القومي لليهود، كما جاء في وعد بلفور. والكل هنا من أمريكيان وإنجليز مقتنعون بأن سياسة بلفور لا يمكن أن تنفذ إلا بقوة السلاح"¹.

وكذلك كانوا متحدين بخصوص مقدساتهم، ففي تقرير اللجنة ذاتها بتاريخ 28 آب (أغسطس) 1919م ورد نص في تعليقها على حائط البراق جاء فيه: "ومن المستحيل أن يرضى المسلمون والمسيحيون بوضع الأماكن المقدسة تحت رعاية اليهود مهما حسنت مقاصد هؤلاء"².

ثورة موسم النبي موسى عام 1920م:

هرع المقدسيون يوم الأحد 4 نيسان (أبريل) 1920م حسب عاداتهم لاستقبال أهل الخليل الذين يزورون القدس في مثل ذلك اليوم من كل عام، قاصدين زيارة مقام النبي موسى. وشارك في الاستقبال أبناء

¹ مرجع سابق، الدباغ، بلادنا فلسطين، ج10، القسم الثاني، ص240-241.

² عناني، إبراهيم، القدس الشريف وماذا عن تل أبيب، (الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، 2002م)، ص112.

القدس، وقراها، وأبناء نابلس، والطوائف المسيحية المختلفة، ينادون بالوحدة العربية والاستقلال، ورفض الهجرة الصهيونية¹.

وفي ذلك العام تحول موسم النبي موسى إلى مواكب وطنية، ومظاهرات شعبية تعلن فيها مطالب البلاد، وبلغ من عمق المظهر الوطني أن المسيحيين شاركوا فيه²، وألقى خليل بيدس خطبة حماسية ناشد فيها الشعب ببذل الأرواح والمهج للدفاع عن فلسطين وصيانة عروبته وتحقيق حريتها واستقلالها³. ودعا العرب للإجهاد على وعد بلفور، فهجمت الجماهير على اليهود وقتلت عددا منهم⁴.

وكانت نتيجة تلك الاضطرابات مقتل (9) يهود و (4) عرب، وجرح (250) يهوديا و (21) عربيا. فأعلنت على إثره الأحكام العرفية. واعتقلت السلطة عددا من الزعماء والشبان، فزجتهم في السجون. وتألفت محكمة عسكرية بعدئذ حكمت عليهم بالسجن مددا تتراوح بين الشهر والخمسة أعوام. وكان نصيب عارف العارف وأمين الحسيني أن حكم عليهما أولا بالإعدام، ثم خفض الحكم إلى السجن عشر سنين⁵.

وهنا نلاحظ أن المسيحيين لم يجدوا غضاضة في أن يكون عنوان المقاومة للاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني، عنوان إسلامي، وهو هنا "موسم النبي موسى"، وبالتالي أن يشاركوا في المقاومة تحت امرة قيادات

¹ مرجع سابق، السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ج1، ص47.

² مرجع سابق، غوشة، الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، ص459.

³ محسن، عيسى، فلسطين وسماحة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني، (عمان، مطبعة الصخرة ط1، 1419هـ/1998م)، ص34.

⁴ صالح، جهاد، خليل بيدس..رائد القصة القصيرة الحديثة في فلسطين وأول سفير للأدب الروسي في الثقافة العربية، رام الله، المركز الفلسطيني

للدراستات والنشر والإعلام، ط1، 2005م، ص3.

⁵ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص142.

مسلمة، ويسطر هذا المفهوم الراقى إميل الغوري سكرتير النادي الأرثوذكسى، الذي كان على اتصال بالحاج أمين وعمل تحت قيادته¹.

مظاهرة عام 1925م:

في عهد المندوب السامى هيرت صموئيل، زادت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، فبعد أن كان اليهود يوم دخوله فلسطين (53,000)، أصبحوا عند خروجه منها (103,000)، كما زادت الأراضي التي تملكها اليهود، فبيع لليهود على عهده مئتي ألف دونم من أراضي مرج ابن عامر في الفترة ما بين 1921-1925م، فأخليت (21) قرية عربية من سكانها العرب، من مجموع القرى التي كانت هناك وعددها (22) قرية، فانطلقت المظاهرات القوية التي شارك فيها المسلمون والمسيحيون في طول البلاد وعرضها، سيما في مدينة القدس².

وعندما زار بلفور مدينة القدس؛ للمشاركة في افتتاح الجامعة العبرية عام 1925م، أراد زيارة المسجد الأقصى، فمنعه المسلمون والمسيحيون من دخول المسجد الأقصى، حتى أن خليل السكاكيني، ألقى خطابا حماسيا في ساحة المسجد الأقصى قال فيه: "إن على بلفور مغادرة فلسطين فوراً"³.

¹ مرجع سابق، الغوري، فلسطين عبر ستين عاما، ج1، 1972م، ص84.

² مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، 1999م، ج1، ص391.

³ مرجع سابق، جبارة، الحاج محمد أمين الحسيني دراسة في نشاطه الديني (1921-1937م)، ص109.

وتظاهرت سيدات مسلمات ومسيحات مقابل بيت المندوب السامي احتجاجا على الزيارة، منهن سيدة بثلاثة أغطية على وجهها من الخليل، وسيدة بغطاء واحد من القدس، وأخرى غير محجبة وهي مسيحية¹.



صورة رقم (14)

مظاهرة نسائية في بيت المقدس

(المصدر: قناة الجزيرة)

¹ عبد الهادي، مهدي، رئيس الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، فيلم النكبة، ج1، خيوط المؤامرة، قناة الجزيرة، 16 أيار (مايو) 2008م.

ثورة البراق عام 1929م:

في عهد السر جون تشانسيلور[•] تجدد الخلاف بين المسلمين واليهود بشأن حائط البراق، فأحضر اليهود في يوم (العفران) بعض الأدوات، فاعتبر الموظف المسؤول ذلك من المحدثات، ورفعها بالقوة، وتواجه المسلمون واليهود. وفي 1 تشرين الثاني (نوفمبر) 1928م، عقد المسلمون مؤتمرا إسلاميا في القدس، تقرر فيه الاحتجاج على أي محاولة تهدف إلى إيجاد أي حق لليهود في البراق. وعلى إثر ذلك أرسل وزير المستعمرات البريطانية لجنة تحقيق إلى القدس، فرفعت اللجنة تقريرها (الكتاب الأبيض)، وأوصت فيه بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن¹.

لم يقبل اليهود بما جاء في الكتاب الأبيض، فشرعوا بالضغط على الحكومة البريطانية، ونتيجة لتلك الضغوط أصدرت بريطانيا، بيانا في تشرين أول (أكتوبر) 1929م، يتضمن تراجعا عما ورد في الكتاب الأبيض، لكن تهديد العرب بالإضراب العام جعل الحكومة تجمد الوضع على حاله حتى يعاد تنظيم قوة الشرطة وحماية المستعمرات اليهودية التي كانت مكشوفة².

واحتجاجا على ذلك النكوص البريطاني، درست اللجنة التنفيذية العربية في اجتماعها يومي 12 و 13 تشرين أول (أكتوبر) 1929م اقتراحا بإغلاق المساجد والكنائس³.

[•] المندوب السامي الثالث، وقد استقال من منصبه في 31 من آب (أغسطس) عام 1931م، عقب إصدار رمزي مكدونالد بيانا ألغى فيه الكتاب الأبيض، ثم اعتقاد العرب أن النضال يجب أن يوجه ضد إنجلترا قبل اليهود. (مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص153).

¹ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص147-148.

² مرجع سابق، عناني، القدس الشريف وماذا عن تل أبيب، ص103.

³ المرجع السابق، عناني، ص103-104.

أما مسيرة النضال الحقيقي للمرأة الفلسطينية، فبدأت في هذا العام، وذلك بتأسيس الاتحاد النسائي العربي[•]، وقد كان له دور طليعي في نشر الوعي، والدعوة إلى تحصين فتيات فلسطين بالعلم والمعرفة، والخروج إلى العمل وصولاً إلى مهنة شريفة تمكنهن من أداء واجب العطاء لأسرهن وعائلاتهن ولرفع مستوى المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وعلمياً¹.

والملاحظ أن نشاط هذه الجمعية ركز على الجانب الخيري والاجتماعي، وقد ساهمت بقوة في دعم صمود الشعب الفلسطيني بعد عام 1948م، كما كان لها بعض النشاطات السياسية.

ولم يكن موقف المرأة العربية في القدس سلبياً في هذه المرحلة، إذ عقد اجتماع نسائي شاركت فيه مسلمات ومسيحات، منهم: ماتيل مغنم، وعنبرة الخالدي، وطرب عبدالهادي. وقد أسفر عن جملة قرارات، وعن انتخاب وفد منهن لمقابلة المندوب السامي الذي استقبلهن بحضور قرينته. ولما عاد الوفد النسائي الى بقية النساء انطلقت المظاهرة النسائية الضخمة في مائة سيارة تجوب شوارع القدس. وقد أثارت هذه المظاهرة النسائية في حينها حماساً شعبياً كبيراً، فقد كانت نقطة انطلاق للقطاع النسائي الذي كان منصرفاً للعمل الاجتماعي كي يبدأ العمل السياسي².

وبعد هذا الاجتماع عهد إلى اللجنة المنتخبة بأن تتماشى بجهودها مع اللجنة التنفيذية التي سبق وتألفت من الرجال، واعترفت بها الحكومة، فأصبحت تسمى اللجنة التنفيذية للسيدات العربيات، وبدأت

[•] انظر الوجود الإسلامي المسيحي في القدس.

¹ مرجع سابق، الاتحاد النسائي العربي.

² أبو الريش، رفعة، دور التاريخ، دور التاريخ الشفوي في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية، مركز بديل،

<http://www.badil.org/haq-alawda/item/199-article19>

بتنظيم الاحتجاجات، والمظاهرات، والمطالبة بالحقوق العربية. وقد اتخذ النساء قراراً مع القسم بمقاطعة المتاجر اليهودية مقاطعة تامة¹.

استمر مسلسل تجاهل العرب والاستجابة لمطالب اليهود، فحصل اليهود في حزيران (يونيو) 1929م، على امتياز لاستثمار البحر الميت، واستخراج البوتاسيوم وسائر الأملاح المعدنية فيه، والذي وقع الاتفاق وكلاء التاج في لندن بالنيابة عن حكومتي فلسطين وشرق الأردن، واثان من رجال الأعمال اليهود، هما: نوفومسكي وتولوخ، باسم "شركة البوتاس الفلسطينية". وازداد عدد المهاجرين إلى فلسطين بحجة وجود فرص العمل، ونشط اليهود في شراء الأراضي².

وعلى إثر ذلك اندلعت ثورة ضد الحكومة، وضد الوطن القومي اليهودي، في القدس وغيرها من مدن فلسطين، فاصطدم العرب واليهود حيث التقوا، فقتل (133) يهوديا، و (91) عربيا (87 مسلم و 4 مسيحيين)، وجرح (339) يهوديا، و (181) عربيا. وكانت أكثر إصابات العرب من الجنود والبوليس البريطانيين، ودمرت (6) مستعمرات يهودية تدميرا كاملا³.

لعل هذه هي المرة الأولى، أو على الأقل أول مرة يوثق فيها سقوط قتلى من المسيحيين، وهذا يعني أن القضية العربية واحدة، ومع أن حائط البراق، الذي اندلعت الثورة من أجله معلم إسلامي، إلا أن المسيحيين رجالا ونساء وقفوا مع إخوانهم المسلمين، فأفشلوا بذلك كل محاولة مباشرة أو غير مباشرة، هدفها الاستفراد بالمسلمين أو المسيحيين، فعندما يقدم المسيحي روحه، وهي أغلى ما يملك، من أجل المقدسات الإسلامية،

¹ المرجع السابق، أبو الريش، رفعة.

² مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص148.

³ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص148.

فإنه بذلك يقوي روابط الأخوة الإسلامية المسيحية، تماما كما فعل المسلمون في محطات سابقة من تاريخ بيت المقدس.

وقد بلغ عدد العرب الذين حكم عليهم في تلك الاضطرابات (792)، حكم على (20) منهم بالإعدام، مقابل (92) يهوديا، منهم واحد فقط حكم عليه بالإعدام واسمه (خانكيز)، وهو من رجال الشرطة الفلسطينية، وقد ثبتت عليه تهمة قتل العائلة العربية في أبو كبير ببيافا. وقد استأنف العرب أحكام الإعدام إلى مجلس الملك الخاص في لندن، فأبدل حكم الإعدام بالسجن المؤبد على المحكوم عليهم، ماعدا ثلاثة منهم¹، هم: فؤاد حسن حجازي، ومُحَمَّد خليل جمجوم، وأحمد عطا الزير².

انتفاضة عام 1930م:

بعد تشانسلور جاء السر آرثر واكهبوب، ولما جاء إلى القدس في أول أيلول (سبتمبر) 1930، رأى بلادا على جمر الثورات والقلاقل، وشعبا مثقلا بالضرائب، واستياء يشمل جميع الطبقات، فأبدى اهتماما بالفلاحين، فخفض عنهم الضرائب وأمدهم بالقروض الزراعية، وفي الوقت عينه سمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، فدخلها في السنوات الخمس التي قضاها في فلسطين مائتان وخمسون ألفا، وعلى عهده نشط اليهود في شراء الأراضي³.

واحتجاجا على تلك السياسة عقد المؤتمر الإسلامي الثاني للدفاع عن البراق، في 7 كانون الأول (ديسمبر) 1931م، في رحاب المسجد الأقصى، فحضره عدد كبير من مسلمي: فلسطين والأردن، وسوريا،

¹ مرجع سابق، السفري، ص 127-128.

² بويصير، صالح، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، (لام)، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية (دار بويصير)، ط1، 1987م، وزارة الثقافة، ط2، (2001م)، ص158.

³ العارف، عارف، تاريخ القدس، (القاهرة، دار المعارف، ط2، لا.ت)، ص153.

ولبنان، واليمن، والعراق، ومصر، والحجاز، وتونس، وبرقة، وفارس، والجزائر، والمغرب الأقصى، وتركيا، وتركستان الصينية، والهند، والقفقاس، ويوغسلافيا، ونيجيريا، وجاوا، وسيلان¹.

وقد كانت أهمية المؤتمر في نوعية الأعضاء المشاركين فيه، فكان منهم: العلامة الشيخ محمد رشيد رضا، والزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي، وشاعر الإسلام محمد اقبال، والأمير سعيد الجزائري، وشكري القوتلي، وشوكت علي زعيم مسلمي الهند².

وقرر المؤتمر إنشاء جامعة في القدس باسم "جامعة المسجد الأقصى"، كما أكد على إسلامية حائط البراق والتعاهد بالدفاع عنه، وتأسيس شركة زراعية لإنقاذ الأراضي ومساعدة الفلاحين وأصحاب الحرف، وإيجاد شركات تعاونية للتسليف³.

كما قرر المؤتمر إيجاد كتلة عربية إسلامية، تقف سدا منيعا أمام مطامع اليهود في الأرض المقدسة، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية في جميع الأقطار الإسلامية، وتنبيه العالم الإسلامي إلى الخطر الكامن وراء الصهيونية، وضرورة صد تيار الهجرة اليهودية، ومقاومة بيع الأراضي لليهود، ودعوة العالم الإسلامي لشرائها، واستنكار الاستعمار في أي قطر من الأقطار الإسلامية، واعتبار قضية العرب الأوثوكس جزءا من القضية العربية⁴.

¹ المرجع السابق، العارف، تاريخ القدس، ص154.

² جرار، حسني، شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والكييد الصهيوني (1920-1939م)، (عمان، دار الفرقان، لا.ت)، ص67.

³ المرجع السابق، جرار، ص68.

⁴ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص154.

وكان العرب الأرثوذكس قد عقدوا في يافا قبل ذلك بأيام، في تشرين الثاني (نوفمبر) 1931م، مؤتمرا أيدوا فيه المطالب الوطنية. وقرروا أن يكون البطريك عربيا وليس يونانيا أجنبيا كما هو الحال. وأن لا يعترفوا بأي بطريك لا يشارك الشعب في انتخابه¹.

ومع أهمية المؤتمر الإسلامي الثاني، وما صدر عنه من توصيات، لكن الحقيقة أن معظم تلك القرارات، ظلت حبرا على ورق، إذ لم يتم الحديث عن آليات تنفيذها، فعلى سبيل المثال، كانت إحدى القرارات، هي صد تيار الهجرة اليهودية، لكن العكس هو الصحيح.

الجدول التالي يوضح أعداد المهاجرين اليهود منذ عام 1920-1936م:

السنة	عدد المهاجرين	النسبة المئوية
1920	5514	1.95
1921	9149	3.24
1922	7844	2.77
1923	7421	2.63
1924	12856	4.55
1925	33801	11.96
1926	13081	4.63
1927	2713	0.96
1928	2178	0.77
1929	5249	1.86
1930	4944	1.75
1931	4075	1.44
1932	9553	3.38

¹ المرجع السابق، العارف، ص154.

10.73	30327	1933
14.98	42359	1934
21.88	61854	1935
10.52	29727	1936
100%	282.645	المجموع

(المصدر: وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا")

يتضح من هذا الجدول أن أعداد المهاجرين اليهود في العام الذي عقد فيه المؤتمر، بلغ (4075)، وزاد العدد على الضعف في العام التالي فبلغ (9553) مهاجراً، وتضاعف مرات عام 1933م، إذ وصل إلى (30327).

انتفاضة عام 1933:

بعد ازدياد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، ورفض الحكومة البريطانية وضع حد لها، دعت اللجنة التنفيذية العربية إلى مسيرة، فاجتمع يوم الجمعة 13 تشرين أول (أكتوبر) 1933م، نحو (30) ألفاً من المسلمين والمسيحيين في ساحة المسجد الأقصى المبارك، ثم توجهوا إلى كنيسة القيامة. وقد استعملت الشرطة البريطانية القوة لتفريق المتظاهرين، فجرح عدد من العرب، وخمسة من رجال الشرطة البريطانية¹.

¹ مرجع سابق، "الفتح"، م15، ع367، 1352هـ (1933م)، ص14_15.

وكان دور المرأة العربية هو الطواف على الجرحى، وشكرتهم على تضحياتهم، وقررت اللجنة التنفيذية إقامة مظاهرة كبرى في أيام الجمعة، على أن تقام كل مرة في مدينة معينة تقصدها الوفود من جميع أنحاء فلسطين، وتقرر أن تكون المظاهرة التالية في 27 تشرين أول (أكتوبر) عام 1933 في يافا¹.

وفي 15 نيسان (أبريل) 1933م، شاركت نساء القدس في مظاهرة احتجاجية على زيارة مسؤولين بريطانيين إلى البلاد، هما: "اللورد اللنبي" واللورد "سوينتون". سارت النساء رغم هطول الأمطار، وعبرن شوارع القدس إلى مسجد عمر، حيث ألقى ماتيل مغنم (مسيحية)، كلمة من منبر المسجد، وسارت المظاهرة إلى القبر المقدس، فألقت طرب عبد الهادي (مسلمة)، كلمة أمام مقبرة المسيح².

وهنا يتجلى وعي المرأة الفلسطينية بأهمية التوحد في ميدان المقاومة، فهذا التناغم فيه إشارة للحكومة البريطانية والحركة الصهيونية، أن المسلمين والمسيحيين، مستعدون للدفاع عن مقدسات بعضهم البعض، فكل فريق سيحمي مقدسات الآخر، تماما كما يحمي مقدساته.

وفي تلك الثورة، تم تحقيق أحد أهم أهداف القيادة الوطنية الفلسطينية، وهو مقاطعة البضائع والمنتجات الصهيونية والأجنبية، فتم افتتاح المعرض العربي الأول بالقدس في 7 يوليو (تموز) 1933م. وفي المعرض الثاني شارك مائة وثمانون شركة عربية من مصر، وسوريا، والعراق، وشرق الأردن، والمغرب، والسعودية، ووقفت بريطانيا ضد المعرض، فحظرت على الطائرات المصرية التحليق فوق القدس، وامتنعت القنصليات الإنجليزية في العواصم العربية عن منح التأشيرة لآلاف الوافدين العرب إلى المعرض³.

¹ المرجع السابق، "الفتح"، م15، ع 367، 1352هـ (1933م)، ص14_15.

² عبد الهادي، فيحاء، نساء مقدسيات في الذاكرة الشعبية الجماعية، صحيفة "الأيام" الفلسطينية، (رام الله، تصدر عن شركة مؤسسة الأيام للطباعة والصحافة والنشر والتوزيع، نشر المقال بتاريخ 20 تشرين الأول (أكتوبر) 2013م).

³ مرجع سابق، نصار وتمامي، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهريّة (1948-1914م)، 2005م، الكتاب الثاني، ص526.

ولعل مشاركة العديد من الشركات العربية في هذا المعرض، هي إحدى ثمار المؤتمر الإسلامي الثاني عام

1931م، لكن الحكومة الإنجليزية ضيقّت على المشاركة العربية.

أما مسلمو ومسيحو القدس فشاركوا في المعرض العربي، الذي يعد شكلاً من أشكال المقاومة

للمشروع الصهيوني والغربي في فلسطين، إذ اشترى واصف جوهريّة العديد من الأغراض من المعرض الأول

والثاني، منها: أواني شرقية، وأقمشة من صنع حمص، ومقتنيات مصرية¹.

University of Malaysia

¹ المرجع السابق، نزار وتماري، ص 527.

المطلب الثالث: النضال الإسلامي المسيحي لمقاومة الخطر الصهيوني في بيت المقدس 1936-1947م

تزايدت المقاومة الشعبية في هذه المرحلة، كما أنها تميزت بحمل السلاح في وجه بريطانيا والصهاينة، وخاصة بعد أن أدرك العرب أن الإبقاء على السياسة التي تم انتهاجها سابقا، والمتمثلة في العمل السياسي والدبلوماسي، والمقاومة الشعبية، لن تنجح وحدها في درء الخطر الداهم، سيما أن العالم تنكر طويلا لحقوقهم، أما الدول العربية فلم تثبت لعرب فلسطين أنها جادة في كسب معركة الحفاظ على القدس وبقية المدن الفلسطينية.

إضراب عام 1936م:

عندما استمرت السياسة البريطانية، لتطبيق وعد بلفور، وازدادت الاعتداءات الصهيونية على المقدسات، قرر العرب أن يخوضوا الثورة المسلحة مع بقاء الثورة الشعبية، للحفاظ على مقدساتهم وكيانهم. وقد أشار إلى هذا تقرير أعده الكابتن كامب من دائرة الاستخبارات البريطانية، جاء فيه: "لقد سمعت شخصيا الكثيرين من العرب من مسيحيين ومسلمين يصرحون علنا بأنهم سيقاومون بالقوة أية محاولة لإقامة دولة يهودية"¹.

وكان من أولئك خليل السكاكيني، الذي كتب في 26 تشرين أول (أكتوبر) 1935م، أنه ذهب إلى

الإدارة البريطانية وهو غاضب على اليهود وبريطانيا، فقدم طلبا لإعطائه رخصة حمل السلاح.²

¹ مرجع سابق، الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 105.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2006، الكتاب السادس، ج 3، ص 166.

وانخرط آخرون في المقاومة، منهم الأب إبراهيم عياد، الذي شارك في الثورة من خلال الحزب العربي الفلسطيني، وهو حزب الحاج أمين وجمال الحسيني¹، وكان من ضمن من قاتلوا مع عبدالقادر الحسيني².

كانت الظروف التي يعيشها العرب مواتية لبدأ ثورة جديدة، أشد قوة من الثورات السابقة، ولذلك بدأ الاستعداد العربي لخوض هذه الثورة، ففي 25 نيسان (أبريل) 1936م تشكلت قيادة موحدة من المسلمين والمسيحيين، إذ تألفت اللجنة العربية العليا من عشرة أشخاص يمثلون جميع الأحزاب، وهم: أمين الحسيني رئيساً، والفريد روك، وحسين فخري الخالدي، ومُحمَّد يعقوب الغصين، وحلمي باشا، وراغب النشاشيبي، ويعقوب فراج، وعبد اللطيف صلاح، وجمال الحسيني، وعوني عبد الهادي، وانضم إليها فيما بعد: مُحمَّد عزت دروزة، وفؤاد سابا³.

كان بداية عمل هذه اللجنة، هو دعوة عموم الشعب إلى مؤتمر عام، عقد في القدس بتاريخ 7 أيار (مايو) 1936. فقرر المؤتمر إعلان الإضراب، والامتناع عن دفع الضرائب. فنفذوا ذلك ابتداء من 15 أيار (مايو)، فأعلنت الحكومة قانون الطوارئ، واعتقلت عدداً من الفلسطينيين، وعززت قواتها العسكرية في البلاد⁴.

ومع تزايد البطش بالعرب، فإن الجبهة الداخلية العربية ظلت متماسكة وموحدة، إذ كان الإجماع إسلامياً ومسيحياً على الالتزام بقرارات اللجنة العليا؛ من أجل تحقيق المطالب العربية، يؤكد هذا قول السكاكيني: "إذا قررت الأمة الامتناع عن دفع الضرائب فسأكون أول من يمتنع، وإذا قررت اشتراك الموظفين في

¹ الأب إبراهيم عياد فارس الكنيسة يغيب عن احتفالات أعياد الميلاد، صحيفة القدس على الانترنت، 25 كانون الأول (ديسمبر) 2011م.

² فؤاد كوكلي، التآخي بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين، قناة الجزيرة، 22 تموز (يوليو) 2007م.

³ مرجع سابق، نصار وتماري، القدس الانتدابية في المذكرات الجهورية (1948-1914م)، 2005م، الكتاب الثاني، ص538.

⁴ مرجع سابق، العارف، تاريخ القدس، ص157.

الإضراب فسأكون أول من يضرب...¹. فاستجابت البلاد للنداء، وبدأت المظاهرات والصدامات مع الشرطة البريطانية، وانطلقت الخطب الحماسية في المساجد والكنائس².

وسعى لإنقاذ الأماكن المقدسة من الخطر الصهيوني، أرسلت الطوائف المسيحية في القدس رسالة لمسيحيي العالم، طالبوا فيها بإنقاذ القدس، وقد أظهرت الرسالة صورة مشرقة لذلك الإضراب، فوصفته بأنه شامل لكل مرافق الحياة، والتجارية والنقلات البرية والبحرية، واشترك فيه سكان المدن والقرى والبدو، والمسلمون والمسيحيون، والشيوخ والشباب وتلامذة المدارس، والرجال والنساء³.

إن نجاح ذلك الإضراب جاء ثمرة الإنصياع التام لمطالب الثورة وتوجيهاتها، وهذا لم يكن، لولا الالتفاف الإسلامي المسيحي على الحقوق المشتركة، والتوافق على التصدي للمشروع الصهيوني، إذن لم يكن قرار المواجهة حكرا على ديانة بعينها، أو حزب سياسي، أو جمعية ثقافية، وإنما كان قرارا وطنيا، شاركت فيه كافة مكونات المجتمع الفلسطيني.

أما كبار موظفي حكومة فلسطين العرب من مسلمين ومسيحيين، فقدموا للانتداب البريطاني مذكرة بتاريخ آب (أغسطس) 1936م، طالبوا فيها الحكومة بالتوقف عن سياسة التحيز للصهيونية، وأن تعمل على استعادة ثقة العرب، عبر إنهاء الأزمة التي تعيشها البلاد⁴.

¹ مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2006، الكتاب السادس، ج3، ص247.

² مرجع سابق، شهيد، ذكريات من القدس، ص110.

³ أيوب، سمير، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، (بيروت، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984م)، ج3، ص34.

⁴ مرجع سابق، نصار وقراري، الكتاب الثاني، 2005م، ص535.

وقد اهتم العرب بشرح قضيتهم للعالم، فشكّلوا دوائر خاصة للقيام بالأعمال الضرورية والإدارية والسياسية، وأرسلوا عدة تضم مسلمين ومسيحيين إلى الدول العربية، وبريطانيا. وكان وفد لندن يضم: جمال الحسيني، وشبلي جمل، وعزت طنوس، وإميل الغوري¹.

وتجلت معاني الوطنية عند المسلمين والمسيحيين، بتعاطف الناس مع أهالي شهداء الثورة، فزار المسلمون والمسيحيون بيت سامي الأنصاري؛ الذي قتل مفتش الشرطة الإنجليزي سيكريست[•]، بعد أن كمن له مع شاب آخر على الطريق بين باب الأسباط وباب الساهرة².

بينما أظهر الطرفان العداء للحكومة البريطانية، ففي نقاش حضره عوني عبد الهادي وخليل السكاكيني وأمين عبد الهادي وأحمد الخالدي ويوسف هيكل والصحفي الأمريكي فشر، قال السكاكيني للصحفي الأمريكي معلقا على السياسة البريطانية، "فالعرب رأوا أن الإنجليز يحاولون أن يقضوا على العرب في فلسطين وأن يعطوا بلادهم لليهود، وفي الثورة الأخيرة (ثورة عام 1936م) هدمت قرى العرب، وأعدم الألوف، وحكم على عدد منهم بالسجن المؤبد، وكل ذلك في سبيل اليهود، أفينتظر بعد هذا أن ينسى العرب كل شيء وأن يقفوا بجانب الإنجليز"³.

¹ المرجع السابق، نصار وتماري، ص538.

[•] سامي إبراهيم الأنصاري: ولد في القدس سنة 1917م، وعاش ودفن فيها، درس في مدارسها الابتدائية والثانوية، تخرج من المدرسة الرشيدية، وتابع دراسته العليا في الكلية العربية، وبعد تخرجه عين معلما في المدرسة الرشيدية، خلال نقله للمستشفى كان جنود البريطانيون يضربونه إلى أن فارق الحياة، وشيع جنازته الآلاف من أبناء القدس. (مرجع سابق، السكاكيني، الكتاب السادس، ج3، 2006، ص262).

[•] سيكريست: مفتش شرطة إنجليزي من أصل يهودي، عينته الحكومة البريطانية لوظيفة النائب العام في فلسطين، كان استعماريا حاقدا، كان على إثر أي تظاهرة يسير في الشوارع حاملا بيده سوطا يضرب كل من يشاهده، وكان يفتش بيوت العرب فيعتدي بالضرب على الأطفال والنساء. (المرجع السابق، السكاكيني، ص263).

² المرجع السابق، السكاكيني، ص263.

³ مرجع سابق، السكاكيني، الكتاب الثامن، 2010م، ص85_86.

فقد عرب فلسطين في تلك الفترة من الثورة أكثر من ثلاثة آلاف شهيد، وسبعة آلاف جريح، واعتقل الإنجليز حوالي ألفين من الشباب العربي. وأثبتت الثورة وعي المسلمين والمسيحيين وتضامنهم ضد العدو المشترك، فقد حاول الإنجليز واليهود أن يبدروا بذور الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، ولكنهم أخفقوا¹.

ومن جديد يبرز دور المرأة النضالي، ولكن هذه المرة في صورة عمل عسكري، خاضته جمعية زهرة الأفتحوان[•]، التي أسستها مهيبة خورشيد، فقد بدأ نشاط الجمعية بالعمل الخيري والاجتماعي، ومساعدة الطلبة الفقراء، ثم تطور الى عمل عسكري منظم، بعد حادثة مقتل طفل فلسطيني بريء أمام مهيبة خورشيد على يد جندي في الجيش البريطاني².

وقد كان هدف خورشيد أن توحد جهود المسلمين والمسيحيين؛ لخدمة القضية الفلسطينية؛ والدفاع عن الحقوق العربية³.

¹ التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1979م)، ص270.

[•] هذا الاسم مستوحى من الزهرة القرمزية في الثورة الفرنسية، علاوة على دلالاته المحلية، إذ تنتشر الزهرة بكثافة في ربوع فلسطين، وهي ترمز الى جمال الطبيعة والحرية، التي يسعى إليها الشعب الفلسطيني. وقد نفذ شعار الجمعية في الهند، بتعليمات من المهاتما غاندي، وهو من تصميم مهيبة خورشيد. (الشايب، يوسف، حكايات البدايات المجهولة، مجلة "فلسطين"، بيروت، تصدر عن صحيفة السفير العربي، ع39، السنة الرابعة، نشر بتاريخ 15 تموز (يوليو) 2013م؛ مرجع سابق، أبو الريش، دور التاريخ، دور التاريخ الشفوي في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية).

² الشايب، يوسف، حكايات البدايات المجهولة، مجلة "فلسطين"، (بيروت، تصدر عن صحيفة السفير العربي، ع39، السنة الرابعة، نشر بتاريخ 15 تموز (يوليو) 2013م).

³ مرجع سابق، أبو الريش، دور التاريخ، دور التاريخ الشفوي في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية.

اللجنة الملكية واستئناف الثورة:

عام 1936م شكلت بريطانيا لجنة تحقيق برئاسة بيل (Peel)، فاستمعت إلى أقوال زعماء اليهود، وقاطعها العرب في بادئ الأمر، ثم مثلوا أمامها بعد توسط زعماء العرب. وفي 7 تموز (يوليو) 1937م، نشرت اللجنة تقريرها، وكان يتضمن مشروعا لتقسيم فلسطين. القسم اليهودي ويشمل أخصب أراضي فلسطين، والقسم العربي وفيه الجبال الجرداء، والقسم البريطاني وفيه القدس وبيت لحم. واقترحت اللجنة ضم القسم العربي إلى شرق الأردن لتتسع رقعة النفوذ البريطاني في المنطقة¹.

وحيثما نشر التقرير ثار عرب فلسطين من جديد، فقتل العرب في أول شهر أيلول (سبتمبر) 1937 ثلاثة يهود، ثم قتلت منظمة أرغون ثلاثة عشر عربيا. وفي 26 من الشهر ذاته أقدم مجهولون على قتل "اندرروز" حاكم الجليل، واستغلت الحكومة البريطانية تلك الأحداث، فبدأت حملة اعتقالات شملت مائة وستة مواطنين².

ومن بين الزعماء الذين تم اعتقالهم: أحمد حلمي باشا، ويعقوب الغصين، وفؤاد سابا، والدكتور حسين الخالدي، ورشيد الحاج إبراهيم، ونفوهم إلى جزيرة سيشل. وحاولت بريطانيا قمع الثورة، فنسفت القرى وأحرقت المزارع³، فكان رد العرب أن امتدت الثورة لتعم جميع أنحاء البلاد، ونفذت عصبة القسام عمليات فدائية ضد القوافل اليهودية، فاعتقل الشيخ فرحان السعدي[•]، وتم اعدامه وهو صائم في 22 تشرين الثاني

¹ التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1979م)، ص271.

² Hadawi. John. Robert and Sami. The Palestine Diary. Vol. 2: 1945-1948, Beirut: PLO, Research center. 1970, p. 278.

³ مرجع سابق، التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص271-272.

[•] ولد الشيخ فرحان السعدي في قرية المزار من أعمال قضاء جنين، وتلقى علومه في كتاب القرية ومدرسة جنين الابتدائية، إلا أنه كان مولعا بتلقي الدروس الدينية في المساجد، وبالاجتماع مع العلماء. شارك السعدي في المؤتمرات الوطنية، والمظاهرات ضد الحكومة، وفي ثورة 1929 ألف عصبة

(نوفمبر) 1937م، وقد كانت بريطانيا ترغب في إبعاد الناس عن الثورة، لكن النتائج جاءت على خلاف ذلك¹؛ لأن الثورة اشتدت ولم تنجح في إخمادها، فلجأت إلى طريقها في المكر، وأعلنت عام 1938م التخلي عن فكرة التقسيم².

وهنا نجد أن الزعماء المسلمين والمسيحيين ظلوا ثابتين على الطريق الذي اختاروه، وهو مقارعة المشروع الصهيوني، وفي سبيل ذلك تعرضوا لكل صنوف الأذى، فالواضح من هذه الأحداث أن بريطانيا والصهيونية كانوا يجارون المسلمين والمسيحيين دون تمييز.

ثم دعت بريطانيا إلى مؤتمر لندن، فحضره ممثلون عن الدول العربية وعرب فلسطين وزعماء اليهود. وكان وفد فلسطين يضم كلا من: جمال الحسيني، وعوني عبد الهادي، وراغب النشاشيبي، والفرد روك، وأمين التميمي، وموسى العلمي، وجورج أنطونيوس، ويعقوب الغصين، وفؤاد سابا. افتتح المؤتمر في 7 شباط (فبراير) 1939م، ولم تكن محادثات مباشرة بين العرب واليهود، بل كانت بين كل فريق وبين الإنجليز على حدة. وبعد أكثر من شهر أخفق المؤتمر، واختتم أعماله رسمياً في 17 آذار (مارس) 1939م³.

وهنا نرى أن بريطانيا والصهيونية فشلوا في اختراق الصمود الإسلامي في ميدان النضال الشعبي، وكذلك في ميدان المقاومة السياسية.

من المجاهدين في قضاء جنين للتصدي للمشروع الصهيوني، فاعتقلته الحكومة وقضى ثلاثة أعوام في السجن، وبعد خروجه انتقل إلى حيفا، وهناك التقى بالشيخ عز الدين القسام. (مرجع سابق، الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948م)، ص376).

¹ John and hadawi. Op. cit. p. 279.

² مرجع سابق، الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948م)، ص384.

³ مرجع سابق، التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص273.

وكانت الثورة الفلسطينية تشتد أحيانا، وتضعف أوقاتا أخرى، وذلك تبعا لعدة عوامل، منها: شعور الفلسطينيين بمدى الظلم الواقع عليهم، واجتماع كلمة العرب جميعا على المقاومة، بعدما اتضح لهم فشل المساعي السياسية؛ في تحقيق مطالبهم، المتمثلة في وقف الهجرة، ومنع تسريب الأراضي لليهود، والحصول على الاستقلال.

لكن المؤكد أن ثورة عام 1936 هي الأقوى والأكثر إزعاجا للحكومة البريطانية والحركة الصهيونية، تليها ثورة البراق.

المبحث الثاني: جهود مسلمي ومسيحيي بيت المقدس في التصدي للاحتلال الإسرائيلي

1948-1994م

سيدرس هذا المبحث جهود مسلمي ومسيحيي القدس في التصدي للاحتلال الإسرائيلي 1948-

1994م من خلال ثلاثة مطالب، وهي: النضال الإسلامي المسيحي للتصدي للاحتلال الإسرائيلي

1948-1967م، والنضال الإسلامي المسيحي للتصدي للاحتلال الإسرائيلي 1967-1986م،

والانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987-1994م.

المطلب الأول: النضال الإسلامي المسيحي للتصدي للاحتلال الإسرائيلي 1948-1967م

كان العمل العسكري هو الرد الطبيعي للعرب، بعد أن اتضحت معالم المشروع الصهيوني، وبات

واضحاً أن العمل السياسي والدبلوماسي، لن يوقف المطامع الصهيونية في الاستيلاء على كل فلسطين، وأن

تأخير المواجهة ليس من مصلحة العرب، بل إنهم سيكونون لقمة سائغة لليهود، ولذلك بدأت الاستعدادات

الفلسطينية للقتال بما توفر لهم من امكانات.

معركة عام 1948م:

بدأت الاستعدادات العربية قبل بدء المعركة، وذلك من خلال تقوية وتدعيم الجبهة الداخلية، ففي حي المصراة اجتمع بمجرت أبو غربية بلجنة الحي، وكان منها: الدكتور شاغورية (سكرتير اللجنة)، والصيدلي خليل طليل (أمين الصندوق)، ومُحَمَّد سبباني (المسؤول عن النواحي العسكرية_ أشبه بضابط ارتباط)، والدكتور إبراهيم طليل، والمهندس نقولا الحلبي، و خليل البشيتي مختار الحي¹.

رفض جميع مسيحيي فلسطين قرار تقسيم فلسطين، وطالبوا باستقلالها، وفي 3 مارس 1948م وجه ممثلو إحدى عشرة طائفة مسيحية في فلسطين هي: البطريركية الأرثوذكسية، و بطريركية اللاتين، و بطريركية الأرمن الأرثوذكس، والقيم على الأرض المقدسة، و البطريركية القبطية، و ممثلة البطريركية الملكية، و متروبوليتان الطائفة السريانية الأرثوذكسية، و ممثلة البطريركية الأرمنية الكاثوليكية، و أسقفية الطائفة العربية البروتستانتية، و ممثلة البطريركية السريانية الكاثوليكية، و الطائفة اللوثرية العربية في فلسطين، و جهوا نداء إلى الأمم المتحدة وإلى الهيئات العالمية الدينية والسياسية أعلنوا فيه رفضهم قرار التقسيم².

وجاء في الخطاب: "إننا نؤمن أنه لا يمكن تكليل المحاولات المبدولة لتعزيز السلام في القدس بالنجاح، مالم تعمل تلك الهيئات التي تأخذ على عاتقها تقرير مستقبل فلسطين على إزالة الأسباب التي حولت الأرض المقدسة إلى ساحة حرب، و مالم تعد توطيد مبادئ العدل و صون حق تقرير المصير، بموجب ميثاق منظمة الأمم

¹ مرجع سابق، أبو غربية، مذكرات المناضل بمجرت أبو غربية (1949-1916م)، في خضم النضال العربي الفلسطيني، ص 181.

² مرجع سابق، نظام الدين والدجاني، القدس إيمان وجهاد، ص 137.

المتحدة. ويرغب الاتحاد المسيحي في أن يعلن بشكل قاطع، أنه يشجب مشروع التقسيم، ويؤمن إيماناً راسخاً بأن هذا المشروع يتضمن انتهاكاً لقدسية الأماكن المقدسة"¹.

وعندما تم تجاهل تلك النداءات، بدأ المسيحيون بالبحث عن سبل أخرى يدافعون بها عن مدينتهم، ففي حي القطمون حاول المسيحيون شراء السلاح فلم يجدوا، فشكّلوا مجموعات الحراسة، وجعلوا لكل ليلة شعاراً².

كان من الواضح أن العالم المسيحي خذل مسيحيي فلسطين، فعندما يتعارض الدين مع المصالح الاستعمارية للدول الغربية، فإن أحداً من أولئك لن يلتفت إلى الدين، ولن يهتمهم ما يحدث بعد ذلك لإخوانهم في الملة، فالقرار الغربي هو تعاون استراتيجي مع الحركة الصهيونية، بحيث يقدم الغرب المال والسلاح، للكيان الذي سيزرع في قلب الأمة العربية، بينما تتولى الدولة الجديدة منع قيام وحدة سياسية واقتصادية في العالم العربي، وليس مهماً بعد ذلك إذا ما كانت هذه الدولة ستضطهد المسيحيين أم لا.

إذن يتضح بجلاء أن حديث الدول الغربية الكبرى، عن حقوق المسيحيين هنا أو هناك، والتلويح بالتدخل حماية لتلك الحقوق، ماهي إلا كذبة كبيرة، يلوحون بها إذا توافق ذلك التدخل، وتلك الحماية مع مصالحهم، ومصالحهم فقط.

وبعد أن اتضحت هذه الرؤية عند المسيحيين، شاركوا في العمليات الفدائية، فقد كان أنطون داود عربياً مسيحياً يعمل سائقاً للقميص الأمريكي العام بالقدس مستر ميكاتي³. كان أنطون وهو من سكان مدينة

¹ المرجع السابق، نظام الدين والدجاني، القدس إيمان وجهاد، ص 137.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وأملات، 2010م، الكتاب الثامن، ص 238.

³ مرجع سابق، بوضير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ص 371.

بيت لحم، مفوضاً من القنصل بنقل البريد يوميا بسيارته إلى دار الوكالة اليهودية ضمن الحقيبة الدبلوماسية الأمريكية، وبعدها اطمأن له حراس اليهود والإنجليز في الوكالة، ذهب إلى مقر القائد عبد القادر الحسيني، وكان على اتصال دائم به، فتم تحضير السيارة بالألغام، وأوقفها أمام مكاتب الوكالة، ثم أطلق النار على الحرس، وفجر السيارة، واستطاع أنطون أن يصل إلى العرب، فقدم له العلاج¹.

كانت هذه العملية في 11 آذار (مارس) 1948م، وقد دمر الانفجار الجناح الشمالي للوكالة اليهودية تدميراً كاملاً، وتصدعت باقي أقسام البناء، وقتل في العملية (36) وجرح الكثيرون، وكان لها أثر كبير في رفع معنويات العرب، وهبوط معنويات اليهود؛ لأن الوكالة في منزلة دار الوزارة الصهيونية أي حكومة المستقبل. وكان القتلى والجرحى من كبار الشخصيات الصهيونية². وكان بين القتلى "يافة" مؤسس الكيرن هايسود، وبن زفي، وشمويل دوب، ويائيل متسي، وغيرهم من كبار زعماء اليهود³.

ويرى الباحث أن الكاريزما، التي يملكها القائد المسلم، فيجمع حوله كافة أطراف المجتمع، ولا يستثني أحداً، كقيلة بأن تدفع المسلمين والمسيحيين للمشاركة في المقاومة، سواء من خلال تنفيذ أعمال فدايية، أو المشاركة في المظاهرات والفعاليات الوطنية، أو دعم المقاومة بالمال والسلاح، أو حماية رجالها، فقد رأينا كيف توحد المسلمون والمسيحيون تحت إمرة الحاج أمين الحسيني، وهنا نراهم يقاتلون معا تحت قيادة عبد القادر الحسيني.

¹ مرجع سابق، نصار وتماري، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية (1948-1914م)، ص 595-596.

² مرجع سابق، أبو غربية، مذكرات المناضل بهجت أبو غربية (1949-1916م)، في خضم النضال العربي الفلسطيني، ص 197.

³ مرجع سابق، بويصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ص 372.

واصل العرب قتالهم بما توفر لهم من سلاح، فحاضوا معركة القسطل في القدس بقيادة عبد القادر الحسيني، وحينما استشهد الحسيني في تلك المعركة، شارك المسلمون والمسيحيون في جنازته بتاريخ 9 نيسان (أبريل) 1948م، وكانت أجراس الكنائس تفرع وأصوات الناس ترتفع بالتهليل والتكبير وطلب الثأر¹. ومن بين المسيحيين خليل السكاكيني الذي ذهب إلى بيت الشهيد، ثم توجه مع الحشود إلى المسجد الأقصى².

ولم تقتصر المشاركة في الواجب النضالي على العرب، بل إن المسيحيين الأرمن، أبدوا تضامنهم مع العرب في فلسطين، خاصة أثناء حرب 1948، فقدموا كل التسهيلات الممكنة للجنود العرب. وتحملوا في سبيل ذلك خسائر في الأرواح والممتلكات، وخاصة عندما أقدم اليهود على قصف ساحة دير الأرمن في مدينة القدس، وهو ما أدى إلى مقتل وجرح عدد من الأرمن³.

وعلى الرغم من أن الحركة الوطنية الفلسطينية حاولت إحباط قرار التقسيم، ومنع قيام دولة صهيونية، من خلال شن حرب عصابات ضد العصابات الصهيونية بمساعدة المتطوعين العرب، الذين جاءوا من مختلف الأقطار العربية بقيادة فوزي القاوقجي، واستمرارها في القتال لمدة خمسة أشهر ونصف، حتى وصلت الجيوش العربية إلى فلسطين بتاريخ 14 أيار (مايو) 1948، إلا أنها فشلت كما فشلت الجيوش العربية في الحفاظ على فلسطين من الضياع، وذلك للأسباب التالية:

1. عدم قيام القيادة السياسية بتعبئة كاملة لجميع القوى السياسية، والعسكرية، والاقتصادية.
2. سيطرة الأناثية والمصالح الذاتية على بعض قيادات الحركة الوطنية، وانقسامها إلى تيارين: يطالب الأول بالتهدة ويقبل بالوعد البريطانية، بينما يدعو الثاني إلى الثورة وعدم الركون إلى بريطانيا ووعودها⁴.

¹ مرجع سابق، نصار وتمازي، القدس الانتدابية في المذكرات الجهورية (1948-1914م)، ص 602.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2010م، الكتاب الثامن، ص 256.

³ مرجع سابق، حمودة، الدور المسيحي الفلسطيني في مواجهة الاحتلال.

⁴ العضاية، عادل، القدس.. بوابة الشرق الأوسط للسلام، (عمان، دار الشروق، ط1، 2006م)، ص 58.

3. فشل القيادة العربية في اتخاذ التدابير الاقتصادية اللازمة لتعبئة الجماهير، وتنظيم موارد مالية، عبر فرض الضرائب أو الرسوم على الفلسطينيين، كما فعلت الوكالة اليهودية.

4. عدم وجود قيادة عسكرية موحدة، مما أدى إلى غياب التنسيق على صعيد العمليات والمعلومات بين القوات الفلسطينية والجيوش العربية.

5. لم يكن لدى القيادة الفلسطينية استراتيجية واضحة ومحددة، نظرا لعدم وجود قيادة مؤهلة قادرة على تحديد الأهداف، والعمل لتنفيذها، في الوقت الذي استطاع فيه الصهاينة تحديد أهدافهم بدقة.

6. إلى جانب ما ذكر، فإن ميزان القوى كان لصالح اليهود، فقد عانت القوات الفلسطينية من محدودية الحجم، والاعتماد على قوات غير نظامية، وغير مدربة، ومن نقص في المعدات الفنية، والأسلحة، والذخيرة، وعدم توفر الأليات وأجهزة الاتصالات¹.

وبعد حرب عام 1948م، عقد اجتماع المجلس الوطني في غزة من 30 أيلول (سبتمبر) 1948 حتى 3 تشرين أول (أكتوبر) من العام نفسه، وتم اختيار خليل السكاكيني رئيسا للمجلس، ومن بين أعضائه أمين الحسيني وأحمد حلمي².

وعلى أهمية ما ذكر، فإنني أرى أن السبب الأهم، هو غياب العامل الديني في المعركة، صحيح أن الجنود مسلمين، وكثير منهم يقاتل بإيمان وشجاعة، وقد سمعنا من أجدادانا وقرآنا، عن بطولات فردية في ميادين القتال، لكنني أتكلم عن قيادات الجيوش، التي غيبت الدين، ونظرت إلى المعركة نظرة مادية بحتة، وبكفي

¹ الشنطي، انتصار، دور المجاهدين الفلسطينيين من قرار التقسيم إلى دخول الجيوش العربية، مجلة صامد الاقتصادي، (عمان، مؤسسة صامد، السنة العشرون، ع113، تموز-آب-أيلول 1998م)، ص62-64.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، 2010م، الكتاب الثامن، ص276.

للتدليل على ذلك، التذكير بأن قائد الجيش الأردني هو الضابط الإنجليزي، جون باغوت غلوب (غلوب باشا)، فهل نتوقع أن يقف هذا الضابط، ضد إرادة حكومة بلده في تلك الحرب؟.

أنا مؤمن بأننا لا نحارب اليهود ليهوديتهم، بل لأنهم يحتلون أرض فلسطين، فالمسألة سياسية، لكن السياسة تحتل بالدين، عندما يتم الإعتداء على المقدسات والحرمات، فلا يمكن أن نغفل الدين، أو أن نعيده عن المعركة.

فعلى سبيل المثال، لم يستطع الجيش الإسرائيلي الدخول إلى قطاع غزة، في الحرب الأخيرة عام 2014م، ولم يحقق أهداف المعركة، المتمثلة في وقف إطلاق الصواريخ، والقضاء على المقاومة، لم يفعل ذلك مع أنه يواجه شعباً محاصراً، يملك إمكانيات لا تذكر مقارنة بالإمكانيات الإسرائيلية، وفي المقابل انتصرت العصابات الصهيونية على ستة جيوش عربية في حرب عام 1948م.

دور المرأة في دعم صمود المجتمع الفلسطيني:

لم يتوقف دور المرأة الفلسطينية خلال هذه المرحلة، فدور المرأة المسلمة والمسيحية كان مكتملاً لدور الرجل، فبعد مجزرة دير ياسين عام 1948، جمعت هند الحسيني بمساعدة عدنان أمين التميمي (55) طفلاً وطفلة من أيتام دير ياسين، ووضعتهم في غرفتين في البلدة القديمة، ولم يكن في جعبتها يوم ذاك سوى (138) جنياً فلسطينياً، وأقسمت إما أن تعيش معهم أو تموت معهم¹.

¹ يعقوب، أوس، رواد مقدسيون.. المقدسية الراحلة هند الحسيني (1916 - 1994)، مؤسسة القدس للثقافة والتراث: <http://www.alqudslana.com>.

وفي الخامس والعشرين من نيسان (أبريل) 1948م أسست هند جمعية خيرية لخدمة الأطفال الأيتام والمحتاجين الفلسطينيين من خلال توفير الرعاية والإقامة والغذاء والترفيه لهم، وأطلقت عليها اسم "مؤسسة دار الطفل العربي"¹.

وهي تضم كافة المراحل الدراسية، ابتداء من الحضانه والروضة حتى المرحلة الثانوية، كما تضم متحف للتراث، ومركز ثقافي، وقسم داخلي لمبيت الطالبات. وقد تضامن مع هذه المؤسسة المسلمون والمسيحيون، فحصلت على تبرعات من الجانبين، ومن هؤلاء: عائلة "الشايح" في الكويت، والكنائس اللوثرية الألمانية، فاستطاعت بناء مرافقها المتنوعة².

وفي بداية التسعينات كان القسم الداخلي يضم (300) يتيمة، لكن بفعل الاجراءات الاسرائيلية، المتمثلة في منع أهل قطاع غزة من الوصول إلى الضفة الغربية، وفصل القدس عن مدن الضفة، تضائل العدد ليصل إلى (20) يتيمة في القسم الداخلي، و (93) في القسم الخارجي³.

عاش الأيتام المسلمون والمسيحيون معا في هذه المدرسة، التي كان العدد فيها مناصفة بين الجانبين، فقد كان الأطفال يحتفلون معا بأعياد الميلاد وبأعياد المسلمين⁴.

¹ المرجع السابق، يعقوب.

² الحسيني، هداية، فيلم هند الحسيني وحكاية دار الطفل العربي، (القدس، مؤسسة دار الطفل العربي، دعم مؤسسة التعاون، 2012م).

³ المرجع السابق، الحسيني، فيلم هند الحسيني وحكاية دار الطفل العربي.

⁴ مرجع سابق، يعقوب، رواد مقدسيون.. المقدسية الرائدة هند الحسيني (1994-1916م)، مؤسسة القدس للثقافة والتراث:

<http://www.alqudslana.com>.

ويرى الباحث أن تأسيس الجمعيات التي تعنى بالأيتام، يدل على تنبه المجتمع الفلسطيني مبكراً، لأهمية الرعاية الاجتماعية والنفسية، فهي باب من أبواب المقاومة، ولها دور مهم في استمرارية العمل المقاوم، فعندما يدرك المقاوم أن هناك من سيعتني بعائلته في حال وقوعه في الأسر، أو استشهاده، فإن ذهنه سيكون مرتاحاً، وسينعكس ذلك على الأداء المقاوم كما ونوعاً.

أما جمعية الاتحاد النسائي العربي[•] فساهمت في إعداد مستشفيات طوارئ في العيزرية وجبل الزيتون لمعالجة جرحى النضال الفلسطيني عام 1948، إضافة إلى إعداد وجبات طعام للمناضلين، كما ساهمت في رعاية عدد من أبناء الشهداء والأيتام في المدارس الأهلية على نفقتها¹.

وتركز معظم جهدها في معالجة آثار النكبة في العمل الاجتماعي والخيري، وذلك في مقرها في باب الساهرة، حيث تم في عام 1950 افتتاح روضة أطفال ومركز لرعاية الأطفال، ثم افتتحت مركزاً للعناية بالحوامل، وأنشأت داراً للمسنين سميت دار الأمان. كما شاركت عضوات الجمعية وطالباتها في مقاومة الاحتلال الصهيوني بالمظاهرات والاعتصامات، مما أدى إلى إغلاق المدرسة عدة مرات².

وذكرت سامية خوري من القدس، أن إليزابيث ناصر، أسست بمشاركة زليخة الشهابي، وهند الحسيني، عام 1952م دار للفتيات المشردات، اللواتي يكسبن لقمة العيش من خلال ظاهرة التسول، فلعبت تلك الدار دوراً رئيساً في وضع حد لهذه الظاهرة، حيث أمنت للفتيات حياة كريمة، بتوفير ملاذ آمن، وأكسبتهن مهارات تساعدن على العمل في مؤسسات، أو ليصبحن زوجات صالحات. وتدرجياً بعد العام 1967 ونظراً

[•] انظر الوجود الإسلامي المسيحي في القدس.

¹ الموسوعة الفلسطينية على الانترنت: (<http://www.palestinapedia.net>).

² المرجع السابق، الموسوعة الفلسطينية على الانترنت.

لاحتياج القدس إلى مدارس وطنية، ورغبة الأهالي في توفير تعليم رسمي لبناتهم، تطورت المؤسسة تدريجياً لتصبح مدرسة إبتدائية مختلطة، مع قسم لرياض الأطفال¹.

انشاء منظمة التحرير الفلسطينية:

تمخضت حرب 1948 عن قيام الكيان الإسرائيلي، وترحيل الشعب الفلسطيني من أرضه، وهو ما أدى إلى تقوض البنى الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والنقابية الفلسطينية، ولم تستعد هذه البنى عافيتها، إلا بعد زهاء عقد من الزمن، واستقرت هذه البنى بالعاملين الإقليمي والعالمي، فنجحت الفئات الوسطى الفلسطينية في تأسيس عدة فصائل فدائية، ثم سارعت الأنظمة العربية إلى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، في محاولة لاحتواء تلك الفصائل الفدائية².

ففي أيار (مايو) 1964م، عقدوا مؤتمراً عاماً في القدس ضم ممثلين عن مختلف تجمعاتهم، من وجهاء ومثقفين، كما ضم رؤساء وأعضاء البلديات والغرف التجارية والصناعية، وقد انتخب في هذا المؤتمر أحمد الشقيري، رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي كان مقرها القدس، وشكل المؤتمر مجلساً للصندوق القومي الفلسطيني واختار رئيساً له، ووضع المؤتمر ميثاقاً فلسطينياً ونظاماً أساسياً للمنظمة. واعتبر ذلك المؤتمر والمجلس الوطني الفلسطيني الأول الذي تقرر على أن يجتمع دورياً وأصبح بمثابة البرلمان، واللجنة التنفيذية بتمثابة الحكومة الفلسطينية في المنفى³.

¹ عبد الهادي، فيحاء، نحو توهج الذاكرة الجماعية، صحيفة "الأيام" الفلسطينية، (رام الله، تصدر عن شركة مؤسسة الأيام للطباعة والصحافة والنشر والتوزيع، نشر المقال بتاريخ 27 تشرين الأول (أكتوبر) 2013م).

² منصور، هالة، المقاومة الوطنية في القدس (1997-1918م)، مجلة صامد الاقتصادي، (عمان، مؤسسة صامد، السنة التاسعة عشرة، ع110، تشرين أول-كانون أول 1997م)، ص142.

³ أبو صالح، محمد، التطور التاريخي لنضال الشعب الفلسطيني للحفاظ على ييوسية القدس، (الأعمال الكاملة للمؤتمر الدولي لنصرة القدس المنعقد في القدس وبيروت وغزة، ج2، مركز قدس نت، يونيو (حزيران) 2007م)، ص779.

المطلب الثاني: النضال الإسلامي المسيحي للتصدي للاحتلال الإسرائيلي 1967-1986م

في أعقاب حرب 1967م، تراجع دور الأنظمة العربية، وتزعزعت ثقة الشعب الفلسطيني بها، خاصة بعد سقوط بقية فلسطين والقدس الشرقية، وتحول أهل المدينة إلى لاجئين، وانتقلت المدينة إلى السيادة الإسرائيلية، وتعرضت لعملية تهويد* لمحو طابعها العربي، من خلال مصادرة الأرض العربية، وهدم أحياء بأكملها، وإغلاق المؤسسات الوطنية، والاعتداءات المتكررة على الأماكن المقدسة، إضافة إلى العديد من القوانين، التي تحدد وفق الرؤية الإسرائيلية من هو المقدسي، ومن يمكن أن يفقد هذا الحق¹.

الواقع الإنساني في ظل الاحتلال الإسرائيلي:

بعد أن أحكم الاحتلال الإسرائيلي سيطرته على مدينة القدس، لجأ إلى تنفيذ عدة خطوات، هدفها زيادة المعاناة النفسية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، للمسلمين والمسيحيين في مدينة القدس، تمثلت في الأمور التالية:

1_ هدم البيوت:

تعددت صور المحاربة المعيشية للمقدسيين، وتضييق الخناق عليهم، وأبرزها سياسة هدم البيوت، ومصادرة الأراضي، وإصدار قانون التصرف، وامتلاك الأراضي، وإقامة بؤر استيطانية، مما يعني استمرار حالة التوتر بين العرب والمستوطنين.

وقد بدأت سياسة هدم البيوت في 11 حزيران (يونيو) 1967، أي بعد أربعة أيام على احتلال المدينة، وفي أقل من أسبوع أزيل من الوجود العربي في المدينة ما يلي: (135) دارا للسكن في حي المغاربة،

* تهويد القدس: هي مجموعة الاجراءات، والأساليب، والسياسات التي يتبعها الاحتلال الإسرائيلي للسيطرة على القدس، وتحويل طابعها العربي، وطمس هويتها الثقافية العربية، وتغيير معالمها، وبعبارة موجزة تثبيت الصفات اليهودية للمدينة وتعميقها. (مرجع سابق، كفاي وآخرون، القدس عبر العصور، ص371).

¹ مرجع سابق، منصور، المقاومة الوطنية في القدس (1918-1997م)، ص142.

يسكنها (650) شخصا، ومسجدان أحدهما مسجد البراق، والآخر ملاصق له، ومصنع للبلاستيك قرب حي الأرمن، يعمل فيه مائتي عاملة وعامل عربي، إضافة إلى هدم مائتي منزل ومخزن في المدينة¹.

وقد بلغ عدد الأبنية التي نسفت حتى يوم 15 تشرين ثاني (نوفمبر) 1969، (7554) بناء، منها (342) في القدس².

2_ التهويد الديمغرافي:

سنت بلدية القدس على مدار سنوات طويلة، تشريعات تحول دون التزايد السكاني العربي في المدينة، بل ويرغم على الهجرة خارج حدود البلدية، مما يهدد حقهم في المواطنة المقدسية. فقد حرصت بلدية القدس على الحفاظ على أكثرية يهودية، من خلال منح التسهيلات لليهود في إقامة الأحياء الاستيطانية داخل المدينة وعلى مشارفها، فمستوطنة النبي يعقوب شمال القدس، ومعالي أدميم شرقي المدينة، وجبعات زئيف شمالها، وأبو غنيم جنوب القدس، كلها أقيمت لإكمال حلقات التضييق وتشديد الخناق على المدينة وأهلها. أما هدف هذه المخططات فهو أن تكون نسبة اليهود (70%)، والعرب (30%)، بحلول عام 2020م³.

3_ مصادرة الهويات:

ينظر اليهود إلى المواطن العربي، على أنه مجرد مقيم مؤقت في القدس، فهو لا يتمتع بأية حقوق، يقول وزير الداخلية الإسرائيلي الأسبق إيلي يشاي، وهو من حركة "شاس": "يجب علينا زيادة الأكثرية اليهودية في

¹ الخطيب، روجي، الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس بين 1965-1975م، مجلة شؤون فلسطينية، عدد خاص، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، كانون ثاني-شباط 1975م، ص98.

² مرجع سابق، نظام الدين والدجاني، القدس إيمان وجهاد، ص159.

³ حامي، جميل، القدس وماذا يمكن أن نقدم لها، استشراف مستقبل قضية القدس في ضوء التطورات الراهنة، أعمال اللقاء الذي عقد في القاهرة في 22 آذار (مارس) 2005م، برنامج حوار الحضارات، الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، القاهرة، 2006م، ص54-55.

القدس، إلى ما فوق 80 %، وإيقاف العودة العشوائية للسكان الفلسطينيين إلى مسقط رأسهم، ولهذا لجأت إسرائيل في حالات عديدة لمصادرة هويات المقدسيين"¹.

4_ الضرائب:

تكاد تكون الضرائب الهاجس المخيف للمقدسيين، أبرزها ضريبة "الأرنونا"، وهي وسيلة من وسائل اثبات وجود المواطن العربي في المدينة، يدفعها العربي بأرقام خيالية، حسب موقع العقار ومساحته، وتضاعف بشكل دوري كلما تأخر عن دفعها، إضافة إلى ضريبة الدخل، التي تصل إلى (60%) من المبيعات، وتذهب لصالح تنفيذ المشاريع للمستوطنين².

4_ إغلاق المؤسسات والجمعيات الخيرية:

يعمل الاحتلال الإسرائيلي على إغلاق هذه المؤسسات، التي تساهم في دعم صمود الشعب الفلسطيني في مدينة القدس، وكذلك مصادرة ممتلكاتها، واعتبارها جمعيات غير شرعية³.

التصدي العربي لمحاولات تهويد القدس:

بدأت المضايقات في القدس عندما أقدم الاحتلال الإسرائيلي، على مصادرتها وضمها مباشرة بعد حرب عام 1967م، وتصاعدت هذه المضايقات بعد عزل القدس عن الضفة الغربية عام 1993م، فكان لذلك تأثير مباشر على المسيحيين وكنائسهم، حيث أن القدس هي مركز المؤسسات الكنسية بمختلف أنواعها

¹ المرجع السابق، حمامي، ص55.

² برنامج الاقتصاد والناس، الاقتصاد المقدسي، ح1، قناة الجزيرة، 25 تموز (يوليو) 2015م.

³ مرجع سابق، حمامي، القدس وماذا يمكن أن نقدم لها، استشراف مستقبل قضية القدس في ضوء التطورات الراهنة، ص55.

(المحاكم الكنسية، الإدارة الكنسية، المؤسسات المختلفة..) فالإغلاق وضع حاجزا بين الكنائس وشعبها ومؤمنيتها ومراكز تجمعها، وشل حركتها فلم يعد بإمكانها أن تواصل عملها ورسالتها بشكل طبيعي¹.

وقد واجه العرب هذه السياسة، بتبني طريقتين في المقاومة: الأولى: اتباع سياسة شبه جماعية بعدم التعاون كليا مع سلطات الاحتلال على الصعيد الوطني والبلدي، والثانية: التصدي للمحاولات الإسرائيلية التي تهدف إلى السيطرة على مؤسساتهم، عن طريق المقاومة التي أخذت أشكالا عدة، سواء كانت قانونية، أو إعلامية، وكذلك العصيان المدني، بما في ذلك الاضرابات، والمظاهرات، للحفاظ على المؤسسات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية خارج السيطرة الإسرائيلية².

فعلى سبيل المثال رفض الجهاز القضائي العربي، قرار إغلاق المحاكم العربية واستبدالها بمحاكم إسرائيلية، وامتنع المحامون والقضاة المدنيون والشرعيون والعاملون في القضاء، عن التعامل مع سلطات الاحتلال أو الظهور أمام المحاكم والهيئات القضائية الإسرائيلية³.

كما رفض رئيس بلدية القدس روجي الخطيب وأعضاء المجلس انضمامهم إلى بلدية القدس الموحدة الإسرائيلية، الأمر الذي أدى إلى حل المجلس البلدي ودمجه بالقوة وإبعاد رئيس البلدية إلى الأردن، ورفضت الغرف التجارية في القدس الشرقية ضمها إلى المؤسسات الإسرائيلية، وتصدت المؤسسات التعليمية لمحاولات فرض منهج عربي إسرائيلي على المدارس العربية⁴.

¹ خوري، رفيق، القدس في الذاكرة المسيحية، بحث مقدم مؤسسة القدس الدولية (فرع غزة) لتقديمها في دورة معارف مقدسية التي نظمتها المؤسسة عام 2012م، ص18.

² مرجع سابق، منصور، المقاومة الوطنية في القدس (1997-1918م)، ص143.

³ مرجع سابق، العضيلة، القدس.. بوابة الشرق الأوسط للسلام، ص62.

⁴ المرجع السابق، العضيلة، ص62.

وجرت محاولة من وزارة الأديان الإسرائيلية للسيطرة على الشؤون الدينية والاسلامية في القدس الشرقية والضفة الغربية، وعلى اثر ذلك تم تشكيل الهيئة الإسلامية. وترافقت هذه المقاومة مع انشاء مؤسسات وطنية جديدة، حيث تم تشكيل لجنة التوجيه الوطني، برئاسة الشيخ عبد الحميد السائح، ولعبت هذه اللجنة إلى جانب الإتحاد النسائي العربي دورا مقاوما مهما داخل القدس¹.

وقد كان أهم عوامل المقاومة الاقتصادية رفض دفع ضريبة الأرنونا، والصراع على شركة كهرباء القدس، فاحتجاجا على سياسة الاحتلال الإسرائيلي الاقتصادية، أرسل مواطنو القدس رسالة إلى الحاكم العسكري، أعلنوا اعتراضهم على القوانين والأنظمة، ورفض دفع الضريبة. كما وقف العرب أمام محاولة مصادرة امتياز شركة الكهرباء، وتحويلها كغيرها من المؤسسات الاقتصادية الأخرى².

ولم يقتصر الأمر على هذا الشكل من أشكال المقاومة، بل إن العرب استخدموا أسلوب الانتفاضات والمظاهرات والاضرابات، واصدار البيانات، إضافة إلى بعض النشاطات المسلحة، حيث شهدت القدس سلسلة من المظاهرات والاضرابات والصدامات مع قوات الاحتلال، أبرزها الاضراب العام بتاريخ 21 آب (أغسطس) 1967م، واضرابات ومظاهرات يوم الأرض التي تعم المدن الفلسطينية كل عام، كما شهدت القدس انتفاضات متكررة منذ عام 1981م وحتى انتفاضة عام 1987م³.

وفي 26 حزيران (يونيو) 1969م وجه روجي الخطيب برقيتين، إحداها للملك حسين والأخرى للرؤساء والملوك يدعوهم فيهما إلى تقديم شكوى عاجلة لمجلس الأمن؛ لإيقاف أعمال مصادرة الأملاك

¹ مرجع سابق، منصور، المقاومة الوطنية في القدس (1977-1918م)، ص143-144.

² مرجع سابق، العضايلة، القدس.. بوابة الشرق الأوسط للسلام، ص62.

³ المرجع السابق، العضايلة، ص63.

والأوقاف الملاصقة للمسجد الأقصى وداخل سور المدينة؛ ولإيقاف عمليات البناء على الأراضي العربية المغتصبة خارج أسوار المدينة، التي يجريها الاحتلال الإسرائيلي¹.

وعندما تم إحراق المسجد الأقصى عام 1969م، خرج أهالي المدينة المقدسة، مسلمين ومسيحيين؛ لإطفاء الحرائق التي اندلعت في المسجد الأقصى. وكانوا يطفئون النيران بوسائل بسيطة، بما تيسر لديهم من الوسائل المتاحة؛ لأن الاحتلال الإسرائيلي منع الإطفائيات والناس من الوصول للأقصى، ومن استطاع من سكان البلدة القديمة أن يصل إلى القدس وصل للمساهمة في إطفاء الحريق².

وفي عام 1971م وجه روجي الخطيب مذكرة أخرى للسلطات الأردنية المختصة، واستعرض فيها الاعتداءات التالية:

1. اعتداء يهودي أمريكي على كنيسة القيامة في 24 شباط (فبراير) 1971م، حيث حطم قناديل الزيت والشموع المقامة على القبر المقدس، ثم اعتلى القبر المقدس، وداس عليه بقدميه.
2. مصادرة قطعة أرض كبيرة لبطيركية الروم الأرثوذكس، تقع بين فندق الملك داود ومحطة سكة الحديد بالقدس.
3. مصادرة عمارة فندق "فاست" التابعة لبطيركية الأرمن الأرثوذكس، بحجة عدم صلاحيتها للاستعمال، وهدمت العمارة، ثم باعت الأرض لشركة اسرائيلية، بغية انشاء فندق جديد عليها.
4. إجراء عملية بيع مزورة في نيويورك استهدفت نقل ملكية دير النوتردام للجامعة العربية في القدس.

¹ الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية (5)، جمع وتصنيف: جورج خوري نصر الله، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية والجامعة اللبنانية، ط1، 1971م، ص248-249.

² صبري وحنا، عكرمة وعطالله، عناق الصليب والهلال مسيحيون ومسلمون معا من أجل القدس، هيئة تنشيط السياحة في محافظة أريحا والأغوار، (أريحا، مطبعة المنار الحديثة، 2003م)، ص37؛ مرجع سابق، خوري، مقابلة خاصة.

5. الاستيلاء على جميع أبنية مدرسة شنلر الألمانية.

6. الاستيلاء على أملاك الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وسط المدينة، وهي المعروفة "بالمسكوبية"، وتضم

عددا من العمارات الضخمة، منها المستشفى الحكومي، وعمارة المحاكم، والبوليس، والسجن المركزي،

زمن الانتداب البريطاني¹.

وهنا نلاحظ أن مذكرة روجي الخطيب، كانت مخصصة للاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات المسيحية،

وفي ذلك دليل دامغ على حرص المسلمين على المقدسات المسيحية، وسعيهم لإنقاذها من مخططات التصفية،

فلا غضاضة عند المسلمين والمسيحيين، أن يحمل فريق منهم لواء الدفاع عن مقدسات الفريق الآخر.

الإبعاد عن القدس:

وفي سبيل الدفاع عن الوطن تعرض المسلمون والمسيحيون للإبعاد عن مدينة القدس، ففي عام 1967: تم

إبعاد الشيخ عبد الحميد السائح، (رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية) ، أما

المبعدون عام 1968 فهم: زليخة الشهابي، (رئيسة اتحاد الجمعيات الخيرية لمحافظة القدس، ومؤسسة جمعية

الاتحاد النسائي العربي في القدس)، وروحي الخطيب، (أمين القدس)²، والمحامي والوزير السابق كمال الدجاني،

والنائب والوزير السابق داود الحسيني، والمعلم سليمان حنا جريس، والخياط نبيل مُجدِّ قباني، والطالب غازي

الحسيني، والموظف نبيل عصمان النمري، والدكتور نبيه معمر، وفي عام 1969 تم إبعاد كلا من: الوزير السابق

انطوان عطالله، وعلي عويضة، والطالب فحري ابراهيم النشاشيبي، واسحق عمر حجاوي، والمعلمة عبلة طله،

¹ مرجع سابق، نظام الدين والدجاني، القدس إيمان وجهاد، ص 134-135.

² مبعدون فلسطينيون من العام 1967 حتى 1987، وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا":
(<http://www.wafa.ps/arabic/index.php>).

والمعلم خليل حسن¹، والمطران إيليا خضر خوري، (المطران المساعد في مطرانيه القدس والشرق الأوسط)، أما المعلم محمود شقير، فقد أبعده عام 1974م، وفي عام 1978، تم ابعاد فاطمة مُجَّد علي برناوي، (أول أسيرة فلسطينية في سجون الاحتلال التي اعتقلت عام 1967)، والمطران هيلاريون كابوتشي • (مطران كنيسة الروم الكاثوليك في القدس)².

ومن بين المناضلين المسيحيين، المطران هيلاريون كابوتشي، اعتقل عام 1974م نتيجة مواقفه المناهضة للاحتلال، والمتضامنة مع حقوق الشعب الفلسطيني³، ووجهت له تهمة تهريب السلاح للمقاومين الفلسطينيين في صندوق سيارته⁴، فحكم عليه بالسجن 12 عاماً⁵، قضى منها 4 أعوام، وخرج بناءً على تدخل بابا الفاتيكان بولس الثالث، بعد أن خاض اضراباً عن الطعام لمدة 37 يوماً، وكانت حياته في خطر، وأطلق سراحه شرط ابعاده عن القدس⁶، وهو يعيش بمنفاه في روما⁷.

¹ مرجع سابق، نظام الدين والدجاني، القدس إيمان وجهاد، ص 160-161.
• المطران هيلاريون كابوتشي رجل دين مسيحي من أصل سوري، ولد في حلب عام 1922م، أصبح مطراناً لكنيسة الروم الكاثوليك في القدس عام 1965م، وقد عرف المطران كابوتشي بمواقفه الوطنية وانتمائه للقضية الفلسطينية، بحيث لم يمنعه منصبه الديني من دعم الثورة الفلسطينية، وقد استثمر علاقاته مع الفاتيكان لتوضيح الممارسات والاعتداءات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني للعالم. (المطران هيلاريون كابوتشي، اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس في فلسطين (HCC): (<http://www.hcc-plo.ps>)).

² مرجع سابق، مبعدون فلسطينيون من العام 1967 حتى 1987، وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا".

³ المطران هيلاريون كابوتشي، برنامج لقاء اليوم، قناة الجزيرة، 8 أيلول (سبتمبر) 2000م: (<http://www.aljazeera.net/programs>).

⁴ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 178.

⁵ مرجع سابق، المطران هيلاريون كابوتشي، اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس في فلسطين (HCC).

⁶ مرجع سابق، المطران هيلاريون كابوتشي، برنامج لقاء اليوم، قناة الجزيرة.

⁷ مرجع سابق، المطران هيلاريون كابوتشي، اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس في فلسطين (HCC).

وقد التحق بعدها بمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث أصبح عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني، وبدأ فضح الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، وتقديراً لجهوده صدرت طابع بريدية تحمل صورته في كل من السودان ومصر والعراق وليبيا وسوريا¹.

من خلال ما سبق ندرك أن سياسة الإبعاد شملت كافة شرائح المجتمع من أبناء الديانتين، فكان من بين المبعدين قيادات دينية، وسياسية، وثقافية، واجتماعية، ومعلمين، وطلاب، وموظفين.

اتسمت تلك المرحلة، وبالتحديد منذ 1975 وحتى 1987، باتباع استراتيجيتين أساسيتين، إحداهما المقاومة السلبية، التي كانت امتداداً للفترة السابقة، وشكلاً من أشكال التكيف تحت الاحتلال من أجل البقاء، وتأكيد الهوية الوطنية، وهي استراتيجية النخبة ومنظمة التحرير، أما المناضلين والشباب في الحركة الطلابية الفلسطينية، فقد طوروا أسلوب المقاومة النشطة في مواجهة التنظيم السليبي، فأسسوا بنية تحتية في ميادين: الصحة، والتعليم، والزراعة، ضمن إطار المقاومة الجماهيرية².

وخلال تلك الفترة تركزت المنظمات الاجتماعية، والثقافية، في القدس، مما أدى إلى اعتبارها مركزاً للنشاطات الفلسطينية، وقد كان لتلك المؤسسات تأثيرها على المدينة، كما أن الصحف والمسارح وغيرها، اختارت القدس الشرقية مركزاً رئيساً لنشاطاتها، فساهم ذلك في الحفاظ على الهوية العربية³.

¹ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص178-179.

² مرجع سابق، منصور، المقاومة الوطنية في القدس (1997-1918م)، ص144.

³ المرجع السابق، منصور، ص144.

المطلب الثالث: الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987-1994م

كانت انتفاضة الحجارة عام 1987م نتاجا لسلسلة من التراكمات الكمية والنوعية على الصعيد الفلسطيني طوال سنوات الاحتلال، فالاستيطان والاعتقالات، والأوامر العسكرية، وعمليات القتل، وإغلاق البيوت وهدمها، والقيود على الحركة والسفر، والاعتداء على الأماكن المقدسة، وسياسة الإبعاد، كل ذلك أدى إلى حالة من الاحتقان الشعبي، الذي انفجر في وجه الاحتلال الإسرائيلي¹.

انطلاق الانتفاضة في القدس:

ولذلك اندلعت شرارة الانتفاضة في 8 كانون الأول (ديسمبر) 1987م، ولحقت القدس بركب الانتفاضة مبكرا، ففي يوم السبت 12 كانون الأول (ديسمبر) شهدت المدينة اضطرابا تجاريا شاملا، وتظاهر طلبة الكلية الإبراهيمية، ووضعوا حواجز الحجارة والإطارات المشتعلة على الطرق الرئيسية، ورشقوا قوات الاحتلال بالحجارة، فأطلق جيش الاحتلال قنابل الغاز على المتظاهرين، وهدد الجيش بفتح المحلات التجارية بالقوة².

وقد كانت أهمية امتداد الانتفاضة إلى القدس، تتمثل في أمرين: الأول: إثبات أن القدس هي جزء من المناطق الفلسطينية المحتلة عام 1967م، وأن ادعاءات ضمها وتهويدها واعتبارها عاصمة للاحتلال الإسرائيلي

¹ عودة، أحمد، المقاومة السلمية: تاريخ وآفاق.. فلسطين نموذجاً، مجلة شؤون فلسطينية، (بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، 2012م)، العددان 249-250، ص74-75.

² حمدان، غسان، الانتفاضة المباركة.. وقائع وأبعاد، (لا.م، مكتبة الفلاح، 1989م)، ص46.

مجرد مزاعم تنافي الواقع. والثاني: الاستفادة من وضع القدس الشرقية القانوني؛ للنشاط في المجالين الإعلامي والدبلوماسي، يجعلها حلقة اتصال الانتفاضة مع العالم الخارجي¹.

لذلك كانت الانتفاضة ردا قويا على المنادين بضرورة التكيف مع واقع الاحتلال، عن طريق المشاركة في الانتخابات البلدية في المدينة، وهو ما رفضه عموم أهالي القدس².

وفي يوم الأحد 13 كانون الأول (ديسمبر) انطلقت مظاهرة كبيرة من كلية الأمة، رفع خلالها المتظاهرون علم فلسطين، ورشقوا السيارات العسكرية لجيش الاحتلال بالحجارة والزجاجات الحارقة، واعترف الاحتلال بأن إحدى هذه الزجاجات أصابت باصا إسرائيليا كان يمر في شارع صلاح الدين، ولكنه ادعى أنه لم يقع إصابات. وخاض طلبة كلية العلوم في أبو ديس في اشتباكات عنيفة مع جيش الاحتلال، الذي أطلق الرصاص الحي باتجاه الطلبة، مما أدى إلى إصابة عدد منهم بجراح مختلفة³.

وفي الخامس عشر من الشهر ذاته عم الإضراب الشامل مدينة القدس، فأغلقت المحلات التجارية، وتعطلت الدراسة في المدارس، وامتنع العمال عن التوجه إلى العمل، احتجاجا على اعتزام شارون الإقامة بشكل دائم في الحي الإسلامي قريبا من المسجد الأقصى، فحطم الشباب سيارة للاحتلال، وحاصروا المنزل الذي استولى عليه شارون⁴.

¹ الكايد، أحمد، القدس في خضم الانتفاضة الشعبية.. خلفيات وأبعاد، مجلة صامد الاقتصادي، (عمان، مؤسسة صامد، السنة الثالثة عشرة، ع85، تموز (آب-أيلول) 1991م)، ص66.

² مرجع سابق، منصور، المقاومة الوطنية في القدس (1997-1918م)، ص145.

³ مرجع سابق، حمدان، الانتفاضة المباركة.. وقائع وأبعاد، ص48.

⁴ المرجع السابق، حمدان، ص55.

وفي يوم الجمعة 18 من ذلك الشهر خرجت جموع المصلين من المسجد الأقصى في مظاهرة ضمت عشرات الالاف، فهاجمت بالحجارة جنود الاحتلال الإسرائيلي عند باب العامود والساهرة، مما أدى إلى استشهاد خليل حسني بسبب الغاز، واصابة عدد من المشاركين بالرصاص. وما ميز ذلك اليوم مشاركة عائلات بأكملها من آباء وأمهات وفتية وفتيات في المظاهرة¹.

ولأول مرة في تاريخ المدينة فرضت الشرطة الإسرائيلية منع التجول على بعض الأحياء العربية، ففي 22 كانون ثاني (يناير) فرض منع التجول على حي الطور في جبل الزيتون، وجلبت قوات من الجيش الإسرائيلي، وحرس الحدود، إلى القدس الشرقية، لمساعدة الشرطة؛ إلا أنها فشلت في مواجهة أحداث الانتفاضة².

الانتفاضة التي انطلقت بوسائل بدائية جدا، تتمثل في الحجارة والزجاجات الحارقة (المولوتوف)، أزعجت قوات الاحتلال، وأرقت قيادة الحكومة الإسرائيلية، الذين ظنوا نجاح خطتهم، الرامية لسلخ القدس عن محيطها العربي، وهذا يدل أن أي شعب يملك إرادة الصمود والمقاومة، ويتمتع بوحدة وانسجام بين كافة مكوناته الدينية والثقافية والاجتماعية، يمكن أن ينتصر على بطش الاحتلال، الذي يملك القوة العسكرية والتكنولوجيا الحديثة، وكافة وسائل القمع.

أما يوم الأحد 31 كانون الثاني (يناير) 1988م فشهد أول مواجهة بين المسيحيين وقوات الاحتلال منذ بدء الانتفاضة، فقد أقام المسيحيون صلاة خاصة في كنيسة القيامة تضامنا مع المجاهدين، واحتجاجا على

¹ المرجع السابق، حمدان، ص62.

² مرجع سابق، منصور، المقاومة الوطنية في القدس (1977-1918م)، ص145.

اجراءات الاحتلال من قمع وابعاد وتعذيب، وخرجت مظاهرة نسائية من الكنيسة، فرشقت جنود الاحتلال الإسرائيلي بالحجارة، فأطلقت قوات الاحتلال نحوهم قنابل الغاز المسيلة للدموع، واعتقلت عددا منهم¹.

وهنا نجد أن المسيحيين شاركوا في فعاليات الانتفاضة بعد أكثر من شهر ونصف من انطلاقها، فماهي أسباب ذلك التأخير؟، هل نأى المسيحيون بأنفسهم عن الانتفاضة، أم أن مرد ذلك للظروف التي كانت تحيط بالواقع المسيحي؟.

من خلال ما سبق عرضه من المواقف المسيحية على مدار الثورة الفلسطينية، يظهر أن المسيحيين عايشوا الثورة والمقاومة الفلسطينية في كافة مراحلها، فكانوا يشعرون بنبض الشارع العربي، وينحازون للعروبة والتاريخ المشترك في كل محطة من محطات الصراع مع العدو الصهيوني، لكنني أعتقد أن الشارع المسيحي كان بانتظار إشارة البدء من قيادته الدينية والسياسية، فلما جاءت الإشارة من الكنيسة الأولى في فلسطين، شارك المسيحيون رجالا ونساء بقوة، فعاد الزخم للمقاومة ضد الاحتلال، بمشاركة مكون فاعل، كما عاد للعلاقات الإسلامية المسيحية، إذ إن الصلاة التي أقيمت في كنيسة القيامة كانت تضامنا مع المجاهدين المسلمين.

وهنا ربما يثير البعض شبهة عدم انخراط المسيحيين في الانتفاضة، ويرد عليها الأب عطالله حنا بقوله: لقد قدم المسيحيون عدداً من الشهداء في الانتفاضة، وهناك جرحى ممن أصيبوا في الشوارع، وفي المقاومة، وفي الاشتباكات، وليس فقط في بيوتهم².

ويضيف حنا "مع أن عدد المسيحيين في الأراضي المقدسة ليس أكثر من 2 أو 2.5 %، فإن هذا لا يعني على الإطلاق بأنه لم يكن لنا دور في الانتفاضة. النضال المسيحي الفلسطيني لم يبتدأ مع الانتفاضة، هو

¹ مرجع سابق، حمدان، الانتفاضة المباركة.. وقائع وأبعاد، ص148.

² حنا، عطالله، برنامج "بلا حدود"، قناة الجزيرة، 22 تشرين ثاني (نوفمبر) 2000م.

منذ النكبة الفلسطينية وقبلها وبعدها. الشخصيات الفلسطينية المسيحية، القياديين المسيحيين الفلسطينيين، رجال الدين الوطنيين كلهم ساهموا في النضال الوطني الفلسطيني، وتحديدًا في هذه الانتفاضة الأخيرة (انتفاضة الأقصى)، منذ اليوم الأول كنا في الساحة، ذهبنا إلى باحات المسجد الأقصى، وأعربنا عن وقوفنا إلى جانب أولئك الذين يدافعون عن قدسية المسجد الأقصى، زرنا المستشفيات، عقدنا سلسلة من الاجتماعات الاستنكارية، تحدثنا مع وسائل الإعلام، ذهبنا إلى جنيف، إلى الأمم المتحدة¹.

تنوعت وسائل المقاومة التي اتبعتها المسلمون والمسيحيون في هذه الانتفاضة، فتم التعبير عن الغضب الشعبي من خلال المظاهرات والاضرابات التجارية، وكانت أشكال المواجهة مع الاحتلال هي: الحجارة، والزجاجات الحارقة، وحرق سيارات الشرطة والمستوطنين، والمنشآت الإسرائيلية، ثم تطورت فبدأت عمليات طعن المستوطنين بالسكاكين، ووضع العبوات الناسفة².

أما المقاومة الاقتصادية، فتمثلت في مقاطعة البضائع الإسرائيلية، والامتناع عن دفع الضرائب³، وقد كانت البيانات هي الوسيلة الإعلامية التي يعتمد عليها المسلمون والمسيحيون في نشر أخبار الانتفاضة، وتوعية الجماهير العربية بضرورة التصدي للإجراءات الإسرائيلية، وقد كانت هذه البيانات تصدر عن لجنة التوجيه الوطني، والهيئة الإسلامية، والفصائل الفلسطينية⁴.

كما كان المسلمون والمسيحيون يعقدون المؤتمرات الصحفية؛ لفضح الممارسات الإسرائيلية الخطيرة في القدس، والتحذير من الإعتداءات على المقدسات الإسلامية والمسيحية، وكانت كل المؤتمرات الصحفية التي

¹ المرجع السابق، حنا، عطاء، مقابلة مع قناة الجزيرة في برنامج "بلا حدود".

² مرجع سابق، الكايد، القدس في خضم الانتفاضة الشعبية.. خلفيات وأبعاد، ص 67.

³ مرجع سابق، منصور، المقاومة الوطنية في القدس (1997-1918م)، ص 145.

⁴ مرجع سابق، العضايلة، القدس.. بوابة الشرق الأوسط للسلام، ص 63.

عقدت بهذا الخصوص تضم متحدثين من المسيحيين، إلى جانب إخوانهم المسلمين، سواء كانوا سياسيين، أو رجال دين مسيحي، ونتيجة لهذه الوحدة الإسلامية المسيحية، كان الشعب الفلسطيني يهب كله للوقوف في وجه الاحتلال سواء كان الاعتداء على مسجد أو كنيسة¹.

ومن بين القيادات الإسلامية والمسيحية، التي تقود هذا الحراك المشترك: عكرمة صبري، ومُحَمَّد حسين، وعطالله حنا، وحنا عيسى، كما أن الوفود التي تزور الدول؛ للدفاع عن القضية الفلسطينية، تكون مشتركة من المسلمين والمسيحيين².

التضامن الإسلامي المسيحي في الانتفاضة:

أدرك الاحتلال الإسرائيلي منذ بداية الانتفاضة الدور الرئيس للمسجد والكنيسة، ولذلك بدأ بمحاربتهم، فاعتدى على العلماء المسلمين ورجال الدين المسيحي، وعلى دور العبادة.

فقد شهد شهر نيسان (أبريل) 1988م، جملة من الاعتداءات، ففي الأول من ذلك الشهر اعتدت قوات الاحتلال على الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس بعد صلاة الجمعة، وفي 13 من الشهر اعتقلت عددا من حراس المسجد الأقصى، وفي 17 اقتحمت المحكمة الشرعية، وفي ذلك العام تم تقديم خطيب المسجد الأقصى للمحاكمة بتهمة توجيه نداء للمسلمين من مأذن الأقصى للدفاع عنه³.

ورغم تلك الإعتداءات، استمر النضال الإسلامي المسيحي، ففي عيد الفصح عام 1988م، رفع المسيحيون الأعلام السوداء على أسطح البنايات حدادا على شهداء الانتفاضة، وأعلنوا أن الخطر لا يتهدد

¹ صبري، عكرمة، خطيب المسجد الأقصى المبارك ورئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس، مقابلة خاصة: السبت 4 نيسان (أبريل) 2015م

² عطون، أحمد، نائب عن مدينة القدس على قائمة التعبير والإصلاح، مقابلة خاصة: الأربعاء تشرين أول (أكتوبر) 2014م.

³ مرجع سابق، الكايد، القدس في خضم الانتفاضة الشعبية.. خلفيات وأبعاد، ص72.

المسلمين وحدهم، وأماكن عبادتهم في المدينة. فقال القس يوحنا في كنيسة المهدي: "إن القدس ستظل حزينة، وستواصل ذرف الدموع إلى أن يزال عن كاهلها الاحتلال العنصري"¹.

وفي 11 نيسان أبريل 1990م، تجلت أروع صور التضامن بين المسجد والكنيسة، كان ذلك حينما تم الاعتداء على بطريك القدس للروم الأرثوذكس مع عدد من رجال الدين المسيحيين، عندما استولى (150) مستوطننا على دار الضيافة التي تملكها كنيسة الروم الأرثوذكس (دير ماريو حنا المجاور لكنيسة القيامة)، في قضية الاستيطان الشهيرة التي شغلت الرأي العام العالمي لمدة أشهر، وردا على ذلك الاعتداء أعلن رجال الدين المسيحيين من كافة الطوائف إغلاق جميع الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين لمدة يومين للمرة الأولى منذ ثمانية قرون، وتضامن معهم العلماء المسلمون بإغلاق المسجد الأقصى وقبة الصخرة أمام الزوار والسياح².

أما موقف المسيحيين من قتل المسلمين وانتهاك مقدساتهم، فمثاله التعقيب على مجزرة المسجد الأقصى يوم 8 تشرين الأول (أكتوبر) 1990م، التي ذهب ضحيتها (23) شهيدا فلسطينيا، وأكثر من (300) جريح³، إذ أعلن ميشيل صباح بطريك اللاتين، في بيان صادر عن رؤساء الطوائف المسيحية في القدس، إدانة مجزرة المسجد الأقصى، وخلق الأجواء الاستفزازية التي تقود إلى الصراع والمواجهة⁴.

وفي 10 آب (أغسطس) 1992م شارك صباح مع الشيخ سعد الدين العلمي، مفتي القدس؛ والشيخ محمد حسين، إمام المسجد الأقصى؛ والمطران لطفلي لحام، أسقف الروم الكاثوليك؛ والمطران سمير قفيعتي، أسقف الكنيسة الأنغليكانية؛ بتوجيه رسالة إلى الفاتيكان نيابة عن المسلمين والمسيحيين الموجودين في

¹ المرجع السابق، الكايد، ص72.

² المرجع السابق، الكايد، ص72.

³ المرجع السابق، الكايد، ص73.

⁴ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص173.

فلسطين منذ عام 1948، يطالبوه فيها بعدم نسيان قضيتهم، وعدم تبني سياسة يمكن أن تسيء في المستقبل إلى وضع المدينة¹.

لم تنجح اجراءات الاحتلال الإسرائيلي في تجميد المساجد والكنائس وإبعادهما عن الصراع، وفشلت في المس بالروح النضالية للبطاركة والقساوسة والشيخ والعلماء، فالملاحظ أنها كلما اعتدت على دور العبادة أو الرموز الدينية لأبناء الديانتين، ازدادت جذوة المقاومة، والتف الناس حول قياداتهم الدينية؛ لمواصلة الدفاع عن مقدساتهم وحقوقهم في وجه محاولات الاجتثاث من الأرض والهوية.

ورغم ذلك فإن الانتفاضة لم تحقق أهدافها التي انطلقت من أجلها، أو التي كان يأمل الفلسطينيون تحقيقها، وذلك لعدة أسباب، منها: الظروف الإقليمية والدولية التي رافقت سنوات الانتفاضة، خاصة بعد اختيار المعسكر الاشتراكي واندلاع حرب الخليج الثانية، والصراعات الفلسطينية الداخلية بين الفصائل المختلفة، وتوجه تيار كبير داخل منظمة التحرير الفلسطينية نحو التسوية السياسية، ثم توقيع اتفاقية أوسلو التي أضعفت لهيب الانتفاضة².

ويرى الباحث أن المجتمع المقدسي، لم يكن ينقصه الاستعداد للتضحية، إذ قدم الشعب الفلسطيني في القدس صورا بطولية مشرقة، لكن ما توفر لمراحل الثورة الفلسطينية في الثلاثينيات، لم يتوفر في هذه المرحلة، فقد كانت القدس تفتقر إلى وجود هيئة قيادية عليا تجمع المسلمين والمسيحيين، وكذلك قيادات إسلامية ومسيحية، ذات حضور وتأثير في المجتمع المقدسي.

¹ المرجع السابق، أبو جابر، ص173.

² مرجع سابق، العضيلة، القدس.. بوابة الشرق الأوسط للسلام، ص64-65.

ويتمثل دور الهيئة القيادية الموحدة في ما يلي: استنفار الطاقات الإسلامية المسيحية في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، وتحديد أهداف مرحلية واستراتيجية للانتفاضة، يتم العمل على تحقيقها، وتعريف الرأي العام العالمي بحقيقة الانتفاضة وأهدافها، وارسال الوفود التي تمثل الثورة في المحافل العربية والدولية.

University of Malaya

الفصل الرابع: تحديات وآثار ومستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين

في بيت المقدس

المبحث الأول: تحديات التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

المبحث الثاني: آثار ومستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

المبحث الأول: تحديات التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

يواجه المجتمع العربي في القدس العديد من التحديات، ويمكن ادراجها تحت قسمين رئيسيين، هما: تحديات داخلية، وتحديات خارجية. ومع أن هذه التحديات تشكل عائقاً أمام علاقة سليمة بين أبناء البلد الواحد، إلا أن المسلمين والمسيحيين في القدس، تكيفوا مع الواقع الصعب، وانتصروا عليه، فحافظوا على مكتسبات التعايش السلمي.

المطلب الأول: التحديات الداخلية

أولاً: الهجرة المسيحية من القدس:

تؤدي الهجرة من البلد إلى تناقص الأعداد وتغيير في طبيعة العلاقات داخل الكنيسة الواحدة، وفي علاقاتها مع الكنائس الأخرى ومع المجتمع ككل. وهنا لن يتطرق هذا المبحث للهجرة القسرية، التي تعرض لها المسلمون والمسيحيون على حدا سواء عام 1948، وإنما عن الهجرة المسيحية الطوعية، والناجمة في الأساس بفعل الاجراءات الإسرائيلية.

لمحة عن هجرة المسيحيين:

ترك الصراع العربي الإسرائيلي آثاره السلبية على الحضور المسيحي في القدس، فمع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام 1948، هجر ما يقرب من (750) ألف فلسطيني من أرضهم، ومن بين السكان

الذين عانوا تجربة اللجوء ما بين (40.000) إلى (50.000) من المسيحيين العرب، الذين كانوا أكثر من ثلث السكان المسيحيين في فلسطين سنة 1948م¹.

وفي عام 1944م تجاوزت أعداد المسيحيين في القدس (30.000)²، وبمعادلة إحصائية مستندة إلى نمو سكاني مسيحي بنسبة (2%)، كان يجب أن تصل أعدادهم إلى (60.000) عام 1979، ووفق المعادلة ذاتها، يفترض أن يصبح المسيحيون في القدس (120.000) عام 2014³، غير أنهم أصبحوا أقل من (5000) في أواخر 2012م⁴.

وتفسير ذلك أن عدد المسيحيين أصبحوا (10.982) عام 1961، وبقي هذا العدد على حاله دون زيادة، بعد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة عام 1967، وتعزى عدم الزيادة السكانية بين العامين 1961 و 1967، إلى العوامل الدافعة، وإلى أن الكثيرين من أهل القدس قد انتقلوا للسكن في العاصمة الأردنية عمان، حيث توفرت الفرص أكثر بكثير منها في القدس⁵.

وحول نسب المهاجرين من أبناء الطوائف المسيحية، منذ عام 1967 وحتى 1975، نجد أن طائفة الروم الأرثوذكس كان عدد أفرادها (5000) فأصبح (4500)، أما الكاثوليك فكان عددهم (7000)

¹ عيسى، حنا، النكبة طالت مسيحيي فلسطين أيضا، منشور على الانترنت.

² المرجع السابق، عيسى.

³ مرجع سابق، سايبلا، الكنائس والمقدسات المسيحية في مواجهة التحديات الإسرائيلية، ص256.

⁴ مرجع سابق، عيسى، مقابلة خاصة.

⁵ سايبلا، برنارد، المؤتمر العام للعرب المسيحيين في الأردن وفلسطين المنعقد في عمان تحت الرعاية الملكية، 11 شباط (فبراير) 2002، صحيفة البيان، 27 آذار (مارس) 2002م.

فانخفض إلى (4000)، والأرمن كانوا (3000) فأصبحوا (2000)، فيما كان عدد أتباع الطوائف الأخرى (3300) فوصل إلى (2360)، وذلك نتيجة سياسة تضيق الخناق على المسيحيين¹.

وقد أثارت تلك الأرقام كبار رجال الدين المسيحي، وفي مقدمتهم القاصد الرسولي في القدس رئيس الأساقفة "لافي"، الذي قال إن نزوح السكان المسيحيين العرب من القدس، سيؤدي إلى نزوح المسيحية فيها معهم².

لكن ذلك لم يكن كافياً، في ظل هجرة جماعية، فقد كان الأجداد هو التنبه لذلك الخطر، والبحث عن حلول مناسبة لتثبيت المسيحيين في أرضهم رغم كل المضايقات، حتى يتم المحافظة على التفوق الديمغرافي العربي في القدس، سيما أن الأعوام اللاحقة شهدت زيادة في أعداد المهاجرين المسيحيين.

وهو بالفعل ما حدث، فمنذ بدء الاحتلال عام 1967، وحتى نهاية 1993م، كان عدد المسيحيين المهاجرين من الضفة وقطاع غزة ما يقارب (13.000)، منهم (8000) من الضفة، و (5000) من غزة³. وتشير احصاءات الهجرة من مسوحات مختلفة منذ العام 1990، بأن المسيحيين يتكون البلد بنسبة الضعفين مقارنة ببقية السكان⁴.

¹ مرجع سابق، الخطيب، الاجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس بين 1965-1975م، ص110.

² المرجع السابق، الخطيب، ص110.

³ مرجع سابق، عيسى، النكبة طالت مسيحيي فلسطين أيضاً.

⁴ Fargues, Philippe, "Demographic Islamization: Non-Muslims in Muslim countries", SAIS Review 21, No.2,

P.P 103-16, Summer/Fall 2001.

وقد نجح الاحتلال إلى حد ما في تهويد المدينة، وطرد السكان العرب، واحلال اليهود بدلا منهم، فحاليا عدد السكان أكثر من مليون، منهم أكثر من (750) ألف مستوطن يهودي، والباقي عرب، فيما كان عدد اليهود عام 1947 (100.000)، والعرب (105.000)¹.

وإذا استمر هذا النزيف فلن يكون الوجود المسيحي في القدس هو المهدد فحسب، بل إن القضية الفلسطينية مهددة؛ لأن معنى ذلك إخراج المسيحيين والمسيحية في العالم من دائرة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي².

أسباب الهجرة:

كانت بداية الهجرة المسيحية الطوعية، بعد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة عام 1967م، وكان مقصدها إلى الأردن؛ لتوفر فرص العمل أكثر بكثير منها في القدس³.

وهنا تتضح أسباب الهجرة، فهي في الغالب سياسية واقتصادية، فهي مرتبطة بعوامل الحرب والسلام، وعدم الاستقرار الناتج عن استمرار الاحتلال وآثاره الاقتصادية المدمرة، والتساؤل دائما عن مستقبل المجتمع الفلسطيني، ومصير مؤسساته السياسية والاجتماعية⁴.

فالمخطط الإسرائيلي لتهويد المدينة، وإيجاد طابع يهودي بدل الطابع العربي، هو التحدي الكبير الذي يواجهه المسيحيين، ولتحقيق ذلك الهدف تعرض المسيحيون لجملة من الإجراءات، منها: الاعتقالات، ومصادرة

¹ مرجع سابق، عيسى، مقابلة خاصة.

² مصلح، عيسى، الناطق الرسمي لبطيركية الروم الأرثوذكس المقدسية، مقابلة خاصة: الأربعاء 15 نيسان (أبريل) 2015م.

³ عيسى، حنا، النكبة طالت مسيحيي فلسطين أيضا، منشور على الانترنت.

⁴ Fargues, Philippe, "Demographic Islamization: Non-Muslims in Muslim countries", SAIS Review 21, No.2,

P.P 103-16, Summer/Fall 2001.

الأراضي، وهدم المنازل، وفرض الضرائب الباهظة، وتدني الأجور، ومنع الناس من الوصول إلى دور العبادة، والاعتداء على المقدسات، واغلاق المؤسسات، والتمييز العنصري¹.

ويرى مسيحيون أن الأمر ليس دائما متعلقا بالاحتلال الإسرائيلي، فتعدد المرجعيات المسيحية وضعفها عامل يضاف إلى عوامل الهجرة، فشعور المسيحي أنه لا يحظى بجهة محددة تمثله وتدافع عن حقوقه، يشجعه على الهجرة إلى الخارج؛ للبحث عن العدالة الاجتماعية، وعن هامش أكبر من الحرية².

ومن هؤلاء أيضا، حنا عيسى، الذي يرى أن أحد الأسباب الرئيسة للهجرة هو "إهمال القيادات الروحية - ومعظمها غربية عن سكان البلاد - لواجباتها في تقوية انتماء المسيحيين للكنيسة الوطنية وارتباطهم بها، وجمعهم حول مؤسساتها الاجتماعية"³.

ليس هذا فحسب، بل إن البطريرك اليوناني في البطريركية الأرثوذكسية في القدس قال بتاريخ 22 أيلول (سبتمبر) 1992م: "هذه الكنيسة هي كنيستنا، فهذه الكنيسة هي كنيسة اليونان، وإذا كان العرب لا يقبلون بقانوننا، فليس لهم من بديل إلا اختيار كنيسة أخرى، كنيسة يقيمونها هم"⁴.

¹ مرجع سابق، عيسى، مقابلة خاصة.

² خزمو، جاك، الهجرة إلى الخارج.. العوامل الاجتماعية وغياب الممثل أو السند القومي للوجود المسيحي، البيادر السياسي، السنة السابعة والعشرون، ع927، حزيران 2007م، ص20.

³ عيسى، حنا، هجرة المسيحيين الفلسطينيين وتحديات البقاء، موقع حركة الشبيبة الأرثوذكسية،

<http://www.mjoa.org/cms/index.php/others/2011-12-29-09-32-16/5957-2012-02-20-10-09-26>

09-26

⁴ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص147.

وهو موقف خطير من أكبر كنائس القدس، فشعور المسيحيين الأرثوذكس بالغبرة في وطنهم، وفي الكنيسة التي يفترض أن تدافع عن حقوقهم، وتسعى لتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، يمكن أن يدفع كثيرين منهم للهجرة.

ورغم هذه الأسباب الواضحة للهجرة المسيحية، فإن الاحتلال الإسرائيلي والمتعاطفون معه، حاولوا أن يظهرُوا الأمر على عكس ذلك، إذ روجوا أن سبب الهجرة المسيحية ناتج عن تصاعد التيار الديني الإسلامي. وهذا مناف للحقيقة. فحسب المسوح والأبحاث المختلفة، أجمع المسيحيون الفلسطينيون الذين جرى أخذ رأيهم فيها، أن العامل الديني ليس له علاقة بقرار هجرتهم. وقد كان لانفتاح المسيحيين العرب على العالم الخارجي، واستعداد الحكومات الغربية لاستقبالهم، دورا مساعدا في الهجرة¹.

إذن يؤكد المسيحيون أن هجرة بعضهم ليست نتيجة اضطهاد أو مضايقة من المسلمين، ومع ذلك فالمطلوب وقوف المسلمين مع المسيحيين؛ من أجل وضع حلول جادة لوقف الهجرة، أو الحد منها، ذلك أن المستفيد الوحيد هو الاحتلال الإسرائيلي.

ومع أن الهجرة سلوك بعض المسلمين أيضا، لكنها تظهر عند المسيحيين بوضوح أكبر نظرا لقلّة أعدادهم، فنسبتهم لا تتعدى (2%) من سكان المدينة²، وهذا مرده إلى عزوف كثير من الشباب المسيحيين

¹ Prince EL Hassan bin Talal, "Jordanian Christians are Fully Integrated," The Middle East Quarterly, Winter 2001, Volume 8: Number 1.

² مرجع سابق، عيسى، مقابلة خاصة؛ مرجع سابق، صبري، مقابلة خاصة.

عن الزواج، بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية¹، وكذلك انخفاض معدل المواليد بين المسيحيين بسبب ارتفاع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي².

هذا الواقع يشكل خطرا حقيقيا على مستقبل مدينة القدس، فالمسلمون والمسيحيون يشكلون المجتمع العربي في المدينة، ويفترض أن يعضد كل منهما الآخر، في مقاومة الإجراءات الإسرائيلية لتهويد المدينة، ولذلك فإن غياب أحدهما، أو حدوث خلل في تركيبته حتى مع وجوده، سيؤدي إلى شرخ في جدار الصمود العربي في المدينة، سيما أن المسيحيين أقدر من المسلمين على مخاطبة الرأي العام العالمي، إضافة إلى أن الهجرة تعطي تفوقا ديموغرافيا لليهود.

تبهت قيادات مسيحية لهذا الأمر، فقد قال المطران تيموثيوس سكرتير البطريركية الأرثوذكسية: "إن الكنيسة الأرثوذكسية مدعوة مع باقي الكنائس في القدس، إلى مزيد من التعاون والعمل المخلص من أجل وقف نزيف الدم، والدفاع عن الحق، والوقوف في وجه الظلم..."³.

لكنها تبقى دعوات، لم ترتق بعد إلى برامج عمل، بحيث تشارك فيها الطوائف المسيحية، ويتم فيها التنسيق والتعاون على أعلى المستويات، بين مؤسسات المسلمين والمسيحيين، الدينية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

¹ خزمو، جاك، تضاؤل عدد المسيحيين لأسباب وعوامل عديدة، البيادر السياسي، السنة السابعة والعشرون، ع928، حزيران 2007م، ص20.

² مرجع سابق، عيسى، النكبة طالت مسيحيي فلسطين أيضا.

³ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص148.

ثانيا: تسريب المقدسات المسيحية للاحتلال الإسرائيلي:

أملاك الكنيسة الأرثوذكسية:

البطيريكية الأرثوذكسية هي الأكبر رعية وأوقافا وأملاكاً، إلا أن هذه الأوقاف استهدفت من الاحتلال الإسرائيلي منذ أواخر الحرب العالمية الأولى، وخاصة منذ حرب 1948م، فتم بيع قسم كبير منها أو تأجيرها لفترات طويلة تصل إلى 99 عاماً¹.

وبذلك خسرت الكنيسة الأرثوذكسية مقبرتها، وأراضي دير مارسابا في بيت لحم، وأراضي جبل أبو غنيم في القدس، التي تحولت إلى مستوطنة كبيرة تدعى "هارحوما"، وهي تكمل فصل القدس عن بيت لحم. كما فقدت أكبر مأوى لحجاج القدس من "المسكوب" أو أهل موسكو، وعليه يقوم حالياً معتقل المسكوبية، وفقدت أيضاً أراضي جبل أبو طور، وساحة عمر بن الخطاب في البلدية القديمة بالقدس².

وقد أقيم مقر الرئيس الإسرائيلي، والبيت الرسمي لرئيس الوزراء، ومبنى وزارة التربية والتعليم، والمتحف الإسرائيلي، على أراض تابعة للبطيريكية الأرثوذكسية غربي القدس، وهي أراضي حي النكفورية (الطالبية)، ودير أبو طور، وأبو غوش، ودير الصليب، والاحتلال يريد تملكها بصورة نهائية³.

أما مبنى البرلمان (الكنيست)، فأقيم على أرض "رحافيا"، الواقعة غربي القدس بعد أن استأجرتها "هيئة أراضي إسرائيل" سنة 1952م من الكنيسة الأرثوذكسية لمدة 99 عاماً. وبحسب العقد فإن لدولة الاحتلال

¹ المرجع السابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص55.

² مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص255.

³ الجرائم والاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات المسيحية، موقع اللجنة الملكية لشؤون المقدسات: <http://www.rcja.org.jo>

الحق تلقائياً بتمديد مدة العقد. كما أنه يمنح رئيس المحكمة العليا الإسرائيلية، حق تعيين محكم لوضع شروط تمديد العقد بما يراه مناسباً، ودون الرجوع للبطيركية، التي يجب عليها الموافقة¹.

وتبلغ مساحة هذه الأراضي (منزل رئيس دولة الاحتلال، ورئيس حكومتها، ومبنى البرلمان، ومبان حكومية وسكنية) الواقعة غربي القدس 250 دونماً، وتقدر قيمتها بأكثر من نصف مليار دولار. وقد عرض "الصندوق الدائم لإسرائيل" في 9 أيار (مايو) 2008م تجديد استئجارها لمدة 999 بدلا من 99 عاما، مقابل تسعة ملايين دولار².

كما استتجرت بلدية الاحتلال من البطيركية الأرثوذكسية، أرض الأنصاري لمدة 250 عاما، التي تبغ مساحتها أكثر من 25 دونماً، وتقع هذه الأرض على بعد مئات الأمتار من المسجد الأقصى المبارك، وقد أقامت قوات الاحتلال في المكان "حدائق توراتية"، في محاولة هدفها اكمال السيطرة على ما يسمى "الحوض المقدس" لتهويد القدس³.

فأقام عليها مبنى الكنيسة والمتحف الإسرائيلي، وأراضي القديس جيورجوس (الخضر) قرب بيت لحم، لشق طريق التفافي، كما تم تحويل الكثير من بنايات الوقف المسيحية في وسط القدس إلى مبان ووزارات ودوائر حكومية، وإلى متنزهات وساحات سيارات، كما في أراضي الوقف بباب العامود في شارع الأنبياء⁴.

¹ جريدة الحياة الجديدة، رام الله، 14 نيسان (أبريل) 2008م/ 8 ربيع الآخر 1429هـ، السنة الثالثة عشرة، ع4478، ص2.

² مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص256.

³ المرجع السابق، شامية، ص256.

⁴ مرجع سابق، الجرائم والاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات المسيحية، موقع اللجنة الملكية لشؤون المقدسات.

وقد أدى ذلك إلى وقوع خلاف كبير بين الرهبان اليونان المسيطرين على البطريركية، وبين الأرثوذكس العرب، الذين نهوا الشعب العربي للمخاطر الناجمة عن فقد هذه الأوقاف¹.

وعلى الجانب الإسلامي أدى هذا التفريط في بداية الأمر، إلى شعور بالغضب تجاه المسيحيين، لكن بمجرد أن أدرك المسلمون أن الاحتلال يحاول تمزيق هذه العلاقة، عادت العلاقات إلى طبيعتها، وخاصة عندما تم التفكير بشكل موضوعي، فالبطاركة الذين سربوا العقارات شخصيات غريبة، تعتبر استمرار للحملات الصليبية بشكل أو بآخر، وكانت منبوذة من المجتمع العربي في القدس².

ومع أن الكنيسة الأرثوذكسية اعتبرت أن من يتواطأ مع الاحتلال الإسرائيلي، ومن يفرط بذرة تراب من فلسطين، خارج عن وحدة الصف الأرثوذكسي، وعن وحدة الصف المسيحي والوطني، فإنها لم تتخذ أي اجراءات ضد الذين فرطوا بهذه الحقوق، سواء على الصعيد المسيحي أو الصعيد الوطني³.

لكن بعد قرار البطريرك ثيوفيلوس الثالث عام 2008، شكلت بطريركية الروم الأرثوذكس لجنة من كبار رجال الدين المسيحي؛ لبحث قضية أرض "رحافيا"، وذكرت البطريركية أن بحث القضية سيكون على أعلى المستويات الكنسية، ويتحلى بكامل الشفافية نظرا لحساسيته⁴.

ويطالب المسيحيون العرب حاليا السلطتين الفلسطينية والأردنية، بتعديل القانون الخاص بكنيستهم، بما يتيح رفع الهيمنة اليونانية عنها. أما الاحتلال الإسرائيلي فيرى أن من مصلحته الإبقاء على السيطرة اليونانية

¹ مرجع سابق، أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص55.

² مرجع سابق، عمرو، مقابلة خاصة.

³ حنا، عطاالله، مقابلة مع قناة الجزيرة في برنامج "بلا حدود"، 22 تشرين ثاني (نوفمبر) 2000م.

⁴ مرجع سابق، جريدة الحياة الجديدة، ص2.

على الكنيسة الأرثوذكسية، وبغياب تحرك قوي يستطيع تغيير واقع السيطرة اليونانية على الكنيسة الأرثوذكسية،
يعني أن أملاكها ستظل في خطر¹.

ويرى الباحث أن هذه قضية خطيرة للغاية، تستلزم وقفة فلسطينية شاملة، يشارك فيها المسلمون
والمسيحيون، على المستوى الشعبي والرسمي والفصائلي والنقابي؛ لأن تسريب العقارات المسيحية، لا يضر
بالمسيحيين فقط، وإنما بالمجتمع المقدسي عموماً.

¹ مرجع سابق، شامية، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص256.

المطلب الثاني: التحديات الخارجية

وأقصد بالتحديات الخارجية، هي التحديات الناتجة عن الاجراءات الإسرائيلية بحق المدينة، والاهمال

العربي للقدس، والتدخلات من الدول الغربية.

أولاً: _التحديات التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي:

1_ محاولات الايقاع بين المسلمين والمسيحيين:

بدأت سياسة التفريق بين أهل المدينة، مع بداية المشروع الصهيوني في فلسطين، إذ عملت بريطانيا والصهيونية بجدية لفتح ثغرات في جدار التآخي الإسلامي المسيحي، وذلك من خلال إثارة الثغرات الدينية والاقتصادية.

فعندما احتلت بريطانيا فلسطين، كانت تظن أن المسيحيين سيقفون إلى جانبها، نظراً لكونها دولة مسيحية، وكانت تظن أن بين المسلمين والمسيحيين كراهية دينية. ولذلك اعتقدت أنها ومن خلال البعثات والمدارس التبشيرية والمؤسسات المختلفة، التي كانت تعمل بالدرجة الأولى في الأوساط المسيحية، يمكن أن تكسب ود المسيحيين وتربطهم بسياستها، ثم تأييدها. لكنها فوجئت بوقوف المسيحيين إلى جانب المسلمين في وجه سياستها، فبدأت بمحاولة بذر بذور الفتنة بين المسلمين والمسيحيين¹.

وقد تنبه مثقفون مسيحيون لهذا الخطر، فحذر خليل السكاكيني عام 1948م، من سعي بريطانيا

وأمریکا بمعاونة من البعض؛ لإعادة نعمة المسلم والمسيحي والمدني والفلاح وكذلك نعمة الأحزاب².

¹ مرجع سابق، الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ج1، ص215-216.

² مرجع سابق، السكاكيني، يوميات السكاكيني، رسائل وتأملات، 2010م، الكتاب الثامن، ص254-255.

وبالفعل بدأ ذلك المخطط، ففي الميدان الاقتصادي كان معلوماً أن المسيحيين متقدمين اقتصادياً وتجارياً على المسلمين، وقد تعاون المسلمون معهم وشجعوهم؛ فاستغلت بريطانيا واليهود ذلك الوضع الاقتصادي؛ لإثارة المسلمين ضد المسيحيين، واستطاعوا تجنيد بعض المسلمين؛ لإثارة الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، لكن تلك الخطة فشلت بجهود قيادات المسلمين، الذين بينوا خطر تلك الفتنة، كما كان لوعي الشباب المسلمين دور في حماية الجبهة الإسلامية المسيحية، فقد تطوع عدد منهم لحماية المتاجر والممتلكات المسيحية¹.

وحيثما فشلت هذه المكيدة، تم إثارة قضية أخرى، وهي زيادة أعداد الموظفين المسيحيين على المسلمين في الوظائف الحكومية، فدفَعوا بعض المسلمين للمناداة بحقوق المسلمين، وحدثت بعض المناوشات بين الطرفين، لكن الوحدة الإسلامية المسيحية انتصرت، بعد أن تصدى زعماء الديانتين للفتنة².

لقد انتصرت الوحدة الإسلامية المسيحية، والسبب بسيط وعميق في الوقت عينه، وهو أن المسلمين والمسيحيين أدركوا منذ البداية، أن الوحدة واللحمة الوطنية هي الركيزة التي يستند إليها الوجود الفلسطيني. فمنذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى اليوم، فشلت محاولات كثيرة ومتنوعة، حاولت إيجاد شرح في التلاحم المسيحي الإسلامي³.

ولكن على المسلمين والمسيحيين، أن يدركوا أن وجود الاحتلال، يعني بالضرورة تكرار هذه المحاولات، بأشكال ووسائل مختلفة بطبيعة الحال، ولذلك لا بد من إيقاظ الوعي العربي على الدوام، وعلى القيادات الدينية

¹ مرجع سابق، الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ج1، ص219-220.

² المرجع السابق، الغوري، ج1، ص220-224.

³ مرجع سابق، خوري، رفيق، مقابلة خاصة.

والثقافية والسياسية، بذل جهود دائمة لتقوية مناعة المسلم والمسيحي، من أجل صد أي هجوم إسرائيلي، يستهدف النيل من هذه العلاقة التاريخية.

2_ تهويد القدس:

منذ الاحتلال الإسرائيلي الكامل لمدينة القدس عام 1967، شرعت قوات الاحتلال بسلسلة من الإجراءات لتهويد المدينة.

والمقصود بتهويد القدس، هي مجموعة الاجراءات والأساليب والسياسات التي يتبعها الاحتلال الإسرائيلي للسيطرة على القدس، وتحويل طابعها العربي، وطمس هويتها الثقافية العربية، وتغيير معالمها، وتثبيت الصفات اليهودية وتعميقها¹.

وأبرز تلك الاجراءات تتمثل في هدم البيوت ومصادرة الأراضي، وتهويد معالم القدس الجغرافية، والقضاء على النشاط الاقتصادي العربي، والعزل والإغلاق، اضافة إلى جملة من القوانين، التي تهدف لتفريغ المدينة من أهلها العرب.

ويهدف الاحتلال من خلال هذه المخططات الى تحقيق أهداف أمنية، واقتصادية، وسياسية، وديموغرافية، ودينية.

ولعل أخطر هذه الأهداف، هي الأهداف الديموغرافية، التي يسعى من خلالها الاحتلال لزيادة عدد السكان اليهود، وعرقلة نمو السكان العرب، واجبارهم على بناء منازلهم في أماكن أخرى. والأهداف الدينية التي

¹ مرجع سابق، زياد وآخرون، القدس عبر العصور، ص371.

تتمثل في طمس معالم الحضارة العربية والإسلامية في القدس، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المبارك¹.

وليس هذا الخطر مقتصرًا على المسلمين ودينهم ومقدساتهم فحسب، وإنما هو كذلك وبالقدر نفسه على المسيحيين ودينهم ومقدساتهم، إذ لم يسلم العلماء المسلمون ورجال الدين المسيحي من الأرهاب، ولم تتوقف الاعتداءات الإسرائيلية من الحكومات الإسرائيلية والمنظمات اليهودية، على المقدسات والمؤسسات الإسلامية والمسيحية.

وهو ما أثبتته دراسة للمحامي عيسى نخلة، ممثل الهيئة العربية العليا لفلسطين في نيويورك، حول محاولات اليهود لمحو المسيحية من القدس، وقد جاء فيها: "لقد خطط الصهاينة لإقامة دولة يهودية في فلسطين، بحيث يجب أن تكون يهودية مئة بالمئة، أما المسيحية والإسلام فيجب القضاء عليهما، وأما المسلمون والمسيحيون فيجب إقصاؤهم عن الدولة اليهودية. ويدعو المخطط الصهيوني إلى طرد كل من هو غير يهودي من فلسطين، وإلى تدمير الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية"².

ويرى الباحث أن هذه الحقيقة تفرض تحديًا على المسلمين والمسيحيين، وهي أن يوحدوا جهودهم؛ للحفاظ على هويتهم وتراثهم الديني والثقافي، فإذا تخلى أحد الفريقين أو قصر في أداء واجبه النضالي، فإنه يدع شريكه الذي تعايش معه على مدار قرون، فريسة سهلة للمطامع الإسرائيلية، التي لن تستثني أحدا من شرها، ثم إنه سيكون لذلك التقاعس، من هذا الطرف أو ذاك، أثر خطير على السلم المجتمعي بين أبناء الديانتين.

¹ أبو عامر، عدنان، السياسة الصهيونية تجاه مدينة القدس، (الرياض، مجلة البيان، ط1، 1430هـ/2009م)، ص65-67.

² نظام الدين والدجاني، عرفان وعلي، القدس إيمان وجهاد، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1987م)، ص135-136.

ولذلك فإن هناك لقاءات دورية، تجمع رؤساء الكنائس بقيادات المسلمين، والمسؤولين عن الأوقاف الإسلامية، ويتم فيها التحاور بشأن هذه الاعتداءات، وأخذ القرارات المناسبة للتصدي لمحاولات تهويد المدينة¹.
ومن ذلك الدفاع المستميت، الذي يقوم به الأرمن في القدس لوقف الزحف الصهيوني، الذي وصل إلى أطراف حارة الأرمن².

يعتبر المسيحيون والمسلمون أن المساس بمقدساتهم، اعتداء على هوية القدس العربية، وعليه فإنهم يتصدون لمحاولات التهويد بكل الوسائل المتاحة لديهم، وهذه الوسائل المتاحة في فلسطين، هي تكثيف الوجود البشري في المقدسات الإسلامية والمسيحية، وخاصة في المسجد الأقصى، وكنيسة القيامة، وشد الرحال من داخل فلسطين المحتلة عام 1948م، إلى القدس، على الرغم من كثرة الحواجز والمعوقات، فهذا سيوفر أمناً لمقدساتها، ويحیی اقتصادها.

3_ غياب المرجعيات الدينية والسياسية:

كان الراحل فيصل الحسيني آخر المرجعيات السياسية الرمزية في القدس، وكان بيت الشرق يمثل رمزية سياسية لدى العالم، واليوم يعاني المجتمع المقدسي من غياب المرجعيات الدينية والسياسية الإسلامية والمسيحية، نتيجة الاجراءات الإسرائيلية، إذ تم إبعاد الشيخ رائد صلاح عن القدس، وإبعاد نواب القدس عن المدينة، وملاحقة المطران عطاالله حنا رئيس الطائفة الأرثوذكسية في بعض القضايا، نتيجة مواقفه الوطنية³.

¹ مرجع سابق، مصلح، مقابلة خاصة.

² مرجع سابق، خوري، رفيق، مقابلة خاصة.

³ مرجع سابق، عطون، مقابلة خاصة.

كما أدت السياسة الإسرائيلية إلى فقدان مرجعية دينية مسيحية موحدة، فهناك مرجعيات دينية كل منها محسوب على بلد ما، وقد أدى هذا الشتات إلى ضياع المواقف والجهود، التي يمكن أن تقاوم مخططات الاحتلال الإسرائيلي¹.

وهنا تأتي أهمية ما ذكرته في موضع سابق، من أن غياب هذه المرجعية القيادية، التي يجتمع حولها المسلمون والمسيحيون، سيضيع انجازات كثيرة، كان يمكن أن تتحقق في ظل وجود قيادة حكيمة وواعية ومؤثرة، كما أن ذلك الغياب للقيادات الوطنية، سيفغري الاحتلال الإسرائيلي أن يستفرد، بالمسلمين والمسيحيين كل على حده.

ثانيا: التحديات التي يفرضها الواقع العربي والإسلامي:

1_ تصاعد المد الديني في العالم العربي:

تشهد المنطقة العربية ازدياد الهوية الدينية على حساب الهوية القومية، وإن كان في هذا بعض الايجابيات، لكنه يؤدي إلى تقوقع كل في دينه، لكنه لم يقف عند هذا الحد، بل أدى إلى اندلاع صراعات دينية في المنطقة العربية، ترتب عليه اعتداءات على المسيحيين، وهو ما يثير مخاوف بعض المسيحيين في القدس، بأن يتعرضوا لمثل هذه الاجراءات².

¹ المرجع السابق، عطون، مقابلة خاصة.

² مرجع سابق، سايبلا، مقابلة خاصة.

لقد أدى ذلك التعصب من أتباع الديانتين في دول عربية، إلى استهداف دور العبادة للمسلمين والمسيحيين، لكن ذلك ليس منهج الشعب الفلسطيني على اختلاف الدين والرؤى¹، ولا أحد ينكر هذا، فمسيحيو القدس يعيشون سماحة الإسلام على مدار قرون².

لكن على المسلمين والمسيحيين، إذا أرادوا لعلاقاتهم الرسوخ والتطور، أن يكونوا قادرين على علاج هذه الظاهرة ومواجهة أسبابها الحقيقية، ووضع حلول مناسبة لها، وإلا فإن العلاقات الإسلامية المسيحية في فلسطين والعالم العربي، ستتحول إلى شعارات فارغة تغذي المؤتمرات واللقاءات الرسمية، ولكنها لا تجد صداها الحقيقي في الشارع الفلسطيني والعربي³.

إلا أن ما يميز الحالة الفلسطينية، هو الوعي والترابط الأخوي الذي يحظى به الشعب الفلسطيني، الذي ساهم في التصدي لهذه المخاطر. وكان للفصائل السياسية الإسلامية والوطنية، دور بارز في رفض الفتنة، وكل أشكال التمييز بين المسلمين والمسيحيين، وقد بذلت جهودا لمنع وقوع أي صراعات، سيكون المستفيد منها عدو الشعب الفلسطيني. أما القيادات الدينية الإسلامية والمسيحية، فيعملون على نشر ثقافة الوحدة والتلاحم، ويهبون لوأد أي حدث ذي خلفية طائفية⁴.

2_ الفقر وغياب الدعم العربي:

عام 1981م أصدرت "لجنة القدس" وثيقة شملت برنامج عمل لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي، ومن ضمن توصياتها: التأكيد على اعتبار قضية فلسطين، القضية الأولى للأمة الإسلامية، والالتزام بتحرير كل

¹ مرجع سابق، خزمو، الهجرة إلى الخارج.. العوامل الاجتماعية وغياب الممثل أو السند القومي للوجود المسيحي، ص20.

² مرجع سابق، سايبلا، مقابلة خاصة.

³ مرجع سابق، خوري، مقابلة خاصة.

⁴ مرجع سابق، خزمو، الهجرة إلى الخارج.. العوامل الاجتماعية وغياب الممثل أو السند القومي للوجود المسيحي، ص20.

الأراضي العربية المحتلة منذ عدوان عام 1967م، بما في ذلك القدس، ومواصلة دعم منظمة التحرير الفلسطينية وتعزيز استقلالها، واستمرار الاتصالات مع الفاتيكان، واتحاد الكنائس العالمي، والمؤسسات المسيحية؛ لضمان وقوفها إلى جانب إعادة السيادة العربية الكاملة على القدس¹.

وخلال جلستها الخامسة لعزل الاحتلال الإسرائيلي، كان من توصيات اللجنة في الجانب الاقتصادي، حث الدول الإسلامية على تغطية رأسمال صندوق القدس، الذي بلغ مائتي مليون دولار بمبلغ لا يقل عن خمسين مليون دولار في ذلك العام (1981م)؛ لمواجهة المسؤوليات المتزايدة؛ ولتحقيق أهدافه المقررة في دعم صمود ونضال الشعب الفلسطيني².

لكن الحقيقة أن دعم القدس متوقف منذ فترة طويلة، حتى أصبحت نسبة الفقر 75 %، والفقر المدقع 25 %، ولا شك أن لهذه النسب آثارها على طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، فالفقر شكل من أشكال العنف، وهذا يؤدي إلى خلل في العلاقة بين الناس، ويضر بالعلاقات الاجتماعية³.

ولذلك فإن الدور العربي المطلوب لدعم صمود المقدسيين (مسلمين ومسيحيين)، يتمثل في سد العجز السنوي للمؤسسات الصحية والتربوية الأساسية (الذي يقدر بنحو 30 مليون دولار)، وهو الحد الأدنى كي لا تغلق هذه المؤسسات أبوابها، وتدعم الوجود السكاني العربي، وذلك من خلال:

¹ الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1981م، (بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ أبو ظبي - مركز الوثائق والدراسات)، ص 44-46.

² المرجع السابق، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1981م، ص 185.

³ مرجع سابق، عيسى، مقابلة خاصة.

1. اعتبار الموظفين المقدسيين العاملين في الدوائر الحكومية في الدول العربية، ومن يحملون هوية القدس موظفين متقاعدين يتمتعون بكافة الحقوق شريطة عودتهم لتثبيت إقامتهم في القدس.

2. إيجاد البرامج السياحية والاقتصادية لدعم صمود المقدسيين.

3. اعتبار الأملاك العربية في القدس الوقفية منها والخاصة ملكا وطنيا لا يباع لغير مستحقيه، وتتولى مؤسسات مالية عربية وإسلامية رصد أي تسرب لأي عقار لتقوم بشرائه وحفظه وترميمه واستخدامه بأفضل الصيغ الممكنة، وإقامة مصرف عقاري عربي يقدم القروض للإسكان الفردي ومشاريع الإسكان العامة على الأراضي الوقفية والخاصة بشروط وتسهيلات معينة¹.

وقد لا يؤثر غياب الدعم العربي والإسلامي سلبا على حالة التعايش، ولكنه يؤثر سلبا وبشكل عميق على وضع القدس، فالقدس تضيع من يد العرب، بينما العالم العربي مشغول أو أشغل بقضايا أخرى، وهو ما جعل من القدس الأمر المنسي، في الهموم العربية والإسلامية².

ورغم قلة الدعم المادي الإسلامي، فإن هناك حرصا من مسلمي القدس، على ترميم بيوت المسيحيين والمسلمين، وكذلك ترميم الكنائس والمكتبات المسيحية، مع أن المسلمين هم الأشد فقرا في المدينة، إذ يعيش 83% من مسلمي القدس تحت خط الفقر³.

¹ القرعي، أحمد، القدس من بن غوريون إلى نتياهو، (لا.م، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط1، 1997م)، ص122-123.

² مرجع سابق، خوري، رفيق، مقابلة خاصة.

³ مرجع سابق، عمرو، مقابلة خاصة.

ثالثا: التحديات التي يفرضها التدخل الغربي:

تعاني القدس من تدخل الدول والمؤسسات الغربية في شؤونها الداخلية، وتأتي هذه التدخلات تحت عناوين اقتصادية وثقافية وإدارية وسياسية، وقد يكون لذلك أثر سلبي على طبيعة العلاقة الإسلامية المسيحية.

1_ الدعم الاقتصادي:

عندما يأتي الدعم الأوروبي الكبير للقدس، فإن المساعدات تكون حصريا للمسيحيين، ومع أن مسيحيي القدس يرغبون في حصول المسلمين على جزء من هذه المساعدات، لكن ذلك مستحيل في عرف هذه المؤسسات، وقد تسببت سياسة تدفق المساعدات، بالضرر للمسيحيين، فقد سافر بعضهم وتركوا القدس بلا عودة، إذ إنهم تعودوا على رغد العيش¹.

فالدول الغربية تريد استقطاب المسيحيين ومؤسساتهم في القدس، لكن الغريب أن يكون الدعم العربي والإسلامي أيضا فيه محاباة للمسيحيين أكثر من المسلمين، ومع أن المسلمين ليسوا ضد هذا الدعم، لكن لا يجوز أن يكون على حساب المؤسسات الإسلامية².

ومع ذلك فإن هناك مؤسسات مسيحية لا تمارس ساسة التحيز، منها مؤسسة اتحاد الشبيبة المسيحية، التي تنفذ مشاريع مدعومة أوروبيا لمن يتقدم إليهم من أهل القدس، سواء كان مسلما أو مسيحيا، شريطة أن يكون لديه فكرة مشروع، وبعد تقديمها وزيارة مكان المشروع، يحصل على 15 ألف دولار³.

¹ المرجع السابق، عمرو، مقابلة خاصة.

² مرجع سابق، حمادي، مقابلة خاصة.

³ مرجع سابق، عمرو، مقابلة خاصة.

2_ العمل والوظائف:

تحرص مؤسسات المجتمع المدني والسفارات الغربية، على تعيين عناصر مسيحية، وتحاول التغطية على هذه السياسة، فتعين سائق أو حارس أو عامل نظافة مسلم، وعلى سبيل المثال انظر إلى مؤسسة (undp). عندما يكون المسيحيون في فلسطين 5 %، المفروض أن يتم تعيينهم في المؤسسات المسيحية وفق هذه النسبة أو أكثر منها قليلاً، لا أن يكون نصف عدد الموظفين أو أكثر من المسيحيين، وهذا ما تفعله المؤسسات الإيطالية والألمانية والبريطانية، وكذلك الاتحاد الأوروبي، إذ يحرصون بشدة على تفضيل المسيحي على المسلم، هذه التفرقة صناعة أوروبية، وهي عقبة في طريق التعايش السلمي الكامل"¹.

ويعتقد الباحث أن هذه السياسة، تؤدي إلى ترسبات نفسية عند المسلمين، ربما لا تظهر على سطح العلاقة بين أتباع الديانتين، لكنها قد تجد مناخاً جيداً عند أي منعطف، فتظهر بقوة وتسبب نزيفاً في الجسد العربي، وإذا لم يتداركها العقلاء من خلال نقاشات جدية وصریحة، فربما يعبر عنها بعض المسلمين بسلوكيات اجتماعية خاطئة ضد المسيحيين.

ويرى د. جمال عمرو أن المؤسسات الأمريكية، ليست بالمطلق كالمؤسسات الأوروبية في هذا الجانب، فهي أكثر عدلاً وإنصافاً للمسلمين، وهي معنية أن تعين على أسس الكفاءة والشفافية"².

3_ السفارة المسيحية الدولية:

ترتبط المسيحية الصهيونية بمقولة تشكل عندهم مبدأ ديني عام وهو، أن المسيح سيعود مرة ثانية، وهذه العودة شروط لا بد من توافرها، فهو لن يعود إلا إلى مجتمع يهودي، ولن يظهر إلا في صهيون، لذلك لا بد من

¹ المرجع السابق، عمرو، مقابلة خاصة.

² المرجع السابق، عمرو، مقابلة خاصة.

تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح بينهم، وهكذا يتم التعجيل بنهاية العالم. وكانت بريطانيا تمثل هذا الاتجاه تمثيلا فكريا وعمليا، وقد ساد في الولايات المتحدة في القرن الثامن عشر الميلادي¹.

وعلى هذا الأساس أسست السفارة المسيحية الصهيونية في القسم الغربي من مدينة القدس في 30 أيلول (سبتمبر) 1980م² ردا على القرار الذي اتخذته ثلاث عشرة دولة آنذاك، بنقل سفارتها من القدس إلى تل أبيب³.

ووفقا للبيان الختامي الصادر عن المؤتمر التأسيسي للسفارة المسيحية، فإن "على كل الأمم الاعتراف بإسرائيل، وإقامة علاقات دبلوماسية معها. ونخص بالذكر حكومة الفاتيكان، وإسبانيا، والاتحاد السوفياتي، والكتلة الشرقية، فضلا عن الدول العربية ودول العالم الثالث"⁴.

وفي موقف مسيحي واضح من السفارة المسيحية، أصدر رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، بيانا نشر في صحيفة القدس الصادرة في المدينة المقدسة بتاريخ 13 نيسان (أبريل) 1988م، اشتمل على ثلاثة محاور مهمة: الأول: هو عدم الإعراف بالسفارة المسيحية الدولية، ونشاطاتها ومؤتمراتها، والثاني: رفض أي تفسيرات سياسية للكتب المقدسة، والثالث: طلب إحلال السلام والعدالة لجميع شعوب العالم، وخاصة شعوب المنطقة، مع رفض كل أنواع العنف والتمييز العنصري⁵.

وفي مقابلة أجرتها قناة الجزيرة مع المطران عطالله حنا قال إن الكنيسة الأرثوذكسية لا تعترف بالكنيسة المسيحية الدولية؛ لأن هناك تناقضا كبيرا بين تعاليم المسيحية، التي تحمل قيما روحية ودينية، وبين أعمال

¹ مرجع سابق، أبو عليان، معالم القدس الحضارية وسياسة التهويد الصهيونية، ج4، ص1406.

² موقع السفارة المسيحية الدولية: <http://int.icej.org>

³ السفارة المسيحية الدولية، موقع قناة الجزيرة: <http://www.aljazeera.net/portal>

⁴ المرجع السابق، السفارة المسيحية الدولية، موقع قناة الجزيرة.

⁵ جريدة القدس، القدس، الأربعاء 13 نيسان (أبريل) 1988م / 26 شعبان 1408هـ، ع6694، ص3.

الصهيونية من احتلال وممارسات على الأرض، واعتبر أن هذه الجماعات هي أدوات مسخرة في خدمة المشروع الصهيوني؛ لاختراق المسيحية، ومحاولة إظهارها وكأنها حليف للصهيونية¹.

أما المسلمون فيرون أن الطوائف المسيحية كانت دائما، تعطي انطباع أنهم غير متفقين مع السياسة الأمريكية والبريطانية والاستعمارية، بل إنهم ناضلوا تحت لواء المنظمات الفلسطينية اليسارية، فقد كان الصوت المسيحي، متجاوبا مع الصوت الإسلامي المدافع عن حقوق العرب، الدينية، والاقتصادية، والسياسية².

إن موقف الكنائس المسيحية في بيت المقدس، موقف وطني، إذ نأت بنفسها أن تحالف تعاليم المسيحية، وتعترف بالسفارة المسيحية، التي تقف مع القاتل ضد الضحية، فالمسيحية تعني رفض الظلم، والوقوف مع الحق، ونصرة المظلوم، كما جاء في سفر أشعياء: "تَعَلَّمُوا فَعَلَّ الْحَيِّرُ. اطلُّبُوا الْحَقَّ. انصَبُوا الْمَظْلُومَ. افضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الْأَرْمَلَةِ".

¹ مرجع سابق، حنا، مقابلة مع قناة الجزيرة في برنامج "بلا حدود".

² مرجع سابق، عمرو، مقابلة خاصة.

المبحث الثاني: آثار ومستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

يستطيع الزائر أو المراقب لمدينة القدس، أن يلاحظ آثار التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في هذه المدينة، فهي نتاج طبيعي لعقود طويلة من الانسجام والتفاعل الحضاري، الذي انعكس على حياة أهل المدينة، فكون رونقا خاصا ومظهرها راقيا للتآخي الإنساني، الذي لا يقف عند عرق، أو لون، أو دين، وإنما يحترم الكرامة الإنسانية. ولذلك فإن هذا المبحث سيتناول: آثار ومستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في القدس.

المطلب الأول: آثار التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

1. آثار التعايش السلمي على الصعيد الديني:

تعد كنيسة القيامة أكبر شاهد على آثار التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين، فقد ارتضى المسلمون والمسيحيون أن تكون مفاتيح كنيسة القيامة، مؤتمنة منذ أجيال عديدة بيد عائلتين مسلمتين، هما: نسيبة وجودة، وذلك بناء على طلب جميع الطوائف المسيحية¹.

فمن باب حرص المسلمين على الأمن والاستقرار في المدينة، سلم صلاح الدين الأيوبي مفاتيح الكنيسة إلى عائلة غضيه "جودة" للاحتفاظ بالمفتاح، وآل نسيبة لفتح الباب وإغلاقه، ثم إعادة المفتاح لآل غضيه².

¹ مرجع سابق، نظام الدين والدجاني، القدس إيمان وجهاد، ص131.

² مرجع سابق، غوشة، الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، ص453.

يقول عبد القادر جوده أمين مفتاح كنيسة القيامة في القدس: "عندما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس وجد أن هناك صراعاً بين الطوائف المسيحية، فقرر أن يكون المفتاح مع عائلة مسلمة عريقة من عائلات القدس، فسلمه للشيخ عبد الله بن غني، الذي دخل مدينة القدس مع السلطان صلاح الدين، وقد ورثنا المفتاح من الآباء إلى الأبناء حتى يومنا هذا، وأنا الآن أمين مفتاح كنيسة القيامة. نحن نعرف كل بلاطة في كنيسة القيامة تتبع لأي طائفة، فإذا حصل خلاف نحن نشهد أن هذه المنطقة هي للأرمن وليست للروم الأرثوذكس على سبيل المثال"¹.

ولم يقتصر دور العائلة على فتح كنيسة القيامة وإغلاقها، بل تعداه وفي فترات طويلة من الحكم الإسلامي إلى حل الخلافات المستعصية بين مختلف الطوائف المسيحية².

وينظر المسيحيون والمسلمون إلى هذا الواقع على أنه علامة من علامات التآخي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، فالمسلمون يفتخرون بهذا الأمر، سيما عائلي "نسبية" و "جودة"، والمسيحيون يرون فيه مظهراً من مظاهر التعايش الإسلامي المسيحي³.

لقد آمن المسيحيون شركائهم المسلمين على دينهم، آمنوهم على أعظم مقدس مسيحي، فكان المسلمون عند حسن الظن، وهذا أسمى دليل على طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، إن هذه الروح تفتقر لها كثير من الدول، وحتى المجتمعات الإسلامية، التي يعيش بين ظهرانيها مسيحيون، لكن بيت المقدس تحمل بركة عجيبة، وبركاتها تشمل ذلك التلاقي الإسلامي المسيحي، فيؤمن المسيحي جاره المسلم على روحه ودينه وماله، ويتحمل المسلمون الأمانة رغم مشقتها، استجابة للهدى النبوي، في معاملة أهل الكتاب.

¹ مرجع سابق، التآخي بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين، قناة الجزيرة.

² مرجع سابق، نسبية، ذكريات مقدسية "سيرة ذاتية"، ص35.

³ مرجع سابق، خوري، رفيق، مقابلة خاصة.

2. آثار التعايش السلمي على الصعيد الاجتماعي:

يستطيع المراقب أن يلمس هذه الآثار، وخاصة في البلدة القديمة، ففي حارة النصارى على سبيل المثال، لا تستطيع أن تفرق بن المسلم والمسيحي، سواء في العادات والثقافة، أو في الحياة العامة، في المدارس، والمؤسسات، والمحلات التجارية¹.

بل ويصعب أحيانا تمييز المسلم من المسيحي حتى في الأسماء، ففي الجامعات تجد من بين الطلاب المسيحيين أسماء "عمر" و"خالد" و"طارق"².

مالذي يدفع مسيحيا أن يسمي ابنه باسم واحد من أولئك الفاتحين المسلمين؟.

الجواب في ظني: أن المسيحي في بيت المقدس عايش الإسلام على مدار عدة قرون، فقاداته التجربة الممتدة، إلى أن الإسلام دين الفطرة السوية، إنه يعني انسجاما بين الفكر والعبادة، ثم تصدق ذلك المعاملات مع عباد الله، دون أي اعتبار للدين أو العرق أو اللون، إنه السلوك الإنساني الحضاري في جوانب الحياة مجتمعة، وليس هذا في فترة منبئة من التاريخ، بل إنه تاريخ طويل، منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن بعده صلاح الدين الأيوبي، ثم في التاريخ الحديث والمعاصر، فأنى لمنطقة في العالم يمثل ذلك؟.

ومن هذه الآثار السلوك الذي انعكس على الحياة اليومية، ومنه الامتثال للقيم الإسلامية والمسيحية، التي تدعو إلى احترام وتوقير ومساعدة الجيران وكبار السن، يقول أحمد عطون: "هناك أخ يدعى "أوليك" ويتبع

¹ مرجع سابق، عطون، مقابلة خاصة.

² مرجع سابق، عمرو، مقابلة خاصة.

للكنيسة الارثوذكسية، تربطني به علاقات طيبة، وبيننا زيارات متبادلة، وقد قال لي ذات يوم: "الشباب المسلمون عنما يرون والدي يحملون لها سلة الخضار بكل أدب ولطف"¹.

ومن هذه الآثار بناء جسور متينة من الإيثار والثقة المتبادلة بين الطرفين، فعندما أراد باسم خوري (مسيحي): شراء أرض في القدس، دله بعض أصدقائه على أرض لأحد المسلمين يدعى محمود كرشان، ومع أنه لم يلتق به إلا مرة واحدة، إلا أن موقفه كان نبيلاً وراقياً، يدل على السماحة والتآخي ورقي العلاقة الإسلامية المسيحية، في شتى الميادين الحياتية².

يقول باسم خوري: "كان الاتفاق أن أدفع له نصف المبلغ، وأستلم التنازل عن الأرض، ثم أقسط له النصف الآخر، فكانت المفاجئة أن الرجل قد بادر وسلمني التنازل عن الأرض، قبل أن أدفع له قرشاً واحداً، ثم أعطيته شيكات تحفظ حقه في بقية المبلغ، فمزق الشيكات، وقال: أنا أعلم أنك ستدفع، وإذا تأخرت فمن المؤكد أنه سيكون لسبب خارج عن ارادتك"³.

3. آثار التعايش السلمي على الصعيد الفكري:

إن ما تزخر به مكتبات القدس من ذخائر تتعلق بأديان وأفكار وفلسفات المسلمين وغير المسلمين، والتي كتبت بالعربية، والسريانية، واليونانية، والحبشية، واللاتينية، والعبرية، والفارسية، والتركية، والأردية،

¹ مرجع سابق، عطون، مقابلة خاصة.

² خوري، باسم، وزير الاقتصاد الفلسطيني الأسبق مابين 2009-2012، مقابلة خاصة: السبت 3 كانون ثاني (يناير) 2015م.

³ المرجع السابق، خوري، مقابلة خاصة.

والإنجليزية، والألمانية، والروسية، والإسبانية، والإيطالية؛ دليل ساطع على عالمية ثقافة مدينة القدس، وهو أعظم آثار التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين على الصعيد الفكري¹.

ويوجد في القدس أربعة أنواع من المكتبات، وهي كالتالي:

أ_ المكتبات العامة:

ومنهما: مكتبة المسجد الأقصى، والمكتبة الخالدية العمومية، ومكتبة المتحف الإسلامي، ومكتبة متحف الآثار الفلسطيني².

ب_ مكتبات المدارس والزوايا:

منذ تحرير مدينة القدس في عهد صلاح الدين، وحتى سقوطها بيد الاحتلال الإسرائيلي عام 1967م، قدمت مدينة القدس أكثر من (125) خزانة كتب ملحقة ب (70) مدرسة، و (55) زاوية ورباط³، وبقي من هذا العدد أربعين مكتبة حتى سنة 1945م⁴.

ت_ المكتبات الخاصة:

يوجد في القدس أكثر من (30) مكتبة خاصة، منها: مكتبة ابن جماعة، ومكتبة البديري، ومكتبة آل قطينة، ومكتبة إسعاف النشاشيبي، ومكتبة عارف العارف⁵.

¹ البلوي، سلامة، المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ط1، 1431هـ/ 2010م)، ص295.

² المرجع السابق، ص296-306.

³ المرجع السابق، ص306.

⁴ مرجع سابق، العارف، المفصل في تاريخ القدس، 1999م، ج1، ص449-451.

⁵ مرجع سابق، البلوي، المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس، ص308-315.

ث_ المكتبات غير الإسلامية:

وتضم مكتبات الأديرة والكنائس، ومنها: مكتبة الفرانسيسكان، والبطريكية الأرثوذكسية (دير الروم، ودير الأرمن، ومكتبات النوادي والجمعيات، ومنها: مكتبة المركز الثقافي الفرنسي، وجمعية الشبان المسيحية¹.

4. آثار التعايش السلمي على الصعيد السياسي:

كان المسلمون والمسيحيون جزءاً من الحياة السياسية، فقد شاركوا معاً في الحراك السياسي الذي عاشته مدينة القدس، فكان لهم دور فاعل في التصدي للمشروع الصهيوني خلال ثلاثينات وأربعينيات القرن الماضي، ثم في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

يقول أحمد عطون: "كنت أنا وخالد أبو عرفة وحسن القيق (رحمه الله) من الشخصيات الإسلامية، التي كانت لها عضوية في التجمع المسيحي الإسلامي، قبل الانتخابات التشريعية عام 2006م، وكان يضم معظم المطارنة والقساوسة للطوائف المسيحية المختلفة، ومن ضمن هؤلاء الأب عطاالله حنا"².

لقد انعكست العلاقة الأخوية بين المسلمين والمسيحيين، على الشراكة السياسية، فقد رشحت قائمة التغيير والإصلاح ضمن قائمتها في القدس شخصية مسيحية، وحصلت القائمة على النسبة الأكبر من أصوات المسيحيين.

وحسب شهادة النائب عطون: "فعندما أصدر الاحتلال الإسرائيلي قراراً يقضي بإبعاد النواب الإسلاميين عن مدينة القدس، بذل النائب برنارد سايبلا جهوداً كبيرة، في حمل هذه القضية إلى المحافل الدولية،

¹ المرجع السابق، ص 315-320.

² مرجع سابق، عطون، مقابلة خاصة.

وكان للأب عطالله وعدد من الإخوة المسيحيين دور فاعل في التضامن مع قضيتنا، فأثناء وجودنا في خيمة الإعتصام في الشيخ جراح، كان التواصل معنا كبيرا من الطائفة المسيحية، من مختلف القيادات والنخب الثقافية والسياسية، وأصدروا بيانات وعقدوا مؤتمرات ضد القرار الإسرائيلي¹.

University of Malaya

¹ مرجع سابق، عطون، مقابلة خاصة.

المطلب الثاني: مستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

لا يحتاج المراقب إلى سوق الكثير من الأدلة، ليبرهن على انعدام الاستراتيجية العربية تجاه مدينة القدس، وهذا سيكون له نتائج عكسية على التعايش الإسلامي المسيحي في المدينة المقدسة، ومع أن تعزيز التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في القدس، هو مهمة أهل هذه المدينة بالدرجة الأولى، غير أن العلاقات الإنسانية في بلد ما، تؤثر وتتأثر بما حولها من وقائع وأحداث.

أولاً: مخاطر تهدد مستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين:

هناك عدة عوامل تشكل خطراً على مستقبل التعايش الإسلامي المسيحي في القدس، وهي:

1. وجود الاحتلال الإسرائيلي:

يمثل وجود الاحتلال الإسرائيلي عائقاً أمام تطوير علاقات اجتماعية سليمة في فلسطين، وتطوير العلاقات الإسلامية المسيحية، وقد جاء في خطاب البطريرك ميشيل صباح بطريرك القدس اللاتين، في مؤتمر المسيحيين العرب، الذي عقد في عمان تحت الرعاية الملكية في 11 شباط (فبراير) 2002م: "مازال الدماء تسيل بغزارة، تستصرخ من يوقفها. والعدل هو الذي يوقفها. والحق العربي والفلسطيني هو الذي يوقفها... إن مهمتنا ككنائس مسيحية هي أن نقف إلى جانب كل مظلوم وفقير. إلى جانب كل مظلوم يطالب بأرضه وحرية، لنكون صوتاً وحمى له، مهما طال الحنة وتنوعت، ومهمتنا هي أن نبقي الأمل حياً في نفوس الناس حتى يحق الحق"¹.

¹ كلداني، حنا، التعايش الإسلامي المسيحي في القدس، موقع إيلاف، الأحد 10 كانون الأول (ديسمبر) 2006:

<http://elaph.com/Web/AsdaElaph/2006/12/196713.htm?sectionarchive=AsdaElaph>

2. غياب استراتيجية إسلامية ومسيحية تجاه القدس:

غياب الاستراتيجية الإسلامية والمسيحية، هي السمة الأبرز تجاه مدينة القدس، وإذا أخذنا على سبيل المثال أكبر حدث شهدته المدينة في القرن الماضي، وهو حريق المسجد الأقصى المبارك في 21 آب (أغسطس) 1969م، اتضح لنا مدى التخبط الرسمي والمؤسسي الإسلامي والمسيحي، وافتقاره إلى سياسة واضحة وموحدة، تجاه مدينة القدس.

بعد الحريق وجهت الهيئة الإسلامية في القدس، إلى العرب والمسلمين رسالة مؤثرة، نعت فيها المسجد الأقصى المبارك، وطلبت منهم العمل لدفع الأذى عن القدس¹.

وأمام هذا الحدث الخطير نجد اختلافا واضحا في الموقف الرسمي للدول العربية، وعدم اتفاق على آليات دعم القدس والمسجد الأقصى، فبينما كان موقف الملك فيصل ومطلبه كبيرا، وهو الدعوة إلى "الجهاد المقدس" لتحرير الأرض والمقدسات، وأيدت دعوته رابطة العالم الإسلامي، نجد أن الملك حسين والرئيس الجزائري هواري بومدين قد وكلا الأمم المتحدة بفعل ما تراه مناسبا، إذ طلبا منها في بيان على حدة لكل منهما "اتخاذ التدابير اللازمة لإدانة ومعاقبة هذا العمل"، أما الرئيس جمال عبد الناصر فقال: "لا بديل ولا أمل ولا طريق إلا القوة العربية بكل ما تستطيع حشده وبكل ما تملك توجيهه وبكل ما تستطيع الضغط به حتى يتم نصر الله حقا وعزيزا"، ومع أنها كلمات قوية، لكن الموقف كان غامضا، إذ إنه لم يحدد ماهية هذه القوة وآليات تنفيذها².

¹ الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية (5)، جمع وتصنيف: جورج خوري نصر الله، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية والجامعة اللبنانية، ط1، 1971م، ص329.

² المرجع السابق، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، ص330-332.

أما موقف حركة التحرير الوطني الفلسطيني فاكتفى بالطلب من الفلسطينيين والعرب الالتحام مع الثورة، ومساندتها وتمويلها¹.

وعند استعراض بيانات الطوائف المسيحية في لبنان والأردن، نلاحظ تباينا فيما بينها، فبينما كانت بعض المواقف قوية، مثل برقية البطريرك ثيودوسيوس السادس من بيروت التي أعلنت وضع كافة امكاناتهم للدفاع عن تراث الآباء والأجداد والأرض المقدسة، ودعوة رؤساء الطوائف المسيحية في الأردن العالم الإسلامي والمسيحي بتوحيد الصفوف لإنقاذ القدس، نلمس ضعفا واضحا في بيان مجمع أساقفة طائفة الروم الكاثوليك في لبنان، الذي اكتفى باستنكار العمل وكل الأعمال التي تسيء إلى الأماكن المقدسة².

ثانيا: سبل تعزيز التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في القدس:

إن ذلك الخيار الاستراتيجي بحاجة إلى جهود من المسلمين والمسيحيين لتطوير هذه العلاقة وتعزيزها، وذلك من خلال ما يلي:

1. الحوار الإسلامي المسيحي:

يعتبر الحوار الإسلامي المسيحي، ضمانا لعلاقات إسلامية مسيحية قائمة على قاعدة صلبة، وإيمانا بأهمية الحوار أصدر المؤتمر العام للعرب المسيحيين في الأردن وفلسطين المنعقد في عمان، تحت الرعاية الملكية في 11 شباط (فبراير) 2002م، دعوة إلى ضرورة استمرار الحوار الإسلامي المسيحي، وألا تبقى أجواء الحوار وأفكاره ونتائجه حبيسة الندوات والأطر الأكاديمية والكتب، فلا بد من تعميمها على أوسع نطاق ممكن في المدارس،

¹ المرجع السابق، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، ص333.

² المرجع السابق، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، ص331-334.

وفي وسائل الاعلام، وذلك لنشر ثقافة الحوار والتفاهم، وتأكيد قيم الشراكة بين الشباب ومختلف شرائح المجتمع¹.

ويقول ميشيل صباح إن الحوار الإسلامي المسيحي، هو أحد العوامل الرئيسة التي تحد من الهجرة المسيحية في فلسطين، وهو حوار العيش معا، والبناء معا، ومواجهة التحديات معا، وهو معرفة متبادلة أفضل، تؤدي إلى قبول الآخر على اختلافه².

2. الخطاب الديني:

إن الخطاب الديني لا يتوقف فقط عند الممارسات العلمية، بل يصل أيضا إلى اللغة المستعملة في المدرسة والبيت والإعلام والجامع والكنيسة... الخ. يقول الأب مارون لحام: "مناهج التربية والتعليم، وهي منهل تنقيفي من الطراز الأول، لا تحمل الطالب المسلم، ولا سيما من لم يختلط في مدرسته أو في بلده بزميل مسيحي، على اعتبار الفلسطيني المسيحي أخا ومواطنا مساويا له في كل شيء، بغض النظر عن معتقده الديني. ثم إن التربية الدينية الإسلامية ومنابر الوعظ والإرشاد في المساجد لم تتوصل بعد إلى الشجاعة اللازمة للخوض في هذا الموضوع. فهي إما أن تتجاهله، وإما إن تطرقت إليه فمن باب التسامح مرة، ومن باب التحريض مرات. وما يطلبه المسيحي الفلسطيني هو أن من ينهل العلم من المدرسة الفلسطينية يعلم أن المجتمع الفلسطيني متعدد، وأن العروبة تضع المسيحي والمسلم في بوتقة واحدة"³.

¹ مرجع سابق، المؤتمر العام للعرب المسيحيين في الأردن وفلسطين المنعقد في عمان تحت الرعاية الملكية.

² المرجع السابق.

³ مرجع سابق، كلداني، التعايش الإسلامي المسيحي في القدس.

ويرى الباحث أن هذا الدور منوط بدرجة أساسية، بالمؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية للمسلمين، كونهم هم الأغلبية، لكنه أيضا دور المسيحيين ومؤسساتهم الدينية والثقافية، فلا يعقل أن تحرم مدرسة مسيحية، طالبة مسلمة من حقها في التعليم؛ والسبب هو ارتداء الحجاب، فهذا إضافة إلى كونه اعتداء على الشعائر الدينية، فهو اعتداء على حق التعليم، مع ما فيه من إثارة روح الطائفية والبغضاء في المجتمع.

ثم إني لا أظن أن تنجح المؤسسات التعليمية الرسمية، في أداء هذا الدور على أكمل وجه، فمن المعلوم أن الاحتلال الإسرائيلي يتحكم في التعليم في القدس، فيحذف من المواد الدراسية، كل ما يتعرض للاحتلال، وكذلك كل ما يبعث على الاعتزاز بالقيم والثقافة العربية والإسلامية، ولهذا فعلى المؤسسات التعليمية والثقافية في القدس، أن تعمل على إيجاد برامج بديلة، لتعريف الطلاب المسلمين والمسيحيين، بقيم وسماحة الديانتين، اللتين دعنا إلى نبذ التعصب، وبث روح الحب والتسامح.

الفصل الخامس: الخاتمة

المقدمة

الخلاصة

نتائج الدراسة

التوصيات

أولاً: المقدمة:

تبحث المجتمعات والدول عن الاستقرار السياسي، الذي إن تحقق في أي مجتمع فإنه يعني نمواً اقتصادياً، ومن ثم عدالة اجتماعية ورقياً ثقافياً، وانتشاراً للفكرة الدينية في أقطار جديدة.

ويستطيع المراقب لواقع أي دولة أو مدينة، تشهد اضطرابات سياسية، وظروفاً اقتصادية قاسية، أن يستنتج تحول الأحداث إلى اقتتال داخلي، أو على الأقل وقوع عمليات نهب وسلب، وهو ما يحدث في الغالب، لكن ذلك لم يحدث مطلقاً في القدس وفي عموم فلسطين، فكلما زادت صعوبة الأوضاع السياسية والاقتصادية في القدس، ازدادت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين متانة وقوة وتوحداً في مواجهة المصير المشترك.

والسؤال هو: كيف استطاع المسلمون والمسيحيون التعايش في القدس المحتلة، في واقع سياسي واقتصادي متأرجح؟، فعلى مدار سنوات الاحتلال البريطاني ومن بعده الإسرائيلي لم تعرف فلسطين استقراراً سياسياً، نتيجة الممارسات العدوانية على المقدسات الإسلامية والمسيحية، وسياسة نهب الأراضي العربية، إضافة للاغتيال والاعتقال المتكرر للعرب، وغيرها، أما عن سياسات الاحتلال الاقتصادية، فمنها: حرمان العرب من الحصول على الوظائف، والتضييق عليهم في أعمالهم وتجاراتهم الخاصة، وفرض الضرائب الباهظة عليهم.

الجواب على السؤال الذي ذكرته في المقدمة، يكمن في أن التعايش الإسلامي المسيحي في بيت المقدس، هو خيار استراتيجي، عند القاعدة الشعبية، والنخب الفكرية، لا يمكن التفريط به، أو العدول عنه، ذلك أنه أرقى ما أنتجه التراث الحضاري العربي، المستمد من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والكتاب المقدس.

وهو في رأبي قرار مصيري، على الرغم من مجمل التحديات والمخاطر التي تعيشها القدس؛ لأن البديل عنه هو التسليم بإرادة الاحتلال الإسرائيلي، التي تعني الاختلاف والنزاع، وبالتالي ضعف الشوكة، وهزيمة المشروع العربي في القدس، وانتصار المشروع الصهيوني.

وفي هذا السياق يعد نص بيان "الحضور المسيحي في الشرق شهادة ورسالة" الذي أصدره بطاركة الشرق الكاثوليك، نصا مرجعيا في دراسة علاقات التعايش الإسلامي المسيحي. وجاء في رسالة البطاركة الكاثوليك ما يلي:

"إن العيش المشترك بيننا على مدى قرون طويلة يشكل خبرة أساسية لا عودة عنها، وجزء من مشيئة الله علينا وعليهم... إن عيشنا المشترك الذي يمتد على قرون طويلة يشكل، بالرغم من كل الصعوبات، الأرضية الصلبة التي نبني عليها عملنا المشترك حاضرا ومستقبلا، في سبيل مجتمع متساو ومتكافئ لا يشعر فيه أحد أنه غريب أو منبوذ. إننا ننهل من تراث حضاري واحد نتقاسمه وقد أسهم كل منا في صياغته انطلاقا من عبقريته الخاصة. إن قرابتنا الحضارية هي إرثنا التاريخي الذي نصر على المحافظة عليه وتطويره وتحديثه وتفعيله كي يكون أساس عيشنا المشترك وتعاوننا الأخوي. إن المسيحيين في الشرق هم جزء لا ينفصل عن الهوية الحضارية للمسلمين، كما أن المسلمين في الشرق هم جزء لا ينفصل عن الهوية الحضارية للمسيحيين. ومن هذا المنطلق فنحن مسؤولون بعضنا عن بعض أمام الله والتاريخ"¹.

¹ مرجع سابق، كلداني، التعايش الإسلامي المسيحي في القدس.

ثانياً: الخلاصة:

التسامح قيمة إنسانية راقية، وهي خلق قويم عند الإسلام والمسيحية، ولقد رأينا في أخلاق مُحَمَّدٍ ﷺ، والسيد المسيح عليه السلام، مواقف كثيرة تؤيد هذا الخلق وتعضده، ولا ريب أن التسامح نتيجة للتعايش المشترك وقبول الآخر، فهو إذن يعبر عن انضباط ديني، حقيقته الاستجابة لتعاليم الدين، وكذلك انفتاح اجتماعي، وحقيقته قبول الآخرين والبحث معهم عن قواسم مشتركة للحياة.

إننا نفتخر بمبادئ التعايش السلمي التي قررها الإسلام، ثم أضحت حقائق ونماذج يشار إليها، بعد أن طبقها أسلافنا المسلمون في البلاد التي وصلت إليها راية الإسلام.

ولعل من أهداف الجهاد في الإسلام، هي تحرير الناس من الظلم، ورفع الوصاية عنهم، وبعدها لهم حرية الاختيار واتخاذ القرار، فإن أرادوا الإسلام كانوا أهلاً وإخوة، وإلا فلهم كافة الحقوق، ولا يحق لحاكم أو محكوم أن يجبرهم على قول أو عمل خارج إطار هذه المبادئ.

ولقد قدم المسلمون الأوائل نماذج مشرفة للتعايش السلمي مع أهل الكتاب، فكانت البداية في عهد النبوة، إذ إن رسول الله ﷺ أسس هذا التعايش قولاً وعملاً، فأخذ المسلمون ديننا، لا يجوز التفريط به، أو التغاضي عنه.

تحققت أنواع التعايش الديني، والاجتماعي، والفكري، والسياسي في الدولة الإسلامية، فأمن الناس على دينهم، وأرواحهم، ومقدساتهم، ومكتسباتهم الاقتصادية، فكان هذا محفزاً للإنتاج الفكري والحضاري، بل إن النصراني حازوا مكانة سامية عند الخلفاء في عهد الدولة العباسية، فكان منهم الأطباء والوزراء.

إن منزلة بيت المقدس في الإسلام عظيمة، فهي المدينة الثالثة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم كانت إليها رحلة الإسراء، ومنها كان المعراج، وقد ذكرت في مواضع شتى في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولهذا كانت محط اهتمام النبي الكريم، فكانت خطته في حياته، وحتى عند الأيام الأخيرة من حياته، هي تحرير بيت المقدس، فأمر بإنفاذ جيش أسامه، وكان الاصرار أيضا من خليفته أبو بكر الصديق τ على انفاذ الجيش، على الرغم من المخاطر الكبيرة التي تصاحب ذلك، ولعل البعض يرى فيه مغامرة خطيرة قد تعصف بالدولة الإسلامية.

ويرى الباحث أن ذلك لم يكن إلا حرصا على بيت المقدس، ورغبة كبيرة من النبي ρ لصرف أنظار المسلمين باتجاه الشام، وتحديد بيت المقدس، ولم يكن المضي قدما من الصديق، إلا نتيجة منطقية لمن حظي دائما بالفهم الأوسع والأشمل عن النبي.

وقد وجدت بيت المقدس المكانة ذاتها في العهود الإسلامية، فشهدت اهتماما ورعاية دينية، وعمرانية، وثقافية، ووفد إليها المسلمون والمسيحيون من كل مكان، فشهدت تقدما علميا وفكريا.

قدمت الدراسة الأماكن الدينية المقدسة عند المسلمين والمسيحيين، فمن أهم مقدسات المسلمين: المسجد الأقصى المبارك، وهو كل المساحة المسورة، وفيها المسجد القبلي، ومسجد قبة الصخرة، والمصلى المرواني، وحائط البراق، وغيرها من المعالم.

أما بيت المقدس عند المسيحيين، فهي مدينة السيد المسيح \cup ، وفيها كانت حياته ودعوته، أما المسيحيون في العهد الإسلامي في بيت المقدس، فتمتعوا باحترام الخلفاء والرعية، ولم ينتقص من حقهم أو يعتدى على أرواحهم وأموالهم، وبعض التعديلات التي وقعت كانت تجاوزات تم العدول عنها.

ومن أبرز الأدلة على التعايش الإسلامي المسيحي في بيت المقدس، هو وجود العديد من الطوائف المسيحية، إضافة إلى العديد من الأماكن المسيحية المقدسة، وأبرزها: كنيسة القيامة، ودير أينا إبراهيم، ودير السلطان.

توصلت الدراسة إلى أن بيت المقدس عرفت في وقت مبكر، الجمعيات الأدبية، والسياسية، والنسائية، التي أسسها وعمل فيها مسلمون ومسيحيون، ففي عام 1898 تم تأسيس جمعية الآداب الزاهرة، وكان من بين أعضائها مسلمون ومسيحيون.

أما الجمعيات السياسية، فأشهرها الجمعية الإسلامية المسيحية، التي تأسست عام 1918م، وقد لعبت دورا مهما في الحياة السياسية، وفي مقاومة السياسة البريطانية، التي تدعم أهداف الحركة الصهيونية، وكذلك كان دور الاتحاد النسائي العربي، الذي أسسته مجموعة من النساء المسلمات والمسيحيات؛ من أجل مقاوم الصهيونية؛ والدفاع عن عروبة بيت المقدس.

وتوصل الباحث إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية هي الأكبر في بيت المقدس، ويرأسها رجال الدين اليونان، رغم أن معظم رعاياها من العرب. وقد بدأت الطائفة العربية الأرثوذكسية بحقوقها، فحصلت على مكاسب جزئية.

إن فلسفة التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين، تقوم على ثلاثة عوامل، هي: الديني: المنسجم مع الأوامر الشرعية، التي تدعو إلى الإحسان إلى أهل الكتاب، والتاريخي: ومنها وجود العهدة العمرية، والنضال المشترك: الذي خاضه المسلمون والمسيحيون للحصول على الحقوق العربية.

واستنتج الباحث أن التعايش السلمي المجتمعي في بيت المقدس، الذي ضم الجوانب التالية: الديني، والاجتماعي، والفكري، اشتمل على مظاهر متنوعة، سطرت هذه العلاقة الممتدة منذ مئات السنين، وأعظم شاهد على ذلك، هو وجود المسجد الأقصى المبارك، وبالقرب منه كنيسة القيامة، وهما أعظم أثرين مقدسين للمسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، إضافة إلى سكن المسلمين والمسيحيين في حارات بعضهم البعض، وعمل المسلمين والمسيحيين مع بعضهم في المدارس، والجمعيات الثقافية، والصحف.

وكان عنوان التعايش السياسي، هو مقاومة الاحتلال البريطاني، والتصدي لمخططات الصهيونية، وتمثل ذلك في إقامة المظاهرات السلمية، والاحتجاجات والاشتباكات مع القوات البريطانية والصهيونية، وكان أعظمها الاضراب الكبير عام 1936، ثم كانت مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، والتي بدأت بحرب عام 1948، كان للرجل والمرأة دور فيها، ثم استمرت المقاومة بعد عام 1967، وخاصة بعد هزيمة الأنظمة العربية، فكانت وقفات التصدي للإجراءات الإسرائيلية من قيادات المسلمين مثل روجي الخطيب، والمسيحيين مثل هيلاريون كابوتشي، كما شارك الشعب الفلسطيني في بيت المقدس في الانتفاضة الأولى، وربما يلاحظ في هذه الانتفاضة أن أعداد المسيحيين المشاركين فيها أقل من المسلمين، ويرد بعض قيادات المسيحيين ردا منطقيا بأن عدد المسيحيين في بيت المقدس ليس أكثر من (2%) أو (2.5%).

وتوصل الباحث إلى أن تحديات التعايش السلمي، هي تحديات داخلية، وتحديات خارجية، والتحديات الداخلية تتمثل في: الهجرة المسيحية، وتسريب المقدسات المسيحية، والتحديات الخارجية ناتجة عن الاجراءات الإسرائيلية، والاهمال العربي، والتدخلات الخارجية.

تقدم الدراسة آثار التعايش السلمي على الصعيد الديني: فالمسلمون هم الذين يحتفظون بمفاتيح كنيسة القيامة، والاجتماعي: ومنها أنك لا تستطيع في كثير من الأحيان التمييز بين المسلم والمسيحي في بيت

المقدس، والفكري: وتتمثل في انتشار المكتبات في المدينة، والسياسي: إذ إن المسلمين والمسيحيين شاركوا في النضال المشترك ضد الاحتلال البريطاني والإسرائيلي.

واستنتج الباحث أن المخاطر التي تهدد مستقبل التعايش السلمي، هي: وجود الاحتلال الإسرائيلي، وغياب استراتيجية اسلامية ومسيحية تجاه بيت المقدس. أما سبل تعزيز التعايش السلمي، فتكمن في: استمرار الحوار الإسلامي المسيحي، والتجديد في الخطاب الديني حسب واقع بيت المقدس.

ثالثاً: نتائج الدراسة:

توصل الباحث للعديد من النتائج، أهمها ما يلي:

- هناك مجموعة من الأسس التي تقوم عليها فلسفة التعايش الإسلامي المسيحي، منها: المحور العقائدي، الذي أتاح للإنسان حرية الاعتقاد، وأمر بمعاملة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، ومن جانب آخر فهناك أعراف وعادات ونضال مشترك بين الجانبين، فكل منهما شارك الآخر في الحياة الدينية والاجتماعية، إضافة إلى المحور التاريخي المتمثل في العهدة العمرية، التي وضعت أساساً للتسامح الإسلامي المسيحي.
- تتمثل أسس التعايش السلمي، فيما يلي: احترام كرامة الإنسان، والعدل ورفع الظلم، والحرية الدينية، والوفاء بالعهود والمواثيق.
- أخذ التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة في التاريخ الإسلامي عدة أنواع، وهي: التعايش الديني (الكتاب الذي كتبه النبي لنصارى نجران)، والاجتماعي (منزلة الطبيب النصراني جبرائيل ابن الطبيب جرجيس بن بختيشوع عند هارون الرشيد)، والثقافي (التفاعل مع الحضارة الهندية والفارسية والرومانية وغيرها)، والاقتصادي (كانت الدولة تضمن الأعطيات للنصارى)، والسياسي (رسائل النبي للملوك والأمراء ودعوتهم للإسلام).
- يرى الباحث أن الصورة المشرقة من التعايش بين المسلمين والمسيحيين التي امتدت على مدار خمسة عشر قرناً، عكرت صفوها اعتداءات على حقوق المسيحيين من بعض المسلمين سواء من الأمراء أو من العامة، لكنه ليس سياسة عامة في الدولة الإسلامية، وليس مرتبطاً بعقيدة أو منهج، وإنما

ممارسات ليس من الغريب أن تظهر في أمة كبيرة ومتنوعة، ثم إنها تظل محدودة وعابرة، وسرعان ما أنكرها العقلاء في مختلف العصور، ولم تجد من يثني عليها أو يمجدها.

● ربط النبي ﷺ قلوب المؤمنين ببيت المقدس، وذلك من خلال السنة القولية والفعلية، فجاءت ثمار تلك السياسة عندما تم فتح المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففي حياته وجه النبي ﷺ الصحابة العديد من السرايا والغزوات باتجاه بيت المقدس، كانت بداية هذه السياسة العسكرية عام 5هـ بغزوة دومة الجندل، التي حملت في طياتها دلالات كثيرة، إذ كانت بمشاركة رأس الدعوة وقيادة الدولة، النبي ﷺ، ثم كان آخر عمل له تجهيز جيش أسامة، وأمر أن يتم انفاذ الجيش لغايته، ثم واصل أبو بكر السير على المنهج ذاته، فأرسل أربعة جيوش إلى بلاد الشام، إلى أن كان الفتح في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

● احتلت القدس مكانة سامية في العهود المختلفة للدولة الإسلامية، فرحل إليها العلماء، وزارها الخلفاء، فشهدت نهضة علمية وحضارية وعمرانية، وعاشت أزهى عصورها في العهد الراشدي، والعهدين الأموي والعباسي.

● توجد في القدس العديد من الطوائف المسيحية، منها: الروم الأرثوذكس، الروم الكاثوليك، اللتين، الأرمن، الأقباط، الأحباش، السريان، البروتستانت، الموارنة.

● عاشت الطوائف المسيحية أجواء سلبية أثرت على علاقتها ببعضها، فقد تأثرت بالانشقاقات المتكررة التي تركت ترسبات نفسية واجتماعية فيما بينها، كما نشبت صراعات حادة بينها حول أولوية الدخول وإقامة الصلوات في الكنائس، وخاصة كنيسة القيامة. أما العوامل الإيجابية التي تجمع هذه الطوائف، فهو الانتماء الوطني الواحد، والترابط الاجتماعي، إذ يعيشون في القدس في أحياء وحرارات واحدة.

• تنكرت بريطانيا لحقوق العرب، وهي أول من عمل لتهويد القدس وفلسطين، فعند صدور وعد بلفور لم يكن عدد اليهود يزيد على أحد عشر بالمائة (83 ألف نسمة فقط)، بينما كان عدد المسلمين 697000، وعدد المسيحيين 60 ألفاً، وتعادل نسبتهم 8%. أما في أواخر العهد العثماني فكانت النسب كالتالي: المسلمون 90%، المسيحيون 8%، اليهود 2%.

• المجتمع المسيحي في القدس مجتمع متناقض باستمرار نتيجة الممارسات الإسرائيلية بحقهم، ففي عام 1947 كان عددهم (27) ألف نسمة؛ بسبب الأوضاع الحربية التي نشأت في فلسطين عشية صدور قرار التقسيم في 1947/11/29. وكان يجب أن يصير عددهم مئة ألف، على الأقل، عام 2000م، لكن عددهم الفعلي لم يتجاوز 12 ألفاً في تلك السنة، كما خسر 50 في المئة من مسيحيي القدس منازلهم في القدس الغربية عام 1948. ثم صادر الاحتلال الإسرائيلي 30% من الأراضي التي يملكها مسيحيون بعد الاحتلال عام 1967م.

• عاش مسلمو ومسيحيو مدينة القدس في أحياء بعضهم البعض، فليس معنى تسمية حي من الأحياء بالحلي الإسلامي أو المسيحي، بأنه مقصور على أتباع هذه الديانة، ولا يوجد فيها أبناء الديانة الأخرى، بل إن هناك تداخل واختلاط بين السكان مسلمين ومسيحيين، فقد وجد في كل حي منها مسلمون ومسيحيون، ولكن سمي كل حي بما غلب عليه من السكان. بل إنه يوجد ستة مساجد في الحلي المسيحي.

• على الرغم من أن المجتمع الفلسطيني مجتمع مثقف، ورغم أن المسلمين والمسيحيين هم الأكثرية في المجتمع، إلا أن اليهود كانوا الأكثر تأثيراً من حيث عدد الجمعيات التي أسسوها، فمنذ بدء الاحتلال البريطاني حتى نهاية عام 1945م، بلغ عدد الجمعيات والنوادي التي سجلت في القدس، ألفين وثلاثة وعشرين. منها الأدبي، والثقافي، والرياضي، والخيري. 85% من تلك الجمعيات والنوادي

فلسطينية، و15% أجنبية، ومن الجمعيات والنوادي الفلسطينية 30% إسلامية، و20% مسيحية، و35% يهودية.

- كان تأسيس الجمعيات الإسلامية المسيحية نقلة نوعية في العمل السياسي المشترك، فكان لها مساهمة فاعلة في توحيد الصف الوطني، وتوجيه العمل الوطني العام في السعي للاستقلال والتصدي للصهيونية. وقد اعتبرت من أهم الجمعيات المقدسية، التي لعبت دورا مهما في الحياة السياسية الفلسطينية، وكان لها دور طليعي في مقاومة السياسة البريطانية الداعمة للأهداف الصهيونية.
- الأوقات التي تأسست فيها الجمعيات الأدبية، والأهداف الكبيرة التي تبنتها، يوحى بأن النشاط الأدبي كان ستارا يخفي أعمال المقاومة للمطامع الصهيونية، والدعم والتأييد البريطاني. ثم إن وجود شخصيات إسلامية ومسيحية في هذه الجمعيات، مثل مُجَّد أمين الحسيني، وخليل السكاكيني، وغيرهم، ممن كان لهم جهود وطنية في تثبيت الحق العربي في القدس، يؤكد أن استقلال فلسطين، هو أهم الأكلر لهذه المجموعة من المثقفين العرب، كما أنه يقدم صورة مشرقة عن دور المثقفين، في توعية الجماهير العربية بالمخاطر المحدقة بالقدس، وفضح الممارسات والمخططات الصهيونية والبريطانية، باعتبارهم أقدر من غيرهم على الاضطلاع بهذا الدور. وهذا لا يمنع من وجود رغبة حقيقية في نشر التراث والثقافة العربية، لكن ذلك ليس هو السبب الوحيد، لتأسيس هذه الجمعيات.
- في الوقت الذي أصبح فيه المسيحيون من تجار المدن في فلسطين من الفاعلين المهمين في تحريك الاقتصاد البلاد، غدا أعيان المسلمين أقوىاء سياسيا في أواخر العهد العثماني، حتى هيمنوا على الحياة السياسية في فلسطين.

- انضمت المرأة الفلسطينية النضالي إثر ثورة البراق عام 1929، بعد أن بادرت مجموعة من نساء القدس إلى تأسيس الاتحاد النسائي العربي.
- من مظاهر التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين أن تأخي الفريقين كان مؤسسا على قاعدة إخلاص كل فريق للآخر، ومما يدل على ذلك الإخلاص، أن المسيحيين العرب قاطعوا المؤتمر التبشيري الثاني، الذي عقد في 24 آذار (مارس) 1928 حتى 7 نيسان (أبريل) من العام نفسه، على جبل الزيتون في القدس، وحضره (240) ممثلا من (51) دولة في العالم، وكان هدفه غزو الإسلام في عقر داره، وغزو المذاهب غير البروتستانتية. وقد كان مسيحيو الشرق ولا زالوا ينظرون إلى هذه المؤتمرات بعين الريبة والحذر. فالمسيحيون العرب وخصوصا في القدس ينتمون إلى العروبة التي ساهموا في بلورتها وتنميتها في كل المجالات (السياسية، والثقافية، والاقتصادية، وغيرها). وفي هذا الجانب إضافة للدفاع عن دينهم فإنهم دافعوا عن وجودهم ومستقبلهم الذي كان مهددا بفعل هذه المخططات البريطانية. إضافة إلى اختلاف أجناس وبرامج المسيحي الكاثوليكي (الغربي) عن المسيحي الأرثوذكسي (الشرقي).
- تجلّى التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين في التواد والتراحم، فمن ذلك الزيارات على مستوى النخبة في الحركة الوطنية، ففي عام 1919م زار الحاج أمين الحسيني بيت خليل السكاكيني (مسيحي)، وتم خلالها تباحث أحوال فلسطين، وكذلك تقديم التهاني والتعازي في المناسبات المختلفة، فقد ذكر واصف جوهريه (مسيحي) أنه حصل على مجموعة من الهدايا بعد زواجه من فكتوريا صليبا سعد، وكان عدد كبير منها من المسلمين، أمثال: راغب النشاشيبي وفخري النشاشيبي ومحبي الدين الحسيني وجميل الحسيني ومن القاضي مُجّد يوسف الخالدي، وغيرهم.

- في التعايش الفكري، نجد أن المعلمين المسلمين والمسيحيين عملوا في مدارس مشتركة، كما درس الطلاب من الديانتين في مدارس بعضهم البعض، وكانوا يلتقون مع بعضهم لبحث الشعر، كما كان يفعل خليل السكاكيني (مسيحي) ومعروف الرصافي (مسلم)، ويلتقون للاستماع للغناء العربي في المقاهي، إذ كان يلتقي واصف جوهريّة (مسيحي) مع فخري عاصم، وتحسين الخالدي، وداود الفتياي، وعبد القادر العلمي، ومصطفى السرية (مسلمون)، كما شاركوا في الكتابة في الصحف، كما فعل إسعاف النشاشيبي، وخليل السكاكيني، وغيرهما.
- بذل عرب القدس جهودا كبيرة في مناوئة المشروع الصهيوني على الصعيد السياسي، فشاركوا في المؤتمر العربي الفلسطيني، الذي عقد سبع دورات بين عامي 1919 و 1928م، وهو مؤسسة وطنية تشبه المجالس النيابية؛ للتصدي للمشروع الصهيوني، كما شاركوا في مظاهرة آذار عام 1919م احتجاجا على وعد بلفور واستمرار الاحتلال البريطاني، التي انطلقت من المسجد الأقصى المبارك.
- عمل عرب القدس بكل طاقتهم من أجل الحفاظ على أراضيهم، ومنع تسربها لليهود، فقد أعلنوا في غير مرة تمسكهم بأرضهم والدفاع عنها، وهذا هو الذي أعلنه مطران الروم الكاثوليك غريغوريوس حجار، في خطاب ألقاه أمام الشريف حسين عام 1924م، قال: "نحن نصارى فلسطين عرب نتمسك بأرضنا وندافع عنها، ونحن سكان الأرض الأصليين، وقد عشنا مع إخواننا المسلمين طيلة قرون بأمانة ومحبة، ونريد أن نكمل هذه الحياة معا لنجاهد ضد المؤامرات التي تحاك على وطننا. لقد كان أسلافكم من أيام عمر بن الخطاب يعاملوننا معاملة الأخ لأخيه، ولا نريد أن يتغير شيء فيها".
- لم يجد المسيحيون حرجا في أن يكون عنوان المقاومة للاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني، عنوان إسلامي، في "موسم النبي موسى"، على سبيل المثال، وبالتالي أن يشاركوا في المقاومة تحت امرة قيادات

مسلمة، ويسطر هذا المفهوم الراقى إميل الغوري سكرتير النادي الأرثوذكسي، الذي كان على اتصال بالحاج أمين وعمل تحت قيادته.

● لا يعني وجود قلة قليلة جدا من المسيحيين سهلت عملية نقل الأراضي للاحتلال الإسرائيلي أن المسيحيين فرطوا في أرضهم، فهناك قليل أيضا من المسلمين فعلوا ذلك، وفي المقابل هناك كثير من المسيحيين وقفوا سدا منيعا لمنع تسرب الأراضي لليهود، ومنهم رؤوف أبو جابر.

● تطور العمل الإسلامي المسيحي دفاعا عن القدس، فانتقل من العمل السياسي والدبلوماسي إلى الثورة، ففي ثورة البراق عام 1929م اصطدم العرب واليهود حيث التقوا، واختلط الدم المسلم بالمسيحي، إذ قتل (133) يهوديا، و (91) عربيا (87 مسلم و 4 مسيحيين)، وجرح (339) يهوديا، و (181) عربيا. وكانت أكثر إصابات العرب من الجنود والبوليس البريطانيين، ودمرت (6) مستعمرات يهودية تدميرا كاملا.

● شاركت المرأة الفلسطينية (المسلمة والمسيحية) في مسيرة النضال على كافة الأصعدة، فبدأت بالمقاومة السلمية للمشروع الصهيوني عام 1925م، ثم انتقلت إلى العمل الخيري والاجتماعي عام 1927، من خلال تأسيس الاتحاد النسائي العربي، وتطور أدائها لتشارك في العمل السياسي، ثم شاركت في الانتفاضة ضد المشروع الصهيوني عام 1933، وفيها أظهرت نساء القدس وعيا كبيرا، حيث جسدن أجهى صور التعايش، إذ ألقى الرائدة "ماتيل مغنم"، (مسيحية)، خطبة من منبر مسجد عمر، وعند القبر المقدس ألقى الرائدة "طرب عبد الهادي"، (مسلمة)، خطبة أمام مقبرة المسيح.

● تمثل النضال الإسلامي المسيحي منذ عام 1948_ 1967 بالعمل العسكري ضد العصابات الصهيونية، لكن الحركة الوطنية الفلسطينية فشلت في إدارة المعركة كما فشلت الجيوش العربية، وذلك لأسباب سياسية وعسكرية واقتصادية.

● لم يقتصر تنفيذ العمليات الفدائية على المسلمين، وإن كانوا هم الأكثرية التي تمارس العمل المسلح، ففي عام 1947م شارك المسيحيون في العمليات الفدائية، ومن هؤلاء أنطون داود، الذي نجح بالتنسيق مع القائد عبد القادر الحسيني، في تفجير دار الوكالة اليهودية، فقتل وأصاب عشرات اليهود. كما لم تقتصر المشاركة في الواجب النضالي على العرب، بل إن المسيحيين الأيمن، وقفوا إلى جانب، خاصة أثناء حرب 1948، فقدموا كل التسهيلات الممكنة للجنود العرب، وتحملوا في سبيل ذلك خسائر في الأرواح والممتلكات.

● عادت المرأة الفلسطينية بعد نكبة عام 1948، لممارسة دورها في دعم صمود المجتمع، من خلال العمل الخيري والاجتماعي.

● في الفترة ما بين عام 1968-1986، أخذت المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي في البداية شكل المقاومة السلبية، وذلك بعدم التعاون مع سلطات الاحتلال في الشؤون الحياتية، ثم طور الشعب الفلسطيني أساليب المقاومة، فبدأت المؤسسات الفلسطينية بمجابهة مخططات تصفية الوجود العربي، من خلال العمل القانوني والإعلامي، ثم انتقل الفلسطينيون إلى تطبيق خطة العصيان المدني، وكان أحد صورها الامتناع عن دفع الضرائب.

● تجلّت معاني التعايش والتآخي الإسلامي المسيحي، في أبهى صورها، عندما شارك المسيحيون في اطفاء حريق المسجد الأقصى، أما المسلمون فكان لهم دور بارز في فضح الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات المسيحية، وليس أدل على ذلك من مذكرة روجي الخطيب إلى السلطان الأردنية.

● شكلت المقاومة هاجسا مؤرقا للاحتلال الإسرائيلي، ولذلك حاول التخلص من المثقفين، الذين كانوا بمثابة وقود للثورة، فأبعد عددا من القيادات الإسلامية والمسيحية، منذ عام 1967 وحتى عام

1978.

● جاءت مشاركة المسيحيين في أحداث انتفاضة الحجارة متأخرة عن اخوانهم المسلمين بأكثر من شهر ونصف، ويرجح الباحث أن الشارع المسيحي كان بانتظار إشارة البدء من قياداته الدينية والسياسية، فلما جاءت الاشارة من الكنيسة الأولى في فلسطين، شارك المسيحيون في الانتفاضة بفعالية، فعاد الزخم للمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

● تنوعت أشكال المقاومة في انتفاضة الحجارة، فقد أضاف المسلمون والمسيحيون إلى ثوراتهم السابقة في ظل الاحتلال الإسرائيلي، وسائل مقاومة عديدة، ومع أنها بدأت بوسائل بدائية وهي الحجر والمولوتوف، لكنها كانت فاعلة ومؤثرة، ثم تطورت هذه الوسائل فدخل السلاح الأبيض، والعبوات الناسفة، إلى المواجهة. وقد أبقى الفلسطينيون على وسائل المقاومة الاقتصادية، اضافة إلى تطوير خطابهم الإعلامي.

● لم تحقق انتفاضة الحجارة أهدافها المرجوة، ومع أن المجتمع المقدسي، لم يكن ينقصه الاستعداد للتضحية، إذ قدم الشعب الفلسطيني في القدس صورا بطولية مشرقة، لكن ما توفر لمراحل الثورة الفلسطينية في الثلاثينيات، لم يتوفر في هذه المرحلة، فقد كانت القدس تفتقر إلى وجود هيئة قيادية عليا تجمع المسلمين والمسيحية، وكذلك قيادات إسلامية ومسيحية، ذات حضور وتأثير في المجتمع المقدسي.

● شكلت الهجرة المسيحية أحد أبرز التحديات التي تواجه التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين، سيما أنها تسبب في خلل في تركيبة المجتمع العربي في القدس، يؤدي إلى شرخ في جدار الصمود العربي في المدينة، ورغم وجود محاولات مسيحية لوقف هذا النزيف المستمر، إلا أنها تبقى دعوات، لم ترتق بعد إلى برامج عمل، بحيث تشارك فيها الطوائف المسيحية، ويتم فيها التنسيق والتعاون على أعلى المستويات، بين مؤسسات المسلمين والمسيحيين، الدينية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

● المقدسات الإسلامية والمسيحية ارث حضاري للعرب، وكذلك للعالم كله، وبناء عليه لا يجوز لأتباع ديانة التفريط في مقدساتهم؛ لأن ذلك يعني نجاح مخططات الاحتلال الإسرائيلي في الاستفراد بمقدسات كل ديانة على حدة، ولذلك فإن تأسيس الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، بمرسوم رئاسي عام 2008، خطوة متقدمة في الدفاع عن المقدسات الإسلامية والمسيحية.

● لن تتوقف الإجراءات الإسرائيلية لتهويد مدينة القدس، وهذا يستدعي من المسلمين والمسيحيين، توحيد جهودهم؛ للحفاظ على هويتهم وتراثهم الديني والثقافي، فإذا تخلى أحد الفريقين أو قصر في أداء واجبه النضالي، فإنه يدع شريكه الذي تعايش معه على مدار قرون، فريسة سهلة للمطامع الإسرائيلية، التي لن تستثني أحدا من شرها، ثم إنه سيكون لذلك التقاعس، من هذا الطرف أو ذاك، أثر خطير على السلم المجتمعي بين أبناء الديانتين.

● التعايش الإسلامي المسيحي في القدس، متعلق بالأساس بأبناء الديانتين، لكن هذا التعايش يتأثر بمحيطه، فمن الواجب أن تساهم الدول العربية والإسلامي في تعزيزه، ودعم أشكال الصمود الإسلامي المسيحي، على مختلف الأصعدة؛ السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والاعلامية، ومن أجل ضمان استمرار العلاقات الأخوية بين المسلمين والمسيحيين، فيتوجب على أهل القدس، وبمعاونة الدول والمؤسسات الإسلامية والمسيحية المحبة للسلام، العمل بكافة السبل لوقف تدخل بعض الدول والمؤسسات الغربية في الشأن المقدسي، أو على الأقل الحد منه.

● التعايش الإسلامي المسيحي خيار استراتيجي، عند القاعدة الشعبية، والنخب الفكرية، لا يمكن التفريط به، أو العدول عنه، ذلك أنه أرقى ما أنتجه التراث الحضاري العربي، المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن الكتاب المقدس. وهو قرار مصيري، على الرغم من مجمل التحديات

والمخاطر التي تعيشها القدس؛ لأن البديل عنه هو التسليم بإرادة الاحتلال الإسرائيلي، التي تعني الاختلاف والنزاع، وبالتالي ضعف الشوكة، وهزيمة المشروع العربي في القدس، وانتصار المشروع الصهيوني.

University of Malaya

رابعاً: التوصيات:

- محاولة الحد من هجرة الشباب، وخاصة المسيحيين، وذلك من خلال تأسيس مشاريع اقتصادية وثقافية ورياضية.
- ضرورة عمل الاخوة المسيحيين على انشاء مرجعية دينية وسياسية موحدة، تضطلع بمهمة حل مشاكل المسيحيين، وحثهم على الصمود في القدس، والدفاع عن المقدسات المسيحية، ومحاسبة المتلاعبين بها.
- تم تأسيس الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات بمرسوم رئاسي عام 2008، ولا بد من توسيع اطارها، وردفها بشخصيات فاعلة من المسلمين والمسيحيين، على أن يكون دورها محوريا في مواجهة التهديدات الإسرائيلية للمقدسات الإسلامية والمسيحية.
- ابقاء حالة التواصل بين المسلمين والمسيحيين على المستوى الشعبي والقيادي، وفي كافة المجالات؛ وذلك لحل أي خلاف أو سوء فهم، وبحث سبل مواجهة الاجراءات الإسرائيلية لتهويد المدينة.
- الاحتلال الإسرائيلي يخصص حوالي (2) مليار لتهويد القدس، بينما لا تقدم الأنظمة العربية والإسلامية شيئا يذكر للمدينة المقدسة، ولذلك ينبغي أن تعمل الحكومات العربية والإسلامية، والمؤسسات الإسلامية، على تمويل المشاريع التعليمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، لدعم صمود المسلمين والمسيحيين، وتعزيز التعايش السلمي.
- دعم المؤسسات المقدسية التي تجمع المسلمين والمسيحيين، بوسائل التوأمة مع مثيلاتها في الدول العربية والإسلامية.
- التصدي للتدخل الغربي في القدس، وهذا لا يتأتى إلا بتوفير موارد مالية غير ميسسة للقدس، هدفها دعم صمود المقدسيين.

- تعزيز الروح الأخوية بين المسلمين والمسيحيين في القدس، من خلال تسليط الضوء عليها في وسائل الإعلام المحلية والعربية والإسلامية.
- نشر التوعية بقضية التعايش السلمي في القدس، في المناهج التعليمية في الدول العربية والإسلامية؛ من أجل استنساخ هذه التجربة الفريدة في الدول الأخرى، التي تجمع بين أسوارها ديانات متعددة.

University of Malaya

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

أولاً: المصادر:

ابن أبي الهول، علي بن مُجَدِّد الربيعي (ت444هـ)، فضائل الشام ودمشق، تحقيق: صلاح المنجد، دمشق، مطبوعات الجمع العلمي العربي، ط1، 1950م.

ابن أعثم، أحمد بن مُجَدِّد (ت: نحو 314هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شبري، بيروت، دار الأضواء، ط1، 1411هـ/1991م، ج1.

ابن الأثير، علي بن مُجَدِّد الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1417هـ/1997م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، فضائل القدس، تحقيق جبرائيل جبور، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1400هـ/1980م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن الحنبلي، بيروت، دار العربية، ط1، 1398هـ، ج27-28.

ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن مُجَدِّد الشيباني (ت241هـ)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (لا.م)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م.

ابن عساكر، علي بن الحسن (ت571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو العمروي، (لا.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/1995م.

ابن قتيبة، عبدالله، عيون الأخبار، (لا.م)، دار الكتب المصرية، 1334هـ/1925م، ج1.

- ابن قدامه، عبد الله بن أحمد بن مُجَدِّد (ت620هـ)، المغني، القاهرة، هجر، ط2، 1413هـ/1992م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مُجَدِّد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ، ج5.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (لا.م)، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ/1988م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله مُجَدِّد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: مُجَدِّد عبد الباقي، (لا.م)، دار إحياء الكتب العربية، 1952م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، سنن أبي داود، بيروت، المكتبة العصرية، (لا.ت)، ج3.
- الأنصاري، عبد الله (ت761هـ)، تحصيل الأنس لزائر القدس، تحقيق: عيسى القدومي وخالد نواصره، الإصدار الثالث والعشرون، قبرص_نيقوسيا، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، 1430هـ/2009م.
- الأنصاري، مُجَدِّد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ، ج6.
- الأنصاري، يعقوب (ت182هـ)، الخراج، تحقيق: طه سعد وسعد مُجَدِّد، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، (لا.ت).
- البخاري، مُجَدِّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مُجَدِّد الناصر، (لا.م)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت279هـ)، فتوح البلدان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م، ج1.
- الترمذي، مُجَدِّد بن عيسى (ت279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد شاکر وآخرون، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ط2، 1395هـ/1975م، ج5.

الحموي، أحمد بن مُجَّد بن علي الفيومي (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، (لا.ت).

الحموي، ياقوت (ت626هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط2، 1995م.

الخبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن مُجَّد العليمي (ت928هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان نباتة، عمان، مكتبة دنديس، (لا.ت)، ج1.

الخرجي، أحمد بن القاسم (المعروف بابن أبي أصيبعة)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، (لا.ت).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن مُجَّد (ت425هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي، ط2، دمشق (دار القلم) بيروت (الدار الشامية)، 1418هـ/1997م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، شرح السيوطي على النسائي، بيروت، دار المعرفة، ط4، 1418هـ/1997م.

الطبري، أبو جعفر مُجَّد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار التراث، ط4، 1387هـ، ج2، ج3.

الطبري، أبي جعفر مُجَّد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وقربه وخدمه: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط1، دمشق (دار القلم)، بيروت (الدار الشامية)، 1418هـ/1997م.

العيني، بدر الدين أبي مُجَّد محمود بن أحمد (ت855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، ط1، (لا.ت).

القرطبي، أبو عبدالله مُجَّد بن أحمد (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم
أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ/1964.

القلقشندي، أحمد (ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت، دار الكتب العلمية، (لا.ت)،
ج13.

المواردي، علي مُجَّد (ت450هـ)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، (لا.ت).

المقدسي، مُجَّد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط3، 1411هـ/
1991م.

المقدسي، مُجَّد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي (ت643هـ)، فضائل بيت المقدس، تحقيق: مُجَّد
الحافظ، دمشق، دار الفكر، ط1، 1405هـ.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ)، شرح النووي على مسلم، بيروت، دار إحياء
التراث العربي، ط2، 1392هـ.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: مُجَّد عبد الباقي،
بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا.ت).

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب، ط2،
1967م.

ثانيا: المراجع:

ابن عاشور، مُجد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، تونس (الشركة التونسية للتوزيع)، الجزائر (المؤسسة الوطنية للكتاب)، 1985م.

أبو جابر، رؤوف، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2004م.

أبو حسين وسعداوي، عبدالرحيم وصالح، الكنائس العربية في السجل الكنسي العثماني 1869-1922م، عمان، المعهد الملكي للدراسات الدينية، ط1، 1998م.

أبو عامر، عدنان، السياسة الصهيونية تجاه مدينة القدس، الرياض، مجلة البيان، ط1، 1430هـ/2009م.

أبو عليان، عزمي، معالم القدس الحضارية وسياسة التهويد الصهيونية، عمان، مطابع أروى، ط1، 1433هـ/2012م.

أبو علية، عبد الفتاح حسن، القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، الرياض، دار المريخ، 1421هـ/2000م.

أبو غربية، بهجت، مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949م، في خضم النضال العربي الفلسطيني، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 1993م.

إنجيل لوقا، كنيسة الأنبا تكلا هيمنوت، الإسكندرية، مصر.

إنجيل متى، كنيسة الأنبا تكلا هيمنوت، الإسكندرية، مصر.

إنجيل يوحنا، كنيسة الأنبا تكلا هيمنوت، الإسكندرية، مصر.

الأنصاري، ابن منظور (ت711هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ، ج6.

أيوب، سمير، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984م، ج3.

برزق، مخلص، القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، سلسلة أبحاث القدس (5)، بيروت، مؤسسة القدس، 1424هـ/2003م.

بويصير، صالح، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، دار بويصير، ط1، 1987م، وزارة الثقافة، ط2، 2001م، (لا.م).

التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1979. تمري ونصار، سليم وعصام، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية (1917-1904م)، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، الكتاب الأول، 2003م.

التويجري، عبد العزيز، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1419هـ/1998م.

جارودي، روجيه: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، القاهرة، دار الشروق، ط3، 1422هـ/2002. جبارة، تيسير، الحاج محمد أمين الحسيني دراسة في نشاطه الديني (1937-1921م)، (لا.م)، دار الفرقان، 1415هـ/1995م.

جرار، حسني، شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والكييد الصهيوني (1939-1920م)، عمان، دار الفرقان، (لا.ت).

الجوابرة، فاطمة، موسوعة القدس، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ/2003م.

حمدان، غسان، الانتفاضة المباركة.. وقائع وأبعاد، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1989م.

حمودي، سناء، مفهوم القيادة السياسية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (قيادة الحاج أمين الحسيني)، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2008م.

حميد الله، مُجَّد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت، دار النفائس، ط6، 1407هـ/1987م.

الحوت، بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948م)، بيروت، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط3، 1986م.

الحوت، بيان، فلسطين.. القضية.. الشعب.. الحضارة، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991م.

الحوت، بيان، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939م، (من أوراق أكرم زعيتر)، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، 1984م.

الخربوطلي، علي، الإسلام وأهل الذمة، الكتاب التاسع والأربعون، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1389هـ/1969م.

الخطيب، روحي، تهويد مدينة القدس، عمان، وزارة الأوقاف، (لا.ت).

الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، كفر قرع (فلسطين)، دار الهدى، 2002-2003م، ج10، القسم الثاني، في بيت المقدس؛ ج9، القسم الثاني.

الدبش، أحمد (تحرير)، موجز تاريخ فلسطين من أقدم العصور حتى القرن الحادي والعشرين، ط1، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، 1431هـ/2010م.

الدلو، جواد راغب، دراسات في الصحافة الفلسطينية، ط1، غزة، مكتبة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،
1420هـ/2000م.

ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة: مُجَّد بدران، بيروت (دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع)، تونس (جامعة
الدول العربية)، (لا.ت).

ربابعة، غازي إسماعيل، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ط1، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع،
1408هـ/1987م.

رياح، إسحاق، تاريخ القدس عبر العصور، عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
الزحيلي، وهبه، مكانة القدس في الأديان السماوية، دمشق، دار المكتبي، ط1، 1421هـ/2001م.

الزعيبي، أمجد، هربرت صموئيل وتأسيس إمارة شرق الأردن (1920-1925م)، مركز الكتاب الأكاديمي
(عمان)، 2002م.

السائح، عبد الحميد، فلسطين لا صلاة تحت الحراب، مذكرات الشيخ عبد الحميد السائح، بيروت، مؤسسة
الدراسات الفلسطينية، ط1، 1994م.

السباعي، مصطفى، من روائع حضارتنا، بيروت، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، ط1،
1420هـ/1999م.

سفر أعمال الرسل، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية، مصر.

السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، يافا، مكتبة فلسطين الجديدة، ط1، 1937م.

السكاكيني، خليل، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مركز خليل
السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2004م، الكتاب الثالث.

السكاكيني، خليل، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2004م، الكتاب الخامس (ج2).

السكاكيني، خليل، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2009م، الكتاب السابع.

السكاكيني، خليل، يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل وتأملات، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2010م، الكتاب الثامن.

شبير، مُجَّد، بيت المقدس وما حوله خصائصه العامة وأحكامه الفقهية، الكويت، مكتبة الفلاح، ط1، 1407هـ/1987م.

شراب، مُجَّد، القدس أسسها العرب ورفع قواعدهما المسلمون، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

شهيد، سيرين الحسيني، ذكريات من القدس، ترجمة: مُجَّد برادة، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.

الشورة، صالح علي، مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطاني 1917-1948، عمان، دار كنوز المعرفة، ط1، 2009م.

صالح وآخرون، محسن، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 1431هـ/2010م.

صالح، جهاد أحمد، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين، رام الله، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، ط2، 2011م، الجزء الأول والثاني.

- صالح، جهاد، خليل بيدس..رائد القصة القصيرة الحديثة في فلسطين وأول سفير للأدب الروسي في الثقافة العربية، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات والنشر والإعلام، ط1، 2005م.
- صالح، محسن، الطريق إلى القدس، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والنشر، ط5، 1433هـ/2012م.
- صالح، محسن، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، كوالالمبور، (لان)، ط1، 2003م.
- صبري وحنا، عكرمة وعطالله، عناق الصليب والهلال مسيحيون ومسلمون معا من أجل القدس، أريحا، هيئة تنشيط السياحة في محافظة أريحا والأغوار، مطبعة المنار الحديثة، 2003م.
- الصلابي، علي مُجَّد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ط2، 1424هـ/2003م، ج2.
- العارف، عارف، الأعمال المقدسية الكاملة، تاريخ الحرم القدسي، المسيحية في القدس، عمان_الأردن، وزارة الثقافة، 2009م، ج2.
- العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس، مطبعة المعارف، ط5، 1999م، ج1.
- العارف، عارف، تاريخ القدس، القاهرة، دار المعارف، ط2، (لا.ت).
- عبده، مُجَّد، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، (لا.م)، دار الحدائث، ط3، 1988م.
- عراي، رجا، الكافي في تاريخ القدس "دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر"، دمشق، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط1، 2009م.
- العسلي، كامل، مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، عمان، وزارة الشباب، 1988.
- العضايلة، عادل، القدس.. بوابة الشرق الأوسط للسلام، عمان، دار الشروق، ط1، 2006م.

عطا، زبيدة، عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1427هـ/2007م.

عمر، عبدالله، بيت المقدس في استراتيجية النبي ﷺ، (مسودة الكتاب)، 2014.

عناي، إبراهيم، القدس الشريف وماذا عن تل أبيب، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، 2002م.

العناني، جاسر، الحياة الثقافية في القدس 637-1948م، عمان، أمانة عمان، ط1، 2007م.

العويسي، عبد الفتاح، تصور جديد للعلاقات الدولية نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة

وتوجيهها، المؤسسة الجامعية (بيروت)، مجمع دراسات بيت المقدس (اسكتلندا)، ط1، 1432هـ/2011م.

عيد، عاطف، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم.. فلسطين، بيروت، Edito Creps،

INT، 1998-1999.

غارودي، روجيه، فلسطين أرض الرسائل السماوية، ترجمة: قصي أتاسي وميشيل واكيم، دمشق، طلاس

للدراستات والترجمة والنشر، 1991م.

الغرياني، عادل، التعايش السلمي في عصور الدول الإسلامية، بحوث المؤتمر الدولي للتعايش السلمي في

الإسلام، الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المركز الإسلامي في كولومبو (سريلانكا)، الرياض،

مكتبة الملك فهد الوطنية، 1428هـ.

الغزالي، مُجَدِّد (ت1416هـ)، فقه السيرة، دمشق، دار القلم، ط1، 1427هـ.

الغزالي، مُجَدِّد، صيحة تحذير من دعاة التنصير، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2005م.

الغوري، إميل، فلسطين عبر ستين عاما، بيروت، دار النهار، 1972م.

غوشة، صبحي، الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2010م.

فرسون، سميح، فلسطين والفلسطينيون، ترجمة: عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2003م.

فورد، جورج، سيرة المسيح، ألمانيا، نداء الرجاء، (لا.ت).

القرضاوي، يوسف، القدس قضية كل مسلم، القاهرة، مركز الإعلام العربي، ط1، 1423هـ/2002م.

القرضاوي، يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط6، 2004م.

القرعي، أحمد يوسف، القدس من بن غوريون إلى نتياهو، (لا.م)، مركز الدراسات العربي-الأوروبي، ط1، 1997م.

قريشي، عمر عبد العزيز، سماحة الإسلام، ط3، الرياض (مكتبة الأديب)، المنصورة (الذهبية للنشر والتوزيع)، 1426هـ/2006م.

القضاة، أحمد، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت والقاهرة، دار الشروق، ط17، 1412هـ، ج1.

الكتاب، عبد الحميد، القدس.. الفتح الإسلامي والغزو الصليبي والهجمة الصهيونية، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1415هـ/1994م.

كتن، هنري، القدس، ترجمة: إبراهيم الراهب، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، 1997م.

كفافي، زياد وآخرون، القدس عبر العصور، (لا.م)، (لا.ن)، 2008م.

كمرلنغ، ومفدال، باروخ ويوئيل، الفلسطينيون صيرورة شعب، ترجمة: مُجَّد حمزة غنايم، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2001م.

الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط10، (لا.ت).
مارديني، زهير، فلسطين والحاج أمين الحسيني، بيروت، دار اقرأ، ط1، 1406هـ/1986م.

محاسنة وآخرون، مُجَّد، تاريخ مدينة القدس، عمان (دار حنين للنشر والتوزيع)، بيروت (مكتبة الفلاح)، ط1،
1423هـ/2003م.

محاسنة، مُجَّد، حقيقة القدس، عمان، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2004م.

المحجوبي، علي، جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، تونس، دار سراس للنشر، 1990م.

محسن، عيسى، فلسطين وسماحة المفتي الأكبر الحاج مُجَّد أمين الحسيني، عمان، مطبعة الصخرة، ط1،
1419هـ/1998م.

المدني، زياد، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني (1246-1336هـ/1831-1918م)،
(عمان، المؤلف، ط1، 1425هـ/2004م).

مرقس، شماسة، ترجمة حياة القديس بيرفيريوس (أسقف غزة 395-420م)، ترجمة: وهبة الله صروف،
تحقيق ودراسة وتعليق سليم المبيض، غزة-فلسطين، (لا.ن)، 2004م.

مروة، أديب، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ط1، 1961م.

مسعود، جمال، الطريق إلى بيت المقدس "القضية الفلسطينية"، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،
ج1، (لا.ت).

المصلح، عبد الله، أسس التعايش السلمي في الإسلام ومرتكزاته، بحوث المؤتمر الدولي للتعايش السلمي في الإسلام، الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المركز الإسلامي في كولومبو (سريلانكا)، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1428هـ.

معالم البلدة القديمة، قسم الإعلام والأبحاث، مؤسسة القدس الدولية، (لا.ت).

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر، ط2، (لا.ت)، ج2.

المي، حسن، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، (لا.م)، دار الغرب الإسلامي، (لا.ت).

مناع، عادل، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918م)، القدس، ط1، 1986، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، 1995م.

المهتدي، عبلة، القدس تاريخ وحضارة (3000ق.م-1917م)، عمان، دار نعمة للطباعة، ط1، 1420هـ/2000م.

المهتدي، عبلة، القدس والحكم العسكري البريطاني (1920-1917م)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003م.

الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، دمشق، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط1، 1984م، ج4.

ناصر الدين، هبة، وآخرون، حارقي النصارى واليهود (الشرف)، القدس، مؤسسة الرؤيا، 2006م.

نجم، رائف، وآخرون، كنوز القدس، إيطاليا، منظمة المدن العربية، ط1، 1403هـ/1983م.

نسيبة، حازم زكي، ذكريات مقدسية "سيرة ذاتية"، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2010م.

نشابه، هشام، الكلية العربية في القدس، دراسات فلسطينية، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988م.

نصار وتماري، عصام وسليم، القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية (1914-1948م)، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، الكتاب الثاني، 2005م.

نظام الدين والدجاني، عرفان وعلي، القدس إيمان وجهاد، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1987م.

النقر، محمد الحافظ، تاريخ بيت المقدس من الفتح العمري حتى العهد الأيوبي، عمان، دار الرازي، ط1، 1424هـ/2003م.

نيروز، إبراهيم، كشف المفقود من كنائس عابود، رام الله-فلسطين، مكتبة المطران عقل عقل للدراسات الدينية، بيت المقدس للنشر والتوزيع، ط1، 2001م.

الهزايمة، محمد عوض، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.

الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية (5)، جمع وتصنيف: جورج خوري نصر الله، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية والجامعة اللبنانية، ط1، 1971م.

الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1981م، بيروت (مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، أبو ظبي (مركز الوثائق والدراسات).

ياغي، إسماعيل، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، الرياض، دار المريخ للنشر، 1403هـ/1983م.

ياغي، إسماعيل، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (1400-1492هـ/1987-1980م)، الرياض، دار المريخ، 1415هـ/1995م، ج1.

يهوشع، يعقوب، تاريخ الصحافة العربية الفلسطينية في نهاية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين 1930-1948م، شفاعمرو، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، القدس، معهد هاري ترومان للأبحاث الجامعية العبرية، 1983م.

يوسف، حمد، من آثارتنا العربية والإسلامية في بيت المقدس، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، السلطة الوطنية الفلسطينية، 1420هـ/2000م، ج1.

ثالثاً: الأبحاث:

أبو الحاج، ثابت، العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً، مجلة الجنان، بيروت، 2015، ع7.

أبو الشعر، هند، المدارس الأجنبية في القدس، كلية تراسطانه نموذجاً، القدس، أوراق المؤتمر الدولي عن القدس، عمان، وزارة الثقافة، 1430هـ/2009م، ج1.

أبو صالح، محمد، التطور التاريخي لنضال الشعب الفلسطيني للحفاظ على ييوسية القدس، الأعمال الكاملة للمؤتمر الدولي لنصرة القدس المنعقد في القدس وبيروت وغزة، مركز قدس نت، يونيو (جزيران) 2007م، ج2. أبو فخر، صقر، بلاد المسيح بلا مسيحيين، مجلة الرأي الآخر، ع7.

البطمة، نادية، صفحات ثقافية مقدسية مطوية قبل نكبة 1948م، مجلة شؤون فلسطينية، رام الله، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، شتاء 2013م، ع251.

تماري، سليم، القدس 1948: المدينة المهجرة، القدس 1948م.. الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948م، تحرير: سليم تماري، ط1، بيروت (مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، 2002م، القدس (بدليل)، 2003م.

تماري، سليم، **حادثة القدس العثمانية، المذكرات الجوهريّة 1904-1917م**، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع44، (بيروت) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (القدس) مؤسسة الدراسات المقدسية، 2000م.

تماري، سليم، **مع ناقة الله في سيبيريا: عارف العارف في الأسر الروسي خلال الحرب العالمية الأولى**، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2008م، ع76.

تماري، سليم، **مقهى الصعاليك وإمارة البطالة المقدسية، حوليات القدس، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2004م، ع2.**

حماد، نافذ، **مكانة المسجد الأقصى وما حوله عند شيخ الإسلام ابن تيمية، القدس تاريخاً وثقافة، أبحاث المؤتمر الخامس لكلية الآداب، غزة، الجامعة الإسلامية، 2011م.**

حمادي، جميل، **القدس وماذا يمكن أن نقدم لها، استشراف مستقبل قضية القدس في ضوء التطورات الراهنة، أعمال اللقاء الذي عقد في القاهرة في 22 آذار (مارس) 2005م، برنامج حوار الحضارات (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة)، الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، القاهرة، 2006م.**

حمودة، سناء، **الدور المسيحي الفلسطيني في مواجهة الاحتلال، موقع مؤسسة القدس الدولية، بحث منشور على الانترنت.**

خضر، جمال، **الإرث العربي المسيحي في القدس، مؤتمر يوم القدس العاشر، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، شباط (فبراير) 2009م.**

خضر، جورج، **القدس ضمير المسيحيين العرب، يوم القدس (الندوة الثالثة)، عمان، لجنة يوم القدس، 1992م.**

الخطيب، روعي، الاجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس بين 1965-1975م، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، كانون ثاني-شباط 1975م، عدد خاص.

خوري، رفيق، القدس في الذاكرة المسيحية، بحث مقدم لمؤسسة القدس الدولية (فرع غزة) لتقدمها في دورة معارف مقدسية التي نظمتها المؤسسة عام 2012م.

خوري، رفيق، الوجود المسيحي في القدس، بحث مقدم لمؤسسة القدس الدولية (فرع غزة) لتقدمها في دورة معارف مقدسية التي نظمتها المؤسسة عام 2012م.

ديب، ماريوس، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الفلسطينية عشية التقسيم 1947م، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، الرياض، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، 1983م، ج1.

ديفيس، روشيل، القدس العثمانية: نمو المدينة خارج الأسوار، القدس 1948.. الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948م، تحرير: سليم تماري، ط1، بيروت (مؤسسة الدراسات الفلسطينية) 2002م، القدس (بديل)، 2003م.

سايبلا، برنارد، الكنائس والمقدسات المسيحية في مواجهة التحديات الإسرائيلية، مجلة صامد الاقتصادي، عمان، مؤسسة صامد، السنة الثالثة والثلاثون، تموز_كانون الاول، 2011م، ع165-166.

سانو، قطب مصطفى، فن التواصل مع الآخر: معالم وضوابط ووسائل، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني: نحن والآخر، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1427هـ/2006م.

سحاب، إلياس، هنا القدس.. إذاعة فلسطين الانتدابية، حوليات القدس، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2004م، ع2.

شامية، فادي، الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 1431هـ/2010م.

الشنطي، انتصار، دور المجاهدين الفلسطينيين من قرار التقسيم إلى دخول الجيوش العربية، مجلة صامد الاقتصادي، عمان، مؤسسة صامد، السنة العشرون، تموز - آب - أيلول 1998م، ع113.

شولش، الكزاندر، القدس في القرن التاسع عشر 1831-1917م، القدس في التاريخ، ترجمة: كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1992م.

عارف، رفاه تقي الدين، العامة في بغداد من العصر العباسي الأول والثاني 132-334هـ/749-946م، مجلة سر من رأى، كلية التربية بجامعة سامراء، السنة السابعة، نيسان 2011م، م7، ع25.

عبد الظاهر، إسلام، كنائس القدس، القدس معرفة في سبيل التحرير، تحرير: عبد القادر ياسين، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2010م.

عودة، أحمد، المقاومة السلمية: تاريخ وآفاق.. فلسطين نموذجاً، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، 2012م، العددان 249-250.

فشمان، لويس، حادثة الحرم الشريف سنة 1911: أعيان فلسطين في مواجهة الإدارة العثمانية، ترجمة: سميح حمودة، حوليات القدس، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2009-2010م، ع8.

القدس لنا، جمعية إحياء التراث الإسلامي (لجنة العالم العربي)، إصدار خاص بمناسبة أسبوع الأقصى الثاني، 1421هـ/2000م.

الكايد، أحمد، القدس في خضم الانتفاضة الشعبية.. خلفيات وأبعاد، مجلة صامد الاقتصادي، عمان، مؤسسة صامد، السنة الثالثة عشرة، تموز (آب-أيلول) 1991م، ع85.

كلداني، حنا، التعايش الإسلامي المسيحي في القدس، موقع إيلاف، الأحد 10 كانون الأول (ديسمبر) 2006.

المشهد الثقافي لمدينة القدس، دائرة شؤون القدس، منظمة التحرير الفلسطينية، (لات).

منصور، هالة، المقاومة الوطنية في القدس 1918-1997، مجلة صامد الاقتصادي، عمان، مؤسسة صامد، السنة التاسعة عشرة، تشرين أول-كانون أول 1997م، ع110.

رابعاً: المقالات:

أبو الريش، رفعة، دور التاريخ الشفوي في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية، مركز بديل، بيت لحم.

أرشيفات بيت الشرق المنهوية (افتتاحية)، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ربيع 2002م، ع50.

خزمو، جاك، الهجرة إلى الخارج.. العوامل الاجتماعية وغياب الممثل أو السند القومي للوجود المسيحي، البيادر السياسي، السنة السابعة والعشرون، حزيران 2007م، ع927.

خزمو، جاك، تساؤل عدد المسيحيين لأسباب وعوامل عديدة، البيادر السياسي، السنة السابعة والعشرون، حزيران 2007م، ع928.

سايبلا، برنارد، الحضور المسيحي في فلسطين، مجلة فلسطين، بيروت، تصدر عن صحيفة السفير العربي، السنة الثانية، نشر بتاريخ السبت 15 تشرين أول (أكتوبر) 2011م، ع18.

الشايب، يوسف، حكايات البدايات المجهولة، مجلة "فلسطين"، بيروت، تصدر عن صحيفة السفير العربي، السنة الرابعة، نشر بتاريخ 15 تموز (يوليو) 2013م، ع39.

عبد الهادي، فيحاء، نحو توهج الذاكرة الجماعية، صحيفة "الأيام" الفلسطينية، رام الله، تصدر عن شركة مؤسسة الأيام للطباعة والصحافة والنشر والتوزيع، نشر المقال بتاريخ 27 تشرين أول (أكتوبر) 2013م.

عبد الهادي، فيحاء، نساء مقدسيات في الذاكرة الشعبية الجماعية، صحيفة "الأيام" الفلسطينية، رام الله، تصدر عن شركة مؤسسة لأيام للطباعة والصحافة والنشر والتوزيع، نشر المقال بتاريخ 20 تشرين الأول (أكتوبر) 2013م.

عبد رب النبي، مُجَّد، التعايش السلمي مع غير المسلمين في ضوء مقاصد الشريعة، موقع منارات، 1433هـ/2012م.

عمارة، مُجَّد، فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر الديني والثقافي، مجلة حراء، اسطنبول، شركة "إيشك" للنشر، السنة الثالثة، أكتوبر-ديسمبر، 2007م، ع9.

عيسى، حنا، النكبة طالت مسيحيي فلسطين أيضا، منشور على الانترنت.

عيسى، حنا، هجرة المسيحيين الفلسطينيين وتحديات البقاء، موقع حركة الشبيبة الأرثوذكسية على الانترنت.

الناصر، مُجَّد، من هدي النبي ﷺ في التعايش مع الآخر.. ميثاق نصارى نجران نموذجاً، مجلة الإحياء، المملكة المغربية، مجلة محكمة تعنى بالشأن الشرعي والفكري تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء.

يعقوب، أوس، رواد مقدسيون.. المقدسية الرائدة هند الحسيني (1994-1916م).

خامسا: المقابلات:

أبو خضير، مُجَّد، صحفي في صحيفة القدس منذ 1987م، مقابلة خاصة: الاثنين 22 حزيران (يونيو) 2015م.

بكيرات، ناجح، مدير المسجد الأقصى المبارك، مقابلة خاصة: الأحد 7 أيلول (سبتمبر) 2014م.

حمامي، جميل، محاضر في جامعة القدس وعضو الهيئة الإسلامية العليا في القدس، مقابلة خاصة: السبت 7 حزيران (يونيو) 2014م.

خوري، باسم، وزير الاقتصاد الفلسطيني الأسبق ما بين 2009-2012، مقابلة خاصة: السبت 3 كانون ثاني (يناير) 2015م.

خوري، رفيق، كاهن ولاهوتي فلسطيني، من كهنة البطريركية اللاتينية - القدس، مقابلة خاصة: الأحد 8 حزيران (يونيو) 2014م.

سايبلا، برنارد، نائب مسيحي في المجلس التشريعي، مقابلة خاصة: السبت، 6 كانون الأول (ديسمبر) 2014.

صبري، عكرمة، خطيب المسجد الأقصى ورئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس، مقابلة خاصة: السبت 4 نيسان (أبريل) 2015م.

عطون، أحمد، نائب عن مدينة القدس على قائمة التعيير والإصلاح، مقابلة خاصة: الأربعاء تشرين أول (أكتوبر) 2014م.

عمرو، جمال، خبير في شؤون القدس وأستاذ الهندسة المعمارية في جامعة بيرزيت، مقابلة خاصة: الاثنين 3 تشرين ثاني (نوفمبر) 2014م.

عيسى، حنا، أمين عام الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، مقابلة خاصة: الثلاثاء 10 آذار (مارس) 2015م.

مصلح، عيسى، الناطق الرسمي لبطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية، مقابلة خاصة: الأربعاء 15 نيسان (أبريل) 2015م.

سادسا: المواد التلفزيونية:

برنامج "بلا حدود"، قناة الجزيرة، 22 تشرين ثاني (نوفمبر) 2000م.

برنامج الاقتصاد والناس، الاقتصاد المقدسي، ح1، قناة الجزيرة، 25 تموز (يوليو) 2015م.

برنامج التآخي بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين، قناة الجزيرة، 22 تموز (يوليو) 2007م.

برنامج لقاء اليوم، قناة الجزيرة، 8 أيلول (سبتمبر) 2000م:

فيلم النكبة، خيوط المؤامرة، قناة الجزيرة، 2008م، ج1.

فيلم هند الحسيني وحكاية دار الطفل العربي، القدس، مؤسسة دار الطفل العربي، دعم مؤسسة التعاون،

2012م.

سابعا: المواقع الالكترونية:

[/http://www.mohamoon.net](http://www.mohamoon.net): شبكة المحامين العرب:

[/http://www.palqa.com](http://www.palqa.com): فلسطين سؤال وجواب:

<http://www.aljazeera.net/portal>: قناة الجزيرة:

[\(/http://www.hcc-plo.ps\)](http://www.hcc-plo.ps): اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس في فلسطين (HCC):

[/http://www.rcja.org.jo](http://www.rcja.org.jo): اللجنة الملكية لشؤون المقدسات:

[\(/http://www.schmidtschule.org\)](http://www.schmidtschule.org): مدرسة شميدت على الانترنت:

<https://www.palinfo.com>: المركز الفلسطيني للإعلام:

[/http://www.alqudslana.com](http://www.alqudslana.com): مؤسسة القدس للثقافة والتراث:

<http://www.palestinapedia.net> الموسوعة الفلسطينية:

<http://www.wafa.ps/arabic/index.php> وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا":

<https://ar.wikipedia.org> ويكيبيديا الموسوعة الحرة:

ثامننا: الدوريات:

صحيفة البيان، دبي.

صحيفة الحياة الجديدة، رام الله.

صحيفة الفتح، القاهرة.

صحيفة القدس، القدس.

تاسعا: المراجع الأجنبية:

ا_ الكتب:

Y. Porath, The Emergence of the Palestinian-Arab National Movement, 1918-1929. (London: Frank Cass, 1974).

Al-Tel, Othman, The First Islamic Conquest of Aelia (Islamic Jerusalem): A Critical Analytical Study of the Early Islamic Historical Narratives and Sources, Al-Maktoum Institute Academic Press, 2003.

El-Awaisi, Khalid, Mapping Islamic Jerusalem, A Rediscovery of Geographical Boundaries, Al-Maktoum Institute Academic Press, 2007.

Hadawi. John. Robert and Sami. The Palestine Diary. Vol. 2: 1945-1948, Beirut: PLO, Research center. 1970.

Palestine Papers: 1917-1922, comp. and Annotated by Doreen Ingrams (London: John Murray, 1972).

ب_ الأبحاث:

Khamaisi et al., Rassem, Jerusalem The Old City, The Urban Fabric and Geopolitical Implications, Jerusalem, The International Peace and Cooperation Center, 2009, p 14.

ت_ المقالات:

Chapel of the Ascension, Jerusalem, in <http://www.sacred-destinations.com/israel/jerusalem-chapel-of-ascension>.

CHURCH OF SAINT MARY MAGDALENE ,in
<http://www.christusrex.org/www2/baram/B-magdalene.html>.

Fargues, Philippe, "Demographic Islamization: Non-Muslims in Muslim countries," SAIS Review 21, No.2, P.P 103-16, Summer/Fall 2001.

Gethsemane and Church of All Nations, Jerusalem, in:
http://www.atlastours.net/holyland/gethsemane_and_church_of_all_nations.html.

Prince EL Hassan bin Talal, "Jordanian Christians are Fully Integrated," The Middle East Quarterly, Winter 2001, Volume 8: Number 1.

University of Malaya

الملاحق

وثائق وصور

ملحق رقم (1)

كتاب رسول الله ﷺ لنصارى نجران

البلاذري، فتوح البلدان، ص 77-78

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا ما كتب النبي رسول الله ﷺ لنجران إذ كان له عليهم حكمة في كل ثمرة وصفراء وبيضاء وسوداء ورقيق، فأفضل عليهم وترك ذلك ألفى حلة حلل الاواقى. في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة. كل حلة أوقية، وما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الاواقى فبالحساب، وما قضاوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مائة رسل شهر فدونه، ولا يجبس رسل فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة - أي إذا كان كيد بغدر منهم - وما هلك مما أعاروا رسل من خيل أو ركاب فهم ضمن حتى يردوه إليهم.

ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهددهم، وغيرهم، وبعثهم، وأمثلتهم، لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم وأمثلتهم، لا يفتن أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانته، ولا واقه من وقاهيته، على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطاء أرضهم جيش، من سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين بنجران، ومن أكل منهم ربا من ذى قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، ولهم على ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي أبدا حتى يأتي أمر الله، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم، غير مكلفين شيئا بظلم.

شهد أبو سفيان ابن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر والاقرع ابن حابس الحنظلي والمغيرة وكتب.

ملحق رقم (2)

مذكرة الجمعية الإسلامية المسيحية إلى الحاكم العسكري البريطاني بالقدس برفض فكرة الوطن القومي

اليهودي وفصل فلسطين عن سورية (القدس 20 / 8 / 1919)

موقع شبكة المحامين العرب

في مكاتباتنا السابقة طلبنا عدم فصل فلسطين عن سورية واحتججنا على ما ينوي من تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود.

وعندما زارت اللجنة الأمريكية هذا البلد تأكد لديها أن جميع سكان سورية من الجنوب إلى الشمال يرفضون بالإجماع قبول الحركة الصهيونية والسماح لفلسطين بأن تصبح وطنًا قوميًا لهم.

ونحن متأكدون من أن عدالة الدول الحليفة لن تضرب بمطلب ملايين السكان عرض الحائط وتؤيد طلب عدد قليل من الصهيوينيين.

ونلاحظ أن بعض الصحف ينقل هذه الفكرة التي تؤدي إلى فناء السكان الأصليين لذلك جئنا بهذا مكررين طلبنا السابق.

ونطلب عدم فصل فلسطين عن سورية بحال من الأحوال ونطلب أيضًا أن تقوم الدولة المنتدبة في سوريا وفلسطين بالمساعدة فعلاً فترفض السماح بصيرورة فلسطين وطنًا قوميًا لليهود.

وكما ذكرنا سابقاً فإن جميع سكان فلسطين بوجه عام لا يمكن أن يقبلوا بهذا المشروع وهم على استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل مقاومته. ونلتمس أن تتكرموا بعرض هذا على حكومتكم الجليلة ونشكركم سلفاً.
(خاتم الجمعية الإسلامية المسيحية).

University of Malaya

ملحق رقم (3)

نداء من مسيحيي فلسطين إلى العالم المسيحي لإنقاذ الأماكن المقدسة من الخطر الصهيوني

1936

موقع شبكة المحامين العرب

نحن المسيحيون العرب سكان وأهالي فلسطين الأرض المقدسة نوجه هذا النداء إلى العالم المسيحي إلى أتقياء المسيحيين أينما وجدوا وإلى كل مسيحي يؤمن بتعاليم الإنجيل الطاهر لافتين أنظارهم إلى السياسة القائمة في البلاد المقدسة وإلى الأخطار التي تجرها وراءها والتي تهددنا بالجلاء عن بلادنا وتعرض الأماكن المقدسة للاحتقار والامتهان .

إن حكومة الانتداب البريطانية تنفيذاً لوعده جائر ظالم أُعطي من اللورد بلفور باسم الحكومة البريطانية في ظروف شاذة ولأسباب أنانية مادية أخذت تعمل لتأسيس مملكة يهودية تحت اسم وطن قومي لليهود في فلسطين فسنت القوانين الشاذة وفرضت الرسوم والضرائب الباهظة وسهلت بيع الأراضي لليهود وفتحت أبواب البلاد لجموعهم المتدفقة فأموها من جميع أطراف المعمورة جالبين معهم المبادئ الهدامة من شيوعية وفوضوية وإباحية المغايرة لكل الأديان السماوية.

حصل في هذه البلاد التعسة عدة اضطرابات ومظاهرات احتجاجاً على الظلم الفادح النازل بها تخلل بعضها أعمال عنف وشدة قمعتها الحكومة بقوة السلاح ثم ظلت راكبة رأسها لا تلوي إلى تشكياتنا ولا تصغي إلى احتجاجاتنا التي لم تنقطع طيلة الثماني عشرة سنة الماضية. وقد نسيت نفسها أنها ليست إلا منتدبة من واجبها أن تخدم هذه البلاد وتثقف أهلها كي يصلوا إلى ما يصبون إليه من استقلال وحرية ووضعت نفسها في مقام

المأجور لليهودية العالمية فلا هم لها إلا إرضاءها ولا تأتمر إلا بأوامر زعمائها ولا تنفذ إلا رغائبهم. والحكومة مع علمها الأكيد بالأخطار التي يستهدف لها شعبنا العربي من جراء السياسة المتبعة لم تقم للآن بعمل واحد حاسم يزيل مخاوفنا من الجلاء عن بلادنا أو يخفف من غلواء الصهيونيين وغرورهم .

نعم إننا عينت للآن عدة لجان زارت البلاد في ظروف مختلفة ودرست أحوالها وقدمت تقارير نزيهة وبالرغم من أن الحكومة كانت تعد دائماً بتسيير دفة السياسة في البلاد مستنيرة ومسترشدة بآراء هذه اللجان كنا نراها في كل مرة تراوغ وتتملص من وعودها وتضرب بهذه التقارير عرض الحائط.

فكتاب باسفيلد الأبيض الذي صدر سنة 1930 حوله المستر ماكدونلد إلى أسود؛ إرضاءً لغريزة الدكتور وايزمن واستبقاء لما يجلبه هذا الزعيم من خير على الإمبراطورية ورجالها .

فهل يعجب العالم إذا سمع أن شعباً آمناً مسالماً دخل برضاه وبدون أي تأثير خارجي في إضراب لم ير له التاريخ مثيلاً. نعم إن الإضراب الحالي عام شامل كل مرافق الحياة من صناعية وتجارية ونقلات برية وبحرية يشترك فيه كل السكان العرب سكان المدن والقرى والبدو مسلمهم ومسيحيهم وشيوخهم وشبابهم وأطفالهم ورجالهم ونسأؤهم وتلامذة المدارس. ابتدأ هذا الإضراب/ في 19 نيسان سنة 1936 ولا يزال مستمراً ابتغيانا به إظهار شعور السخط المستحود على نفوسنا من سياسة غاشمة تعمل على إجلائنا عن بلاد آبائنا وأجدادنا ورجونا أن يكون سبباً لتثوب الحكومة المنتدبة إلى رشدها. غير أنها ويا للأسف اتبعت أهواءها فأمعنت في إرهابنا وتمادت في تحدينا واستفزاز شعورنا فانقلب الإضراب السلمي الذي كنا نتوخاه إلى ثورة دموية حولت البلاد المقدسة التي بشر فيها الملائكة بالسلام إلى بلاد تسودها الفوضى والاضطرابات وتعمها أعمال العنف والشدة من هدم وحرق وإتلاف وتقتيل نفوس بريئة. ونصدقكم القول إنه لو لم نشعر بأن الخطر الداهم الذي يهدد كياننا وينذر

بجلائنا عن أوطاننا قد ابتداءً أن يتحقق لما كنا أقدمنا على إضراب كهذا ولما كنا وطننا النفس على أن تجاب طلباتنا الحقّة .

أيها المسيحيون:

إننا لم نطلب من الحكومة المنتدبة إلا أن تعطينا حقنا المهضوم وتعيد لنا حريتنا المسلموبة فتوقف الهجرة اليهودية وفقاً تاماً باتاً وتشكل في البلاد حكومة نيايية أسوة بإخواننا أبناء العراق وسوريا .

أيها المسيحيون:

إن احتقار وامتهان أماكنكم المقدسة قد ظهرت بوادره في السنة الماضية عندما دخل شباب اليهود وشاباتهم إلى كنيسة المهدي في بيت لحم محل مولد المسيح له المجد وذنسوه بأعمال مغايرة للآداب الأمر الذي أدى إلى تدخل القوة لإخراجهم .

أيها المسيحيون:

إن مشروع روتنبرج قد غير مجرى نهر الأردن في بعض أقسامه وشوه جمال بحيرة طبريا الطبيعي أفلا يحق لنا أن نفسر هذا العمل بأنه محاولة لمحو أثر من الآثار التي تذكرونا بحياة السيد المسيح .

أيها المسيحيون:

إننا نرى من واجبنا أن ننبهكم إلى الأخطار المحدقة ببلادنا التي تحوي مقدساتكم من مغارة المهدي التي ولد فيها المسيح إلى بستان الجثمانية حيث أدى صلاته الأخيرة قبل تسليمه إلى الصلب من قبل اليهود إلى طريق الآلام إلى مكان الجلجلة حيث صلب وقبر إلى كل بقعة وطأتها قدماه الطاهرتان في القدس وبيت لحم وأريحا والسامرة

والناصرة وقانا الجليل وسائر مدن وقرى ومجيرات فلسطين ونتوسل إليكم أن تعملوا ما في وسعكم لمساعدتنا على حفظ هذه البلاد بيد أهلها الشرعيين خوف أن تغطي عليها الهجرة اليهودية فيؤسسون المملكة اليهودية التي طالما حلموا بها وعندها تتعرض للإهمال والتلف كل الآثار التي تذكركم بذلك الناصري الذي أتم كل النبوءات بارتفاعه على الصليب .

التواقيع:

القدس - يعقوب فراج رئيس اللجنة التنفيذية العربية الأرثوذكسية وعضو اللجنة العربية العليا. الدكتور توفيق كنعان نائب رئيس جمعية اتحاد الشبان المسيحية. الدكتور فوتى فريج عضو في الهيئة الأرثوذكسية الوطنية. مغنم الياس مغنم سكرتير نقابة المحامين العرب وسكرتير حزب الدفاع الوطني.

عبود هزو عضو الجمعية المرقصية للسريان الأرثوذكس. الدكتور حنا عطا الله دكتور طب. شكري ديب رئيس كنيسة مار يعقوت الأرثوذكسية. جورج شير مهندس معماري. الياس توما جلاذ من وجوه طائفة اللاتين. بولس سعيد من وجوه البروتستانت .

يافا - سليم بركات من وجوه الطائفة المارونية. رفول عبود عضو المجلس الملي لطائفة الروم الكاثوليك ووكيل الأوقاف. وديع انطوني الخوري أحد وكلاء كنيسة القديس جاورجيوس. الفرد روك عضو اللجنة العربية العليا. عيسى العيسى نائب رئيس اللجنة التنفيذية الأرثوذكسية. حنا صلاح عضو عمدة الطائفة البروتستانتية . الرملة - جورج كته رئيس مؤتمر الشباب الأرثوذكس. توفيق ناصر عضو عمدة الطائفة البروتستانتية .

حيفا - فرج فرج الله سكرتير الجمعية المسيحية بحيفا .

بيت لحم - حنا ميلاد وجيه. عيسى البندك رئيس البلدية. عيسى سابا جحا عضو اللجنة التنفيذية
الأرثوذكسية. سليمان قنواقي رئيس الجمعية الخيرية الأرثوذكسية .

بيت جالا - اندريا منصور رئيس البلدية. جورج أيوب عضو المجلس البلدي .

بيت ساحور - نخله عبد الله مختار طائفة الروم. حنا جريس نائب رئيس المجلس المحلي. باسيل شوملى رئيس
المجلس المحلي .

University of Malaya

ملحق رقم (4)

برقية السيد روجي الخطيب إلى الملك والرؤساء والأمراء، العرب والمسلمين عام 1969، حول ضرورة

السعي لوقف مصادرة الأملاك والأوقاف الملاصقة للحرم الشريف في القدس

موقع شبكة المحامين العرب

القدس تستصرخكم وإسلاماه، وترجوكم الاشتراك مع الأردن في تقديم شكوى فورية لمجلس الأمن الدولي لإيقاف أعمال مصادرة الأملاك والأوقاف الملاصقة للحرم الشريف وداخل سور المدينة المقدسة وهدمها، وإيقاف عمليات البناء على الأراضي العربية المغتصبة خارج أسوار المدينة من قبل السلطات الإسرائيلية المحتلة، وإيقاف تطبيق قانون التنظيمات القانونية والإدارية على عرب القدس خلافا لقرار مجلس الأمن الصادر في

1968 /5 /21 .

الأقصى والصخرة المشرفة، ومسرى الرسول يلحون في المطالبة، بالتشاور مع الأردن، في توجيه دعوة مستعجلة جدا لعقد مؤتمر قمة عربي إسلامي لمواجهة الخطر السريع الذي يستهدف تصفية عرب القدس والإسلام في المدينة المقدسة، والتاريخ سيسجل لكم المبادرة والمسعى النبيل .

ملحق رقم (5)

الدكتور ناجح بكيرات مدير المسجد الأقصى المبارك



ملحق رقم (6)

الدكتور جميل حمامي محاضر في جامعة القدس وعضو الهيئة الإسلامية العليا في القدس



ملحق رقم (7)

باسم خوري وزير الاقتصاد الفلسطيني الأسبق 2009-2012



ملحق رقم (8)

الأب رفيق خوري كاهن ولاهوتي فلسطيني، من كهنة البطريركية اللاتينية - القدس



ملحق رقم (9)

برنارد سايبلا نائب في المجلس التشريعي عن مدينة القدس



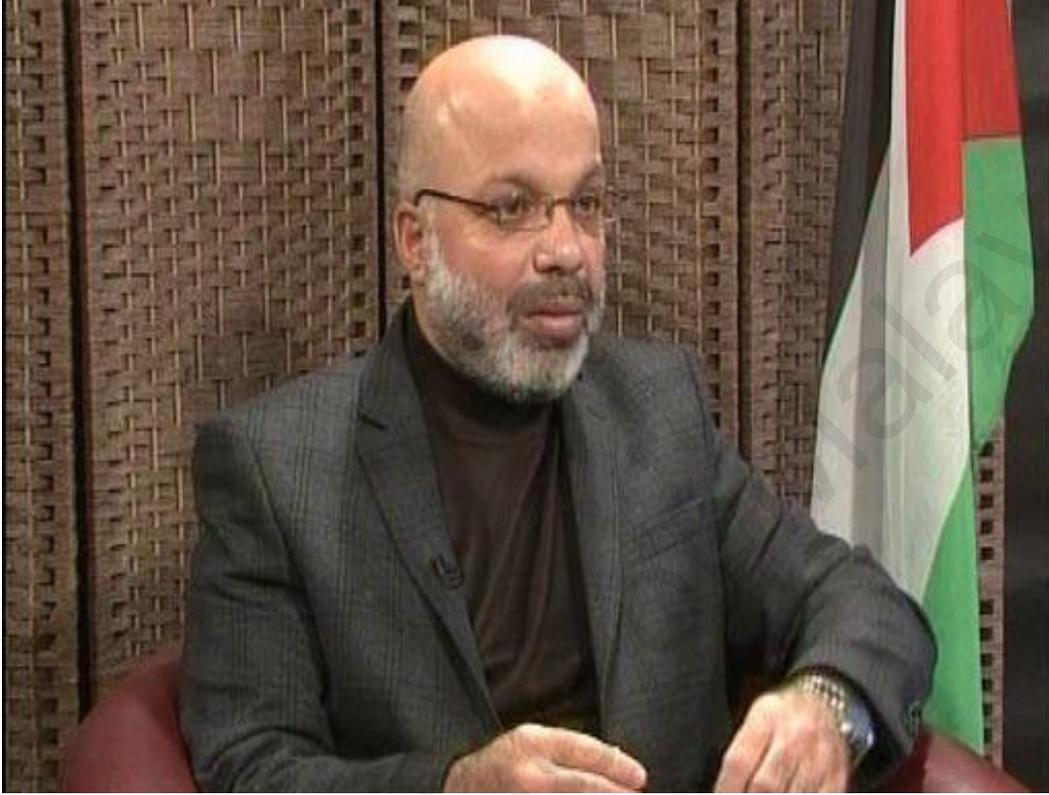
ملحق رقم (10)

الدكتور عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى المبارك ورئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس



ملحق رقم (11)

أحمد عطون نائب في المجلس التشريعي عن مدينة القدس



ملحق رقم (12)

الدكتور جمال عمرو خبير في شؤون القدس وأستاذ الهندسة المعمارية في جامعة بيرزيت



خلال الحلقة الخاصة من برنامج الأقطى مسؤوليتي
الدكتور جمال عمرو خبير في شؤون القدس وأستاذ العمارة في جامعة بيرزيت - فلسطين

ملحق رقم (13)

الدكتور حنا عيسى أمين عام الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات



ملحق رقم (14)

الأب عيسى مصلح الناطق الرسمي لبطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية



University of Malaya

ملحق رقم (15)

أسئلة المقابلات

هذه هي الأسئلة الرئيسة، وهناك أسئلة أخرى وضعها الباحث من خلال القراءة، وأسئلة تولدت أثناء اجراء المقابلة، وقد وجه الباحث الأسئلة للشخصيات، كل حسب تخصصه، فذكر المظاهر الدينية للعلماء المسلمين، ورجال الدين المسيحي، والاجتماعية للشخصيات ذات الصبغة الاجتماعية، وهكذا.

أولا مظاهر التعايش السلمي:

- ماهي الفلسفة التي بنى عليها المسلمون والمسيحيون أسس التعايش والتسامح في بيت المقدس؟.
- ماهي مظاهر التعايش (الديني، والاجتماعي، والفكري، والسياسي) بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس؟.

ثانيا: تحديات التعايش السلمي:

- ما هي التحديات الداخلية التي تواجه التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس؟.
- ما هي التحديات الخارجية التي تواجه التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس؟.
- كيف يواجه المسلمون والمسيحيون معا هذه التحديات؟.

ثالثا: آثار التعايش السلمي:

- ما هي آثار التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس على الحياة (الدينية، والاجتماعية، والفكرية، والسياسية)؟.

رابعاً: مستقبل التعايش السلمي:

- ما هي المخاطر التي تهدد مستقبل التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس؟.
- كيف يمكن تعزيز التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس؟.

University of Malaya